الثّابت والمتحوّل في رؤيتنا الثقافيّة

ليس من المبالغة في شيء ، اذا قلنا ، بادىء ذي بدء ، إن بلادنا اصبحت تعد ضمن البلدان النامية القليلة التي لها رؤية ثقافية ، وليس مجرد سياسة ثقافية ، وهي رؤية تقوم على قيم ثابتة تمثل نظرة تونس المستقلة ، تونس البورقيبية ، الى الانسان .

ان الهدف الانمائي الجبار الذي يقوم به الشعب التونسي لا يرمي الى رفع مستوى المواطن ماديا في مأكله ومشربه وملبسه ومسكنه فحسب ، بل يهدف في نفس الوقت الى رفع مستواه الذهني والثقافي والحضاري ، وان ازدواجية هذا الهدف الانمائي تمثل احدى القيم الثابتة في رؤيتنا الثقافية منذ ان انشئت هذه الوزارة ، اي بعيد الاستقلال بقليل .

وتولد عن هذه القيمة مبدأ آخر أصبح يمثل هو أيضا قيمة ثابتة في تلك الرؤية : ونعني بذلك اعتبار التنمية الثقافية ركنا اساسيا من أركان التنمية الشاملة . فلا يكفي ان نرضي مطامح الانسان المادية ، ونهمل حاجياته من الغذاء الروحي فنضرب صفحا عن جذوره الحضارية من دين ولغة وتاريخ وتراث وتقاليد ، ونعرض عن طموحاته الى انواع الخلق والابداع ، وأصناف المتعة والاثراء التي قد يجدها في الحضارات الأخرى ، ولا سيما الحضارات المعاصرة والثقافات المغايرة .

وان هذه الرؤية الثقافية ليست ثمرة مجهود فردي ؛ بل هي أولا حصيلة آمال الشعب في بناء ثقافة وطنية تعتمد أساسا على تراثه القومي ، وحضارته العربية الاسلامية ، تهدف الى التحرر من مظاهر التبعية و الاستلاب الفكري ، وهي ثانيا استجابة الدولة التونسية المستقلة لتلك الآمال ، فعمل رجالها غداة الاستقلال على اتباع سياسة ثقافية هادفة تبلورت معالمها مع مرور السنين ، منطلقين في ذلك من تجربة الواقع التونسي الخصب ، حتى تجاوز ذلك الجهد المتواصل سياسة ثقافية مخططة ، الى رؤية ثقافية تعتمد على قيم ثابتة . واصبح التخطيط الثقافي ، وأساليب التطبيق ، يمثلان الجوانب المتحولة في تلك الرؤية المتطورة المتجددة المنسجمة مع تطور الواقع القومي من جهة ، ومع تغير المفاهيم الثقافية في مجتمعات الحضارة العالمية المعاصرة من جهة ثانية .

اننا ما فتئنا نسعى جاهدين لاحكام تسيير الهياكل الثقافية ، وتنويع العمل

الثقافي ، بعدا به عن العوامل الذاتية ، والنرجسية المقيتة ، وما زلنا ندعم الانتاج الثقافي بجميع أنواعه ، ونفتح له الباب على مصراعيه في شتى ميادين الابتكار الأدبي والعلمي والفني دون قيد ولا شرط ؛ فالمحك هو الاتقان والطرافة ، والمعيار هو الجدية ورفعة المستوى .

أما الانتاج الهزيل المهرج ، فقد اصبح المواطن التونسي قادرا ـ والحمد لله ـ على الحكم عليه ، والاعراض عنه ، بفضل ما غرسته فيه التربية والتوعية الثقافية من قدرة على التمييز بين الغث والسمين .

ولعله من المفيد أن نلمح هنا إلى أن أصحاب الانتاج الفكري والفني المتأصل والطريف ، يحملهم وعيهم القومي والحضاري على مراقبة ذاتية يتورعون بفضلها عن المس من القيم الحقيقية في رؤيتنا الثقافية ؛ فلا يجرؤ على انتهاكها أو استنقاصها ، بدافع « التعلق المفرط بقوالب ونماذج آتية من الغرب » كما اشار الى ذلك السيد الشاذلي القليبي الوزير السابق للشؤون الثقافية (1) ، مثل دعوى « حرية العمل الثقافي » الا فئة قليلة من المنبتين عن واقعهم الوطني ، النابذين لتراثهم الحضاري ، وهم ـ في حقيقة الأمر ـ طفيليون في عالم الثقافة ذاته ، اتخذوا من الهياكل الثقافية مخبرا للترهات ، وبهرجوا ببريق التحرر مسودات محاولاتهم ؛ فاذا سأل المرء : ماذا أنتج هؤلاء ، وماذا خلقوا ، وماذا أبدعوا ؟ وبماذا شاركوا في جهاد الأمة ضد الجهل والفقر ؟ واذا رفض لهم « عمل » ووجهوا إلى إصلاحه وتحسينه ، ثارت ثائرتهم ، ورفعوا شعار حرية الثقافة ، واغرقوا في المناقشات البيزنطية ، وملأوا المقاهي ضجيجا والصحف كلاما ، والنوادي أباطيل لا تمت الى عالم الابداع الفكري والفني بصلة ، لا شكلا ولا مضمونا .

ان جميع المفكرين والفنانين التونسيين يدركون جيدا مدى التشجيع الأدبي والمادي الذي تقوم به هياكل وزارة الشؤون الثقافية في سبيل خلق حركية ثقافية حقة بعيدة عن الغوغائية ، مناهضة لسياسة ترك الحبل على الغارب ، معرضة عن السهولة والتساهل .

---

(1) « الثقافة رهان حضاري » ، ص 135 .

مُلاحَظات حول البَحْث اللغوي في بعْض الجامِعَات العَربيّة

دراسة : حمّادي صمّود

ليس من السهل أن يقدم الباحث كشفا شاملا عن وضع الدراسات الالسنية في الجامعات العربية ومعاهد التدريس العليا للأسباب التالية :

ـ انعدام تبادل الوثائق التي تمكن من ذلك حتى في مستوى الهيئات التابعة لجامعة الدول العربية ، ومن المفروض أن تتجمع لديها وثائق من هذا النوع وأن تتولى توزيعها .

ـ العوائق المادية التي تمنع الباحث من زيارة كل البلدان . ولو صادف أن كلف نفسه مشقة الارتحال فليس واثقا من أن طرق تصفيف الوثائق وترتيبها يسمح له بالاستفادة منها بسرعة . ونشير في هذا النطاق إلى الخطوة الهامة التي قطعتها جامعة القاهرة باصدار ثبت بالرسائل التي نوقشت في رحابها وقد وصلنا منها مجلد قدم للباحثين خدمات جليلة . ولسنا ندري إن كانت الجامعات العربية الأخرى ـ على صغر سنها ـ تنوي القيام بعمل مماثل أو قامت به بعد .

لهذا اكتفينا في هذا العمل بملاحظات سمحت لنا بإبدائها :

1 ـ تجربة بعض البلدان التي تمكننا من زيارتها والاتصال بمؤسسات التعليم العالي فيها والاتصال المباشر بالقائمين عليها ادارة وهيكل تدريس . وقد زرنا في هذا النطاق جامعة القاهرة وعين شمس وكلية الآداب بجامعة دمشق .

ونعتقد أن هذه الرقعة ، على صغرها ، تسمح بتكوين فكرة عن وضع البحث اللغوي إذا اعتبرنا الدور الذي قامت به جامعة القاهرة ، بحكم ظروف تاريخية ، في استقطاب البحث في منطقة الشرق العربي إلى وقت قريب جدا : فهي أقدم الجامعات الوطنية بالمنطقة لذلك كانت ، في مستوى الدراسات الأدبية ، النموذج الذي تأثرته الجامعات الوطنية الأخرى التي تكونت في فترة لاحقة وقد تكوّن في رحابها عدد كبير من الاطارات التي تسير هذه الجامعات الوطنية سواء في مستوى المراكز الادارية العليا أو في مستوى هيئات التدريس . كما أنها ـ إلى اليوم ـ تمد العديد من هذه الجامعات بالاطار المصري في نطاق ما يسمى هناك « نظام الاعارة » .

2 ـ الدراسات المطبوعة في حدود ما توفره السوق والمكتبات العامة . ونشير بالمناسبة إلى القصور والفوضى في توزيع الكتاب في الأقطار العربية : إن العثور على مؤلَّف في هذا الميدان أو في غيره كثيرا ما يكون موكولا إلى الصدفة ورحمة الموزعين والبريد . لذلك نغتنم هذه الفرصة لننبه أهل الحلّ والعقد إلى أن هذا من الأمور التي يبقى ، ما لم تُتدارك ، النص السياسي الداعي إلى وحدة الصفّ نصّا منبتّا أجوف .

3 ـ الصلات الشخصية وهي قليلة لا تزال في بداية الطريق ، وكثيرا ما تتم في ظروف رسمية تحد من أهميتها . ونلفت النظر هنا إلى أن هذه الندوات تبقى ، رغم أهميتها ؛ محدودة الفائدة في تمتين الصلة بين الباحثين من نفس الاختصاص للظروف المادية التي تتمّ فيها ، أضف إلى ذلك

أنها لا تصور بدقة وضع الاختصاص في البلدان التي تحضر مثل هذه الندوات . فقد يحملنا جهلنا بالمجهودات الحقيقية في البحث إلى الوقوع في الدور والتسلسل فنجد في الندوات والمؤتمرات الخاصة بالقضايا اللغوية ، وقد يفصل بينها عقد من الزمن ، نفس الاسماء تعيد نفس الكلام وتُعْلن عن نفس المواقف .

لقد آن الأوان في نظرنا . أن تتكوّن خلايا بحث وجمعيات في نطاق المنظمات العربية تقوم إلى جانب ، وظيفتها الأساسية في التقدم بهذه الاختصاصات ، باستقطاب المجهودات وجمع الوثائق وتوزيعها توزيعا محكما والمساهمة في مختلف النشاطات مساهمة جدية .

وقد ركزنا هذه الملاحظات على الرسائل التي نوقشت بكليتين تابعتين لجامعتين عربيتين هما كلية دار العلوم بجامعة القاهرة وقد تجشم إخوان كرامٌ مشقة استنساخ فهرسين يتعلق أحدهما بشهادة « الماجستير » والآخر برسائل « الدكتورا » ، وأمدونا بذلك عن طيب خاطرٍ فلهم منا جزيل الشكر .

وكلية الآداب بالجامعة التونسية وهي على حداثة الدراسات العليا بها توفر نصيبا من البحوث يسمح لنا بإبداء بعض الملاحظات عَنْ وجهة البحث في هذه الدّار .

كشف كلية دار العلوم

إن الفهارس التي أمدتنا بها إدارة هذه الدار باعانة وكيلها السيد عبد الله الدرويش تتنزل تاريخيًا في الفترة ما بين 1952 ـ 1978 بالنسبة لرسائل الدكتورا وهي رسائل نوقشت كلها . وقد عثرنا في السوق على نسبة قليلة منها مطبوعة وليس في إمكاننا أن نعرف ما إذا وقع نشر بقية هذه الرسائل أم لا . وهذه قضية اخرى من القضايا التي تقوم في وجه الباحث في الميدان العربي الاسلامي لأن دور النشر عامة عندنا لا تكلف نفسها مشقة إصدار فهارس بما نشرت على غرار ما يقع في البلدان الاخرى إلاّ مَا ندر والفترة ما بين 1952 ـ 1974 بالنسبة لرسائل الماجستير .

الماجستير

تشتمل القائمة التي تحصلنا عليها على مائة وست وستين بحثا (166) تفرقت على مختلف الاختصاصات الأدبية . وتحتل الدراسات ذات المنحى اللغوي الصرف ، اعتمادا على عناوينها إذ لم نطلع عليها كلّها ـ نسبة 20٪ تقريبا أي 33/166 ـ وإذا أضفنا إلى ذلك الأبحاث البلاغية وهي أبحاث ذات صبغة مزدوجة ادبية لغوية اصبحت النسبة تقريبا 25.5٪ أي 166/ 42 . وهي نسبة معقولة إذا اعتبرنا برامج التدريس المدرجة في سنوات الاجازة الاربع . فهي تشتمل بصفة منتظمة على الفنون الآتية : مسائل في الصرف والنحو ، مسائل في الدراسات الادبية مسائل في البلاغة والنقد الادبي ، مسائل في علم اللغة مسائل في الفلسفة ، مسائل في الشريعة ، واعتبرنا من ناحية أخرى دقة الأبحاث اللغوية . وصعوبتها وجدة بعض مسائل التدريس المتعلقة بعلم اللغة .

أما اتجاهات هذه البحوث حسب ما تدل عليه عناوينها فهي كالآتي :

ـ أ ـ مشاغل لغوية « كلاسيكية » من حيث الموضوع وليس ثمة ما يدل ، على جدة في الوجهة والمنهج نستثني من هذا القسم ما يهتم بالجملة فدراستها والكشف عن طرق تركيبها وتعلق عناصرها بعضها ببعض يعتبر في الدراسات العربية بقطع النظر عن المنهج المتوخى دراسات تضيف شيئا أساسيا لوضع الجملة الخاص في تراثنا . وقد اشتملت هذه الدراسات على الفروع الآتية :

ـ دراسات تتعلق بـ« الأعلام » 8/33 أيْ نسبة 1/4 تقريبا .

ـ دراسات لقضايا جزئية انطلاقا من « مدونه » قديمة وهي غالبا النص القرآني كدراسة الاستفهام والموصولات والجملة

الموصولة ، والظرف والعدد ... وهي 8/33 أيْ 1/4 تقريبا .

- دراسات تتعلق بتيارات لغوية قديمة أو مدارس 2/33
- تحقيق التراث 2/33
- دراسات في التراث 2/33
- دراسات « أصولية » 1/33

- ب - دراسات لغوية « حديثة » مشغلا أوْ مَنْهَجيًا
- دراسات مقارنة
- في نطاق العائلة اللغوية الواحدة (السامية) 1/33
- مقارنة مواقف القدماء والمحدثين من قضايا أصولية 2/33
- تقييم مواقف قديمة على ضوء الدراسات اللغوية الحديثة 1/33
- دراسات في اللهجات (لهجات البدو في مصر . لهجة البدو في البحيرة ، ومنها دراسات عامة تتعلق بمختلف مظاهر اللهَجة ومنها الدراسات الصوتية ، وبعض هذه الدراسات مقترن بمفاهيم حديثة كمفهوم « الجغرافية اللغوية » 3/33
- دراسات حديثة (مدونة قديمة) القراءات 1/33
- دراسات في التراث انطلاقا من مفاهيم جديدة كمفهوم « التضام » وهي دراسة في التراكيب (Syntaxe) 1/33 (دراسة أشرف عليها تمام حسان وهو صاحب هذا المصطلح استعمله بكثرة وأعطاه أبعادا جديدة في مختلف دراساته اللغوية)
- دراسات لا يمكن التكهن بمحتواها رغم طرافة عنوانها وهي دراسة فريدة عنونت هكذا (الوحدات الصرفية ودورها في بناء الكلمة العربية) 1/33

الدّكتورا

تشتمل القائمة التي تحصّلنا عليها على مائة وأربع وثلاثين رسالة (134) تحتل الدراسات اللغوية منها اثنتين وثلاثين (32/134) أي بنسبة 23٪ تقريبا فاذا أضفت إليها الأبحاث البلاغية وهي : 7/134 أصبحت النسبة 27٪ تقريبا .

ويمكن تقسيم هذه الرسائل إلى قسمين كبيرين شأن الرسائل السابقة :

أ - مشاغل لغوية « كلاسيكية »
- كتب التراث : تحقيق ودراسة 10/32
- دراسات جزئية آنية كانت أو تاريخية تطوّرية 4/32
- أعلام اللغة وآراؤهم 4/32
- المؤتمرات في الدراسة النحوية (تأثير القرآن ، القراءات 3/32
- دراسات في أصول النحو العربي القديم 3/32
- دراسات لتيار أو لقطر أو عصر 2/32

ب - دراسات لغوية حديثة مشغلا أو منهجا
- دراسات مقارنة

ما بين مواقف القدماء والمحدثين 1/32

ما بين نظريات قديمة ومعطيات علم اللغة الحديث 1/32

دراسة مقارنة جزئية من مستوى اللغة الفصحى والعامية 1/32

- دراسة في اللهجات وقد اشتمل الفهرس على دراستين إحداهما تقوم على « مدونة » معاصرة هي لهجة أم درمان وكانت دراستها دراسة تركيبية وثانيتها - وهي طريفة - لأنها تقوم على دراسة ما يسمى باللهجات النحوية . أي القضايا التي اضطر النحاة إلى إدراجها في البناء النحوي العام مع أنها خاصة بقوم دون قوم مثال ذلك قضية ما « الحجازية » .
- دراسات صوتية باعتماد مدّونة قديمة 1/32
- دراسة للتراث انطلاقا من مفاهيم مستحدثة (قرينة المخالفة بين قرائن النحو العربي . وهو موضوع أشرف عليه تمام حسان 1/32

نلاحظ أن نسبة الدراسات اللغوية إلى مجموع الرسائل المناقشة في المستويين متقاربة . مما يدل على أن مستوى « الماجستير » (يمثل بالنسبة الى الباحث الذي يتجاوز ذلك المستوى ضربا من الالتزام باختصاص معين) يكشف عن آفاق البحث واختصاص الباحث في الحلقة الموالية . وذلك على صعيد الاختصاص العام من ناحية ووجهة البحث في نطاق ذلك الاختصاص من ناحية أخرى . فقل أن وجدنا انفصاما لدى نفس الشخص بين بحثه الاوّلي وبحثه الأساسي ثم إننا لم نجد من ناحية أخرى من غيّر بصفة جذرية وجهة الاختصاص أو منهجه . ولهذا أسباب متعددة لعل من أهمها الحرص على استغلال ما اكتسبه الباحث في تجربته الأولى من معلومات تتصل بالاختصاص نفسه أو بكيفية تناوله .

تصديقا لما ذكر وجدنا أن نسبة ما اعتبرناه مشاغل حديثة في المرحلتين نسبة متقاربة 10/33 في مستوى الماجستير و7/32 في مستوى الدكتورا كذلك الشأن في ما اعتبرناه مشاغل « كلاسيكية » فهي متقاربة أيضا : 23/33 في المستوى الأول و25/32 في المستوى الثاني .

نجد أن هذه الأبحاث تتوزع في المستويين نفس التوزع تقريبا . ففروع الأصلين الكبيرين هي نفس الفروع وبنسب متقاربة عدا صدارة القسم الكبير الأول فقد احتلتها في مستوى « الماجستير » الدراسات المخصصة للأعلام 8/33 بينما جاءت الدراسات المتعلقة بتحقيق كتب التراث ودراستها في مقدمة القسم الأول من رسائل الدكتورا 10/32 .

وهذا يدل على نمطية الدراسة اللغوية التي تبقى فروعها مستقرة في نفس الحيز . ولهذا أسباب عديدة تتصل في نظرنا ـ بالدرجة الأولى بمواد التدريس التي يتلقاها الطالب وهي تنعكس لا محالة على ابحاثه العليا وتصور مواد التدريس هذه مرتبط بالاطار المشرف عليه في مختلف مراحله وتصوره ـ حسب تكوينه ـ لمسارب الدراسة اللغوية . فإذا لم تتغير النظرة إلى التكوين الأساسي ولم يتجدد الاطار استحال على البحث في هذا المستوى أن يكون غير ما أريد له .

إن الناظر في جملة الدراسات « الحديثة » وهي تتوزع كالآتي :

ماجستير :
10/33

دراسات مقارنة 4 — لهجات 3 — بقية الدراسات 3

دكتورا :
7/32

دراسات مقارنة 3 — لهجات 2 — بقية الدراسات 2

يستنتج ما يلي : 1) غلبة المنهج المقارن واندراجه ـ جزئيا ـ على الأقل في مشاغل الألسنية الحديثة في مرحلة من مراحلها نخصّ بالذكر منها المقارنات بين اللغات التي تنتمي إلى نفس العائلة ومقارنة المستويين اللغويين المتعايشين : الفصحى والعامية وهذا يدخل في نطاق ما يسمى بالفرنسية (Diglossie) لكن يلفت الانتباه في هذا المضمار عدم وجود دراسات مقارنة

بين اللغة الأم واللغة أو اللغات الأجنبية التي تعايشها أو عايشتها فترة من الفترات وهو ما يدخل في نطاق ازرواجية اللغة (Bilinguisme)

هل يعني ذلك أن الموضوع في مصر ليس على نفس الدرجة من الحدة التي تكشفها الأبحاث الألسنية في بعض البلدان العربية الأخرى كبلدان شمال إفريقيا أم أنه ليس من اختصاص قسم الدراسات العربية ؟

2) الأهمية النسبية التي تحتلها دراسة اللهجات ودراسة اللهجات من الوجهة العلمية البحتة تمثل ، إلى جانب كونها فرعا من فروع الألسنية ميدان بحث كبير الفائدة لمعرفة آلية اللغة وما يطرأ عليها من تحولات صوتية وتركيبية بمفعول الاستعمال اليومي . لكنّه يكتسي في العالم العربي صبغة خاصة يمتزج فيها العلم بمجموعة من المعطيات من ذلك : الشعور بالانتماء والشعور القومي والشعور الديني والاتجاه السياسي الخ ... مما جعل هذا النوع من الدراسات ينظر إليه في بعض الاوساط المحافظة بريبة شديدة . وإننا نسجل هنا انفتاح هذه الكلية في أعلى مستوى من البحث على هذه الدراسات العلمية التي يمكن أن نستغل نتائجها استغلالا علميا هاما مَا سَلِمت النيّة .

انحسار آفاق الدراسة اللغوية الحديثة فيما عدا بحثين ينطلقان من مفاهيم حديثة ، وهي بحوث مرتبطة بشخص المشرف عليها ، نلاحظ بصفة عامة أن هذه المشاغل لا تتجاوز اهتمامات الألسنية في الثلث الأول من هذا القرن في بعض فروعها بينما تفرّعت شجرة الألسنية اليوم تفرعا كبيرا . والحقيقة أنه الشعور العام الذي خرجنا به في زيارتنا لمصر وسوريا فقد لاحظنا أن الاهتمامات اللغوية في هذين القطرين لا تعدو - بصفة عامة - الدراسة الصوتية الفيزيائية . وحتى إذا ما وجدنا اهتمامات أخرى فهي لا تعدو شخص المهتم بها ولم تخلق بعد تقاليد من الدرس والبحث أو ان هذه التقاليد لا تزال في خطوتها الأولى .

أخيرا لا بد من الاشارة إلى أن الانفتاح على المسارب الحديثة في البحث ، لاتصاله بشخص القائم عليه اتصالا متينا ، مهدد في وجوده لأن ذلك التيار قد يقف بهجرة القائم عليه . وهذا ما لاحَظْناه فعلا في مصر حيث هاجر أغلب المهتمين بالدراسات الحديثة إلى أقطار عربية أخرى .

■ كشف كلية الآداب والعلوم الانسانية بتونس

نوقشت بكلية آداب تونس بين 1970 وجوان 1978 مائة وأربعون رسالة بقسم اللغة والآداب العربية في نطاق ما سمي « شهادة الكفاءة في البحث » وهي في سلم الشهادات الجامعية الخطوة الضرورية التي لا يتسنى بدونها لطالب تحصل على الاجازة في اللغة والآداب العربية أن يتقدم برسالة دكتورا مهما كانت درجتها . وتتمثل في بحث يقوم به الطالب لمدة سنة أو سنتين ثم يناقش أمام لجنة امتحان كما هو الشأن بالنسبة لشهادة الماجستير أو الدكتورا .

تحتل الرسائل المخصصة للبحوث اللغوية الصرف نسبة 30٪ (42/140) ينضاف إليها ثلاثة بحوث اتصل اثنان منها بالبلاغة وثالثها بدراسة اجتماعية لبعض جوانب ابن خلدون انطلاقا من مفاهيمه اللّغوية .

ويمكن أن نقسم هذه الدراسات أيضا إلى قسمين رئيسين قسم يمكن أن ننعته بالكلاسيكية وينحصر في ثلاثة فروع :

1) تحقيق التراث : ويحتل المرتبة الأولى بنصيب يقارب الثلث من مجموع الشهادات 13/42 وتجدر الملاحظة هنا إلى أنه نظرا لضخامة المخطوطات التي يشار بها على الطلبة واعتبارا لمستوى البحث في هذه الدرجة يشترك أكثر من طالب واحد في تحقيق الأثر الواحد فيكون عدد المخطوطات المحققة دون عدد الشهادات خاصة أن التحقيق يفترض فيه أن يسبق دائما بدراسة للمحتوى إذا كان صاحب المخطوط من المشاهير وبترجمة للمؤلف إن كان مغمورا .

ويتقاسم المرتبة الثانية نوعان من البحث :

ـ دراسة وصفية تقييمية لبعض القضايا « الأصولية » في النحو العربي وكان المجموع دراستين (2) انحصرتا في قضية العلّة .

ـ وصف لمواقف القدماء من قضايا لغوية كقضية « الغريب » أو تعريب الكلمات الأعجمية وما تثيره من مشاكل صوتية . وقد حظي هذا الجانب بدراستين (2) فيكون مجموع ما خصص لهذا القسم 42/17 (ـ 3/1) .

أمّا القسم الثاني فيعكس جملة من الاهتمامات الحديثة يصعب تصنيفها لأن مظهر الجدة فيها ليس دائما من نفس النوع ولانها كثيرا ما تتجاوز القضايا اللغوية الصرف لتناول صلتها بالحياة الاجتماعية والثقافية أو طبقة مهنية أي بصفة أعَم : اللغة كمظهر من مظاهر حياة الناس في المجتمع .

وقد حاولنا تصنيف هذه الشهادات على النحو التالي :

أ ـ دراسات متحدة المنهج (وهو هنا المنهج الوصفي) مختلفة المدونة والغاية أحيانا .

دراسة وصفية ذات غايات بيداغوجية :

كدراسة لغة كتاب مدرسي وما تؤدي اليه من نتائج علمية بيداغوجية قد تستفيد منها الأوساط المختصة (1)

دراسة وصفية تتعلق بمؤسسة قومية كدار الاذاعة والتلفزة (1)

دراسة وصفية لمستوى من مستويات اللغة له صلة بالجانب الاجتماعي النفسي كلغة الاشهَار مثلا (1)

دراسة وصفية لعنصر اللغة مرتبطا بالمظهر الثقافي العام في نطاق ما يسمى في تونس « دور الثقافة » (1) .

دراسات وصفية تتعلق بلغة مؤلف مركَّزة على نظامه النحوي سواء كان المؤلف قديما أو معاصرا . (نلاحظ هنا غلبة الأعلام القديمة وقد انحصرت في ابن المقفع ، سهل بن هارون ، الجاحظ ، الأمثال)

ـ (10) منها 7 تعتمد نصا قديما و3 تعتمد نصا حديثا . (14/42)

ب ـ دراسات متحدة المنهج (وهو المنهج الاحصائي) غايتها مزيد التدقيق فالسيطرة على جوانب من اللغة بقيت رغم مجهودات النحاة القدامى متقلقلة تستعصي على الضبط والتقنين كقضية الصيغ المزيدة ودلالاتها وقضية الجموع أو معرفة التحولات التي تطرأ على اللغة إذا انتقلنا بها من المكتوب إلى المنطوق أي من القاعدة إلى الاستعمال (8/42)

ج ـ دراسات ذات صبغة تأليفية تتناول موقف العرب المعاصرين من القضايا اللغوية العامة التي يطرحها وضع لغتهم في العصر الحديث أو من قضايا جزئية لحركة تجديد النحو مثلا (2)

هـ ـ دراسة تطبق منهجيا من أحدث المناهج اللغوية (السيمائي) على نص أدبي (1)

أما شهادة الدكتورا فنظرا لحداثة عهدها بالجامعة التونسية إذ لم تقع أول مناقشة في مجرى هذا العام فنكتفي بالاشارة إلى أن المواضيع المسجلة في قسم العربية لنيل دكتورا الدولة إلى الآن عشرين رسالة (20) منها سبع (7) في مباحث لغوية واثنتان في مباحث لغوية أدبية وهي نسبة هامة .

1) إن هذه التجربة ، على صغر سنها ، تتفق مع التجربة السابقة في أشياء وتختلف عنها في أشياء أخرى . أهم عنصر اتفاق بينهما الاقرار بضرورة الاعتناء بالتراث وقد احتل من المجموع العام في النموذجين نفس المكانة تقريبا . ولعل من أهم أسباب ذلك ، إلى جانب العوامل الحضارية والتاريخية ، اعتبار الجامعة ، في نطاق تصوراتنا الثقافية والتربوية العامة ، حلقة وصل الحاضر بالماضي ومن ثم رأت نفسها مسؤولة على ذلك التراث موكول إليها اكتشاف ما لم يكتشف منه .

ومن وجوه الاتفاق أيضا الرجوع إلى بعض القضايا الجزئية وإعادة وصفها لمزيد الضبط والدقة وتعقب القواعد النحوية التي استقرت وكنا أشرنا إلى أهمية ذلك خاصة ان تعلق الامر بوصف الجملة في نطاق نصوص منسوبة اشتهر أصحابها بحذقهم التركيب العربي . وقد توصلت كثير من الدراسات التي شاركنا في امتحان أصحابها إلى تعديل عدد لا يستهان به من المعلومات سواء تعلق الأمر بقضايا تركيب الجملة أو بقضايا الصرف كمعاني المزيد .

ومن ذلك أيضا انعكاس هيكل الاجازة إجمالا على البحوث التي تليها وانطباع البحث بصبغة صاحبه وخاصة بصبغة الأستاذ المشرف عليه .

لكن رغم هذا الاتفاق لاحظنا أن تجربة كلية الآداب بتونس غلب عليها من حيث الكم جانب الحديث على القديم (25/42) وهي من حيث الكيف أكثر تنوعا وأعلق بالمظاهر العملية للغة ولعل من أسباب ذلك الوضع اللغوي الخاص بتونس الذي نعيش فيه قضيتي تواجد المستويين اللغويين والازدواجية بحدة لا يعرفها الشرق العربي مما جعل البحث حساسا إلى قضايا دون قضايا أخرى وقد يعود الأمر إلى ظروف تاريخية جعلت الجامعة التونسية على صلة بالغرب وبما يجد فيه على صعيد الدرس والبحث فيتأثر فيها خطى البحث هناك .

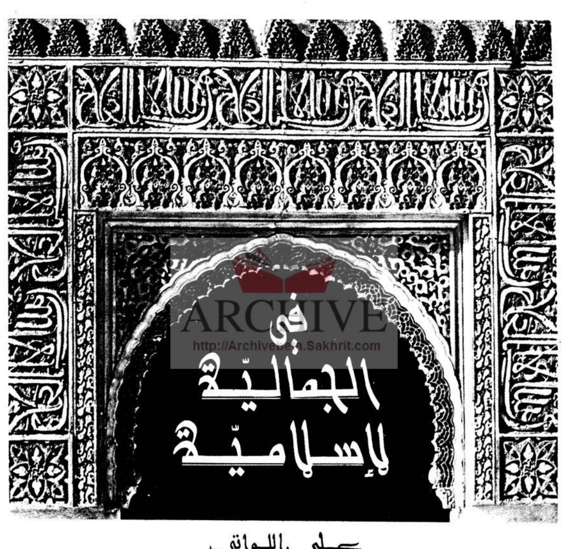
نلاحظ الحرص على تعميق المعرفة بلغتنا وذلك باعتماد منهجين يعتبران أسلم المناهج وأدقها في إقامة الأحكام وهما المنهج الوصفي والمنهج الاحصائي . وقد كانت بعض الأعمال قاسية في تطبيق هذا المنهج حتى أن البحوث تستحيل إلى جداول وأرقام يصعب تتبعها . ولسنا ندري ما إذا كانت الصرامة المنهجية في التجربة الأولى على هذا النحو إذ لم نتمكن من الاطلاع إلا على بعض ما نشر من تلك الرسائل .

الاهتمام بالمناهج اللغوية المستحدثة ومحاولة الاستفادة منها في تحليل النصوص الادبية وهي تجربة على تواضعها تبشر بكل خير وسيكون لها انعكاس في المستقبل على البحث لأنها لم تظهر في هياكل التدريس إلا في السنوات الاخيرة ولا شك أن الأجيال المقبلة ستتجه بعضها هذه الوجهة .

ويطيب لنا أن نلاحظ في ختام هذه الملاحظات أن النشاط اللغوي والبحوث فيه لا يقتصر في تونس على كلية الآداب .

إن قسما كبيرا منه ، لعله أهم قسم ، يقع بمركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية في نطاق « قسم الألسنية » ●

حمادي صمود



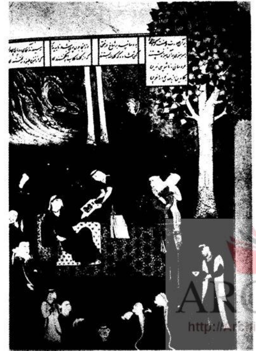
علي اللواتي

إنّ من يسرحَ النظر في معالم بلاد الاسلام مهما تباعدت بينها ، ليعجب لتعدد الأشكال الزخرفية التي أبدعتها عبقرية المسلمين على امتداد تاريخهم . ولكن عجبنا يزداد أكثر عندما نحس بالوحدة الجمالية الناظمة لتلك الأشكال جميعا . إنها تطالعنا حيثما اتجهنا وتبدو لنا كأهمّ ما يميز التعبير الفنّي الاسلامي .

لقد كان طبيعيا أن يرث الفنّ الاسلامي ـ كمنظومة أشكال ـ نماذج فنيّة قديمة كالأنماط البيزنطية والساسانية والبربرية والأساليب القادمة من آسيا الوسطى ، إلاّ أنّه نجح في انتخاب ما كان صالحا من بين عناصر هذه النماذج لادراجه ضمن رؤيته الخاصة إلى الوجود . فالاسلام لم يجتث الشعوب المنضوية تحت لوائه من تراثها الفني ولم ينزع عنها شخصيتها بل فتح في وجهها سبل إبداع جديدة لم تكن تتوقعها .

وأكثر ما فعله ان دفع وجدانها في اتجاه هدفه الأساسي وقدره الساطع ، وهو الشهادة على الله .

ويمكن اعتبار الفنّ الاسلامي في مختلف ظواهره واستعمالاته فنًا مقدسًا بأعمق ما للعبارة من معنى دون أن يكون له مع ذلك ارتباط بشكل خاص من أشكال العبادة أو بتنظيم طقوسي معين . إننا نجد في العمارة الدينية أو المدنية وفي التزويق وحتى في زخرفة أبسط الأدوات اليومية ، شهادة إنسانية واحدة على وحدانية الله وبقائه ومثلما تنتظم الحياة الروحية والثقافية حول مفهوم « الله » كمركز يجد التعبير الفني بدوره في هذا المفهوم ذاته مفتاحه ومعناه العميق .









لقد كان ظهور فكرة « الله » في الفنّ على أيام الأمويين وكانت في أوّل الأمر تفرض نفسها « سلبيا » من خلال معاداة تصوير الكائنات الحيّة ، أي من خلال رفض فكرة « اعادة خلق » الحياة (قرار يزيد الثاني بمنع التصوير سنة 722 ميلادية) . ولكن العجيب أن منع التصوير المستند إلى الأحاديث الشريفة بقي دون تأثير يذكر في ذلك العصر الاسلامي الأوّل ، عصر الفتوحات ، فكانت التصاوير الناقلة للطبيعة تملأ قصور الأمراء بتعبيراتها الاحيائية الأكثر مجافاة للخلق الديني كما كانت تعكس العالم المحسوس حتّى فوق جدران المسجد حيث وقع الاضطرار إلى إسقاط تصوير الأحياء منها كتنازل لصالح العقيدة .

لقد كانت هذه « الوثنية الفنية » مفروضة على الاسلام في بدايته بحكم نجاحه السريع ذاته فوق أرض سوريا المغرقة في الحضارة، تلك الحضارة التي ستعير النظام الاسلامي الجديد رموزها وأشكالها الفنية القديمة لتكون تعبيرا خارجيا عن مجده الكوني وأولى العلامات والصفات الدنيوية لسيادته الجديدة .

أما التجريد الزخرفي ، وهو المنبىء عن تطوّر فكرة الله في الفنّ ، فقد انطلق في الواقع من الفترة العباسية القديمة (سامرّاء) . وهكذا بدأ فنّ الرقش العربي (الأرابسك) مسيرته انطلاقا من تبسيط الأشكال النباتية ، وظهرت المنجزات الأولى لتنميق الخط العربي عارضة فكرة أوليّة عما سيكون عليه مجده الساطع فيما بعد ، ولم يفلح الميل إلى التصوير التشبيهي الطاغي في تلك الفترة تحت تأثير العنصر التركي ، في أن يغيّر شيئا من هذا « البرنامج » المتجه قدما نحو مفهوم تشكيلي تجريدي في جوهره .

وحيث أن الله تعالى منزّه يعرّف « بكلّ ما ليس هو » فإنّ ذلك لا يتضمن رفض عبادة « الشبيه » أي الصورة فقط ، بل يتضمّن كذلك القول بنسبية المادة وبتجزئتها لأنّ مفهوم المادة كما يرد في مذهب أرسطاطاليس من شأنه أن يحدّ من مطلق مفهوم الله . لذلك فالتحريم يتجه إلى الصّورة المقدّسة (الأيقونة) وكذلك إلى الصورة مطلقا من حيث هي انعكاس للعالم الحسّي .

إنّ الاشعرية الذريّة ، رغم أنها لا تعادي المادة أساسا ، ترفض بغير استثناء تقريبا تصوير الكائنات الحيّة وحتّى الجمادات في الواقع ، رغم أن الأحاديث الشريفة لا تعتبر

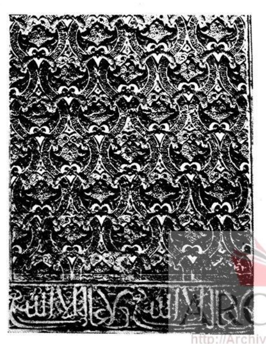
الأخيرة محرّمة . يعتبر الأشاعرة أن المادة لا ينبغي أن تعتبر في ذاتها : إنّها متغيرة زائلة وفي ذلك برهان على ثبوت الله ودوامه .

ونحن نجد هنا أصل رأي العلاّمة النووي (القرن الثالث عشر) المعادي للتصاوير ونرى فيه رد فعل على ميل الفاطميين المفرط بمصر إلى اتخاذها .

لقد لجأ التصوير التشبيهي بعد أفول نجمه في المنطقة العربية على إثر سقوط بغداد سنة 1258 م إلى الهضبة الايرانية مرتع كل المذاهب الغنوصية من هرمسية وأفلاطونية جديدة وغيرها من مذاهب الباطن الواردة لتطعيم بقايا أفكار ما تزال على حيويتها من المزدكية والمانوية . وحيث أن بعض المذاهب الشيعية لم تكن بمعزل عن فكرة التجسيد والفيض واستمرار الوحي عن طريق الامامة ، فقد قبلت التصوير . وبالاضافة إلى ذلك نرى أن الممارسات الشعبية الشيعية احتفظت في إيران بشكل من أشكال « المسرح » يروي مقتل الحسين رضي الله عنه يذكّرنا إلى حدّ مشير بمسرح « الأسرار » المسيحي في القرون الوسطى ، مما يدعو إلى افتراض تشابه في وظيفة الصورة في العبادة المسيحية وفي بعض الممارسات الشيعية .

ولكن الصورة تبقى حتى في هذه الحال محض رمز أو أحجية ذات طابع صوفي ، فهي لن تتطور إلى وسيلة تعرّف أعمق على الواقع كما هو الشأن في الحضارة الغربية ، ولن تفضي إلى تمثيل واقعي للطبيعة لأن مفهوم « الله » يمنع كل اقتراب مشبوه من الواقع المحسوس أو من الشكل في ذاته ، ولأن ذلك يؤدي إلى شبه تجاوز إبداعي ، أو هرطقة « بروميثية » عن طريق « خلق » أو « إعادة خلق » الشكل الواقعي .

وما دام الله تعالى قد ظهر في الزمن ـ بالنسبة للمسيحيين ـ من خلال التجسّد فقد أصبحت عبادة « الشبيه » مقبولة كضمان نهائي للعقيدة المتعلقة بطبيعة المسيح . أما في الاسلام فانّ الحضور الالهي في التاريخ كان عن طريق القرآن الكريم ، كلام الله وبذلك أصبح الفنّ الاسلامي في مجموعه شاهدا على



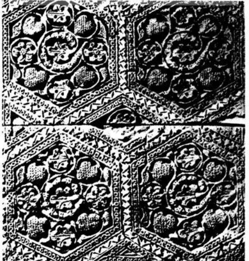
ذلك الحضور أبدا .

وهكذا أصبح الخطّ العربي يشغل حيّزا هاما من الابداع الاسلامي مجسدا كلام الله ممجدا إياه ناشرا آياته فوق كل شيء يصنعه الانسان . كما أصبح الفنّ الاسلامي متميّزاً بفنٍّ خصب متنوع يعتمد الزخرفة النباتية والهندسية ، إنها زخرفة مطلوبة لذاتها لا لتكون إطارا هامشيًا يحيط بتعبير فنّي خارج عنها . إنّ الرقش العربي وهو العنصر الأساسي في هذه الزخرفة ينشر تشابيكه وتراكيبه المنتصرة اللامتناهية في كل مكان : في العمارة الدينية والمدنية ، في فنّ الكتاب والخزف الخ . ويرمي هذا التزويق بتنوعه المذهل وبايقاعه اللامنقطع والمتواصل « ذهنيا » حتى خارج المساحة المزوقّة إلى إيجاد متعة منقطعة النظير ، تتّصل بالتأمّل في الله المقتدر الذي لا يحيط به شيء ولا يعرب عن فضله لسان ، بعيدا عن أي شكل طبيعي معروف ونهائي يمكن أن يلهي الانسان عن وجهه الكريم .



إن فكرة الجمال أو رؤيته ترتبط عند المسلمين بالتسبيح وهو الثناء على الله أو مجرد ذكره تعالى . فأغاريد الطيور تسبيح والزهرة اليانعة تسبيح والجسد الانساني تناسق إلهي وشهادة ... فالاسلام لا ينكر قيام الجمال برهانا على الخالق ، وما الفن الزخرفي الاسلامي إلاّ ثناء على الله تتعدد مظاهره ويملأ الكون كصدى لكلامه المكتوب ، ليقر – عبر الكثرة – ببقاء الموجود أمام زوال العالم وفردانيته أمام تجزؤ العالم .

وتأتي المرحلة الأندلسية المغربية لنشهد معها ولادة قمة فنّ التسبيح التي لا قمّة فوقها : قصر الحمراء ذلك الانفجار النهائي للثراء الفني الساطع . حيث تتجزأ المادة إلى أقصى ما يكون التجزؤ وتبدو في شكل تخاريم وشبائك دقيقة حتى لكأنها تفقد جرمها ووزنها حتى لتبدو كهاجس في الخاطر ....



وفي كل مكان من الحمراء يطالعنا شعار بني نصر الحزين « لا غالب إلاّ الله » ليشهد على عمق إيمان الانسان الواقع في أسر الزمن العابر . وليشهد مع الانسان حتى في ضرّائه على غلبة الواحد القهار .

علي اللواتي

على هامش المؤتمر الثاني للوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافية بالبلاد العربية *



الحبيب الجنحاني

اننا نسعى الى التركيز على الجانب التنظيري في هذه الدراسة ، لأنه يهدف الى بلورة رؤية موحدة للعمل الثقافي في الوطن العربي ، وقد كان الموضوع الرئيسي للمؤتمر مناقشة وثيقة « نحو استراتيجية للثقافة العربية » ، ولكن الجانب التنظيري الذي ينبغي ان يمثل أسس الرؤية العربية الموحدة في المجال الثقافي قد جاء موجزا ، فبعد محاولة تحليلية موفقة نجد الوثيقة سرعان ما تنتقل الى الحديث عن مجالات النشاط الثقافي ، وتترك الجانب النظري المذهبي في الموضوع مبتورا ، أو يكاد .

تعتبر الوثيقة ـ في حقيقة الأمر ـ ورقة عمل ممهدة لعمل جبار ينبغي ان تتظافر الجهود لابرازه في خطة دقيقة شاملة ، وطموح بأن يكون دستور الوحدة الثقافية العربية . ومن هنا جاء ايماننا العميق بأن المرحلة الحاسمة في وضع خطة ثقافية عربية موحدة تتمثل في توضيح الرؤية المستقبلية ، وتحديد الأهداف ، أما ميادين التعاون ، وأساليب التطبيق فأمرها هين .

ولعل الصعوبة التي شعرت بها هياكل المنظمة ، ولجانها المختصة هي اختلاف وجهات النظر عند محاولة تحديد الأهداف ، وبلورة

* انظر توصيات المؤتمر في ركن النشاط الثقافي في هذا العدد

السمة الاجتماعية المميزة للمحتوى النوعي للثقافة التي تريد الأقطار العربية نشرها بين الجماهير ، وإرساء قواعدها في بلدانها ؛ فلا بد ان يكون الطريق الذي سنبدأ السير فيه سلميا ومنهجيا جدليا حتى تكون المشاريع الثقافية ذات الطابع القومي تحمل مضمونا ثقافيا وفكريا عربيا مشتركا ، وهنا تبرز الاتجاهات المتباينة .

إن الهياكل الثقافية ليست منعزلة بطبيعة الأمر عن الهياكل الاقتصادية والاجتماعية ، فقد أصبحت السياسة الثقافية تمثل ركنا أساسيا من أركان التنمية الشاملة . وهي تخضع في كل قطر عربي لرؤية سياسية معينة . ويكاد ينحصر سبيل الخلاص لتجاوز المفارقات في فكرة الوحدة والتنوع في الثقافة العربية المعاصرة ، وهي التي تسمح باستمرار التعاون ، وتحقيق خطوات ايجابية ثابتة على درب الوحدة الثقافية . إننا نخالف أولئك الذين يشعرون بالتناقض بين خطة عربية موحدة للثقافة وبين مظاهر التنوع الطريف الخلاق هنا وهناك .

إن مظاهر التنوع هذه لا تقف حائلا دون وضع استراتيجية وحدة للثقافة العربية ، فالاستراتيجية تتجاوز ذلك التنوع لتخطط لمظاهر الوحدة ، وهي تمثل السمات البارزة في الثقافة العربية المعاصرة ، ويعد تراث الحضارة العربية الاسلامية من اقوى دعائمها ، وقد عرفت هذه الحضارة مظاهر تنوع خصبة بالرغم من وحدتها الشاملة .

ونلمح في هذا الصدد إلى أن المؤتمر العام لمنظمة اليونسكو في دورته العشرين المنعقدة بباريس في الخريف الماضي قد نوه « بأن تأكيد الذاتية الثقافية ، لا يعني مطلقا انطواء المجتمع على نفسه ، بل هو على العكس من ذلك ، أساس التقدير والتفاهم المتبادلين بين الثقافات . وبأن عالمية الثقافة إنما ترتكز على خصوصية اسهامات المجتمعات الانسانية المختلفة وتنوعها » .

إن التفكير في وضع استراتيجية عربية للعمل الثقافي يعد خطوة إيجابية في سبيل دعم التعاون الثقافي العربي ، وتوحيد اهدافه وأساليبه . وليس من المبالغة في شيء اذا اعتبرنا اجتماع وزراء الثقافة العرب بصفة دورية مرة كل سنتين لبحث قضايا مصيرية في الحياة الثقافية للأمة العربية ، والاتفاق على حد أدنى من البرامج المشتركة لتنفيذها أمرا ذا شأن يدعو الى التفاؤل بمستقبل الثقافة العربية ؛ فبالرغم من أن هياكل الدولة العصرية ما تزال فتية يافعة في جل الأقطار العربية ؛ فقد أصبحت السياسة الثقافية فيها تحتل مكانة بارزة ، وبدأت مفاهيم التخطيط الثقافي ، والتنمية الثقافية تشق طريقها ، ويتضح معناها ليس لدى أفراد النخبة فحسب ، بل لدى عدد كبير من الجماهير العربية ، وقد كان لوسائل الاتصال الجماهيري دور خطير في هذا التطور السريع . ومن هنا جاء التأكيد على ضرورة مراعاة كل دولة للنمو الاقتصادي ، والتقدم التكنولوجي في وضعها للخطط الانمائية في المجال الثقافي ، وهي نقطة أساسية لا مناص من أخذها بعين الاعتبار في وضع استراتيجية ثقافية عامة تتجاوز الظروف المحلية لتقطع خطوة نحو عمل ثقافي أشمل يركز على مظاهر الوحدة والتكامل .

وتنطلق فكرة الاستراتيجية في تحديد أهدافها من التوصية الأولى للمؤتمر الأول للوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافية في الوطن العربي (عمان - ديسمبر 1976) التي تنص على أن تكون من أهداف السياسة الثقافية في الوطن العربي الغايات الأساسية التالية :

أولا - ترسيخ المفهوم الصحيح للثقافة العربية من حيث هي ثقافة قومية وانسانية معا تستند الى أصول الأمة العربية وتراثها ، وتستوعب في الوقت نفسه تيارات العصر ، وتدرك آفاقه ، وتشارك مشاركة ايجابية متفتحة ، أخذاً وعطاء في تقدم الحضارة العالمية .

ثانيا - تكوين الشخصية المتكاملة للانسان العربي ، وتهيئته للوعي بتراثه ، والانتماء لأمته ، وقيمها الأصيلة ، واعداده لمعايشة عصره ، واستيعاب معطيات الفكر الحديث ، والثقافات العالمية المعاصرة ، وصقل فكره ووجدانه ليكون قوة فعالة في التقدم الحضاري لوطنه .

ثالثا - تحقيق ديمقراطية الثقافة بالوسائل التي تكفل شيوعها وانتشارها بين المواطنين .

وجاءت الاشارة الى هذه الأهداف مرتبطة بقضايا معقدة تعترض سبيل كل مخطط للعمل الثقافي في البلدان النامية بصفة عامة ، منها ما لمحنا اليه من تطور تكنولوجي سريع ، وما يرافقه من اختلال التوازن في حياة الانسان إذا لم يخطط له مناخ ثقافي وفني يمكنه من صقل مداركه الفنية ، ويبعده عن مظاهر التمزق والتأزم ، وقد أدى ذلك التطور السريع إلى سيطرة ظاهرة التخصص في حياة المجتمع الحديث ؛ فلا بد هنا من سياسة ثقافية ديمقراطية تخرج بالانسان من نطاق تخصصه الضيق الى رحاب الثقافة والفنون ، وما تقدمه إلى الانسان من غذاء فكري وروحي .

ومن القضايا المعقدة التي نلمسها بالخصوص في البلدان السائرة في طريق النمو مثل الأقطار العربية هو عجز النظام التربوي عن تكوين المواطن العربي الجديد ذي الشخصية المتكاملة . إننا نستطيع أن نتحدث عن نهضة تعليمية كبرى ، ولكن الجانب التربوي فيها ضعيف ، وهذه الظاهرة تؤكد ضرورة وجود سياسة ثقافية هادفة ومكملة للنظام التربوي من أجل تنشئة المواطن العربي الجديد تنشئة تحمل ملامح معينة .

وهناك مشاكل من نوع آخر تحول دون أداء السياسة الثقافية لرسالتها في البلاد العربية نذكر منها عدم وضوح أهداف السياسة الثقافية في بعض الأقطار ، وضعف الاعتمادات المخصصة للقطاع الثقافي ، وهناك مشكلة أشد تعقيدا ، ونعني التفاوت الاقتصادي والاجتماعي بين المدينة والريف ، وهي ظاهرة تؤدي حتما إلى حرمان فئات كبرى من ثمرة العمل الثقافي ، ومن هنا جاء إلحاحنا في مطلع هذه الخواطر على جدلية العلاقة بين الهياكل الثقافية والهياكل الاقتصادية والاجتماعية ؛ فنتائج الظاهرة الديمغرافية المشار اليها تتجاوز التخطيط الثقافي لتؤثر في جميع مظاهر السياسة الانمائية في الريف العربي .

وتتم عملية المخاض هذه تحت ضغط ظاهرتين خطيرتين : -

- ظاهرة محاكاة أنماط غربية بعيدة عن الظروف الموضوعية لأوضاعنا ، فهي - إذن - في نشاز واضح مع مقومات الثقافة الوطنية الأصيلة -

وظاهرة الغزو الثقافي والاستلاب الفكري ، وهي ظاهرة تستعمل أحدث وسائل الاتصال ، ولا تؤثر فيها غربلة ، أو حتى مراقبة شديدة ، فلا بد من مراقبة ذاتية ، ووعي ثقافي يعمم في صفوف الجماهير العربية يمكنها من الفرز بين الغث والسمين ، والتنبه الى أهداف هذا الغزو ، واننا لمدركون لما يحتاج اليه نشر هذا الوعي الثقافي من كبير جهد ، وطول نفس .

إن الغربلة والمراقبة لا مناص منها في مرحلة معينة ، ولكنها لا يمثلان - في نظري - الحل الأمثل والنهائي ، فلا بد من الترياق الثقافي ، إن صح هذا التعبير .

فلا غرو - إذن - أن تكون أهم قضية تطرحها وثيقة الاستراتيجية هي قضية « الهوية الثقافية العربية » ، وهي تمثل - في نظرنا - حجر الزاوية في الاستراتيجية الثقافية المطروحة للنقاش ، وتعترف الوثيقة بذلك قائلة :

« إن موضوع الهوية الثقافية ، هي منطلق الحركة العربية ، في كل مجالات الوجود العربي ، ومهما يكن من اختلاف وجهات النظر العربي ، في كثير من القضايا الاجتماعية والسياسية ، فان الثقافة سوف تظل هي نقطة البداية ، ونقطة اللقاء ، ونقطة الانطلاق ، وهي قوام الشخصية العربية التي بها يعرف العرب ، وهي التي أصبحوا بها ما هم » .

وترتبط بقضية « الهوية الثقافية » ما اشرنا إليه من فكرة الوحدة والتنوع في الثقافة العربية ، وموقفنا من تراث الحضارة العربية الاسلامية وهو موقف تتنازعه اليوم تيارات شتى .

ونأمل أن تساهم هذه المجلة في اعدادها القادمة في بلورة هذا الموضوع الخطير المطروح أمام النخبة المثقفة العربية للمساهمة في صقل معالمه ، وترسيخ مفاهيمه .

ونريد في هذا الصدد التنبيه إلى إشكالية ملحة ينبغي بحثها في اطار وضع استراتيجية للثقافة العربية ، ونعني بذلك اشكالية المفاهيم الثقافية ، فهي ما تزال في حاجة أكيدة الى التوضيح والبلورة ، فهي تختلف من بلد الى آخر ، وتتباين في البلد الواحد ؛ فقد حان الوقت لخوض معركة المفاهيم والمصطلحات في هذا القطاع الحيوي ، وهي ليست معركة زائفة . إننا نعتقد أن هذه الاشكالية ستكون احدى العقبات الكأداء أمام وضع خطة ثقافية عربية موحدة .

كان موضوع الاستراتيجية الثقافية يمثل أهم القضايا التي ناقشها المؤتمر ، ولكنه لم يكن الموضوع الوحيد . فقد تناول المؤتمر بالدراسة موضوعات أخرى ذات أهمية في الحياة الثقافية العربية نقتصر على الاشارة إلى أبرزها . وفي طليعتها « الخطة الثقافية المتوسطة المدى بالمنظمة » (1978 ـ 1983) . فبعد أن مرت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بالمرحلة التأسيسية ، ثم بمرحلة القضايا النوعية ، فمرحلة التأصيل التي تمتد الى نهاية هذا العام شرعت فيما أسمته بمرحلة التطلع . وهي المرحلة المستقبلية التي تستلزم وضع خطط ثقافية مختلفة المراحل . ونعتقد أن تخطيط المشاريع الثقافية في حياة المنظمة سيجعلها تقطع مرحلة جديدة وحاسمة تتسم فيها اعمالها بالفعالية ، وانجاز المشاريع الثقافية الكبرى على مستوى الوطن العربي كله .

ونعد « الخطة الثقافية المتوسطة المدى » أهم الخطط التي وضعتها المنظمة ، وأكثرها دقة واحكاما ، وهي خطة تهدف الى :

ـ توجيه عناية خاصة بالتراث العربي الاسلامي الفكري والحضاري باعتباره مصدر الشخصية المتميزة لأمتنا .

ـ والى اعادة كتابة تاريخ الفن العربي الاسلامي بأسلوب عصري ، وقراءته برؤية عربية اصيلة محررة من عيوب النظرة التقليدية التي نظر بها اليه كثير من المؤلفين الأجانب .

ـ والى العناية بالأبحاث الثقافية كوسيلة لتمحيص المشكلات وعلاجها ، والتعرف الى الواقع الثقافي للافادة منه في رسم معالم المستقبل .

ـ والى الحفاظ على الشخصية الثقافية للأمة العربية ، والعناية بالفكر الاسلامي باعتبار دوره في حفظ كيان هذه الأمة .

وتشمل الخطة في تفاصيلها ميدان الآثار والمتاحف ، ومشروع إصدار موسوعة للمسكوكات الاسلامية ، وموسوعة حضارية عن الفن العربي الاسلامي ، وانشاء مركز للآثار الفلسطينية ، وميدان المسرح العربي ، والعناية بفنون الأطفال العرب ، وتهتم أيضا بالبحوث والدراسات الثقافية ، وبحركة الترجمة والتعريب ، وبتوفير مراجع أساسية في الحضارة العربية ، وبالعلاقة المتينة بين الثقافة العربية ، والثقافات الافريقية ، وغيرها من الميادين التي تكشف عن الأهداف الكبرى للمنظمة في المجال الثقافي بالرغم من الصعوبات المادية والبشرية التي ما زالت تعترض سبيلها في سعيها الحثيث نحو توحيد العمل الثقافي العربي .

ولا نغفل في هذا الصدد عن الاشارة الى موضوعين أساسيين من موضوعات اعمال المؤتمر ، وهما موضوع « الموسوعة العربية » التي تهدف المنظمة من ورائها الى توفير دائرة معارف عربية تتيح للمثقف العربي أن يطلع على ما توصل إليه الفكر الانساني في شتى حقول المعرفة قديمها وحديثها انطلاقا من أسس رؤية عربية ، ولا سيما فيما يتعلق بتاريخ العالم العربي الاسلامي وحضارته .

أما الموضوع الثاني فيتعلق ببرنامج المنظمة للاحتفال بمرور أربعة عشر قرنا على الهجرة النبوية الشريفة ، وهو برنامج ثري يهدف الى الكشف عن مسيرة الحضارة الاسلامية خلال هذه القرون ، والعطاء الذي قدمته للانسانية الأسس والمبادىء والأفكار الاسلامية . وقد كان هذا القرن هو قرن التحدي للأمة العربية الاسلامية بما عرفته من نظم استعمارية ، ومحاولات تبشيرية لطمس معالم الحضارة الاسلامية ، والثقافة العربية ، ووقفت هذه الحضارة صامدة متحدية ، وظهرت حركات التجديد والاصلاح في شتى انحاء العالم الاسلامي ، وبرزت النهضة العربية الحديثة لتؤكد حيوية الثقافة العربية ، وقدرتها على الدوام في خضم التيارات العالمية المختلفة .

وينبغي الا يقتصر الاحتفال بمرور القرن الرابع عشر على تحليل الماضي بالرغم من اهمية الأحداث الاسلامية والعالمية التي عرفها هذا القرن ، بل لا بد من استشراف المستقبل ، وتحديد الرؤية المستقبلية للمجتمع العربي الاسلامي خلال القرن الجديد .

وهنا نعود الى نقطة الانطلاق التي لمحنا اليها ، وهي أن جميع هذه الخطط الثقافية ، والمشاريع الهادفة تحتاج الى خطة ثقافية عربية موحدة في أسس انطلاقها ، وفي أهدافها ، وحدة ثقافية تغذوها روافد التنوع في الثقافة العربية المعاصرة ، فهي روافد مثرية ومكملة ، وليست متناقضة مع الوحدة الثقافية التي تمثل الهدف الأسمى للتعاون العربي في المجال الثقافي .

الحبيب الجنحاني

زنابق

تتساءل عني الأطيار
تتناول زنبقة الوادي
وأنا مازلت هناك ابن زيدون
يفتش عن ولادة في بهو النادي
سأحدثكم عن طفل يشنق في
وطفل يأكل من عرقي خبز الشعر
وعن الأنهار الزرق تسافر في بلد السحر
قالت مولاتي
رأيت ديارًا يسكنها رجل واحد
ورأيت على الساحات نهارًا
يمشي إلى ليل ساهد
ما أجمل ليل بلادي يا أطفال!
وقت يتعاقب
أنت سماؤك من وطن الزرقة
وأنا من أرض ران عليها الغيم
سحرًا أتنزه في عينين
فصادفني قمر أخضر
أتنزر بالعمر الأخضر
أنا أبصرهم في همهمة الأوراق
صفار الطهر تساقط من دمع الأوراق

لِلأطفالْ



خذ مني حديثا يطلع من أعماق الفرحة
أكتبه في دفتر طفل عاش معي من أزمان
وأنا يا أمي طفل الأمس وطفل اليوم
أبدا أتحدث عن جدول
أتتبع عينا ظامئة
تتهامس والزمن الأول
خذ مني حديثا كان معي
عن [illegible]
[illegible] طفل عربي
عربي [illegible] في اللفظ المسجون من المعنى
مرت عنه الأيام ولم يكبر
حملته في الصيف به شجرة
وغذته لبان الشعر شجاعا كان
يتخطر يرمي السهم على بعد فيصيب المرمى
ساعده من صخر كان
يتصاعد منه الصوت إذا ما صاح
فتحسبه الآذان
قد كان غريبا من بين الأطفال
وعاش ومات ولم يكبر
يتعقبني أنا هذا الطفل
فأحسبه يتجسم فيكم يا أطفال
كالنسغ يروي عروق الأشجار
كالفرحة تغزو قلوب الأطيار

محي الدين خريف

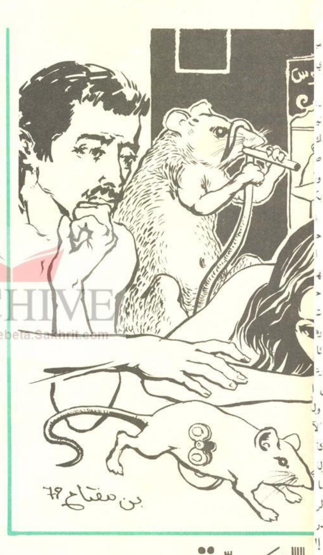


زمن الفئران المي

تتحدث زوجتي على الفار تقول : « ذلك الحيوان الرمادي الصغير الذي يبعث في الرعب دائما لأني أتخيل أنه قادر على التحرك بسرعة تفوق سرعة كل الأشياء المتحركة الأخرى وفي كل الاتجاهات وكأنه يعرف مسبقا الاتجاه الذي يتحول إليه ... وفي النهاية لا أستطيع أن أتصور إلا أنه سيقع على صدري ... » . وكانت زوجتي عروسا ، وكنت مغرما بالتحديق في ثيابها الداخلية التي تعرضها للشمس وقت القيلولة . وكان الوقت صيفا ، وكان صيفا بحرارة مرتفعة في مدينة كسولة بعرق كثير . وكنت أحدثها عن كل الحب الذي في أعماقي وذلك شيء طبيعي . وكان الحب يملأ الهواء من حولنا . لذلك كنا نعرض ثيابنا الداخلية معا للشمس ونستلقي على الفراش لكي ننصت إلى الفأر وهو يتحرك في صوان الثياب . وبذلك الشكل كانت تمر القيلولة .

عندما أتحدث إلى زوجتي كنت أحاول أن أقنعها أن السنوات العشرين هي أفضل ما في حياة الانسان . وأفضل ما في السنوات العشرين شهر العسل . وأفضل ما في شهر العسل الأوقات التي يستلقي فيها الانسان على الفراش مع عروسه . وأفضل ما في تلك الأوقات هو أن لا يجد الانسان لا الوقت ولا الرغبة في الكلام . وكانت زوجتي تضحك وتهرب إلى الجانب الآخر من الفراش وتقول من هناك : إن في كلامي الكثير من الادعاء . ثم تسكت هي ، وأسكت أنا . ونبقى ننصت إلى حركة الفأر في صوان الملابس وبذلك الشكل تمر القيلولة .

عندما وقفت أمام صاحب الفندق وقلت له ـ بعد أن سلمته مفتاح الحجرة ـ إن فأرا ما يوجد في صوان الملابس ، ويمكن أن يقرض بأسنانه الحادة البعض من ثياب زوجتي ضحك الرجل وقال : « تريد أن تقول فأرا ميكانيكيا كتلك اللعب التي تتحرك تحت تأثير لولب ما وتكون تتحرك بسرعة كبيرة ؟ .. » وضحك الرجل . ثم أضاف : « لأجل ذلك كان هذا الفندق يحمل اسم « ميكي ماوس » . نحن هنا نضع في صوان الملابس فئرانا صغيرة من ذلك النوع لأن ذلك يدخل البهجة على النفس خاصة عندما تكتشف ذلك امرأة ... ولكن يحدث دائما أن



انيكية

قصة :
أحمد ممو

يضحك الجميع في النهاية ... ،، وكنت أريد أن أقول للرجل : إن الفأر الذي أتحدث عنه ليس فأرا ميكانيكيا . ولكن صرخة فزع منبعثة من حنجرة نسائية جاءت مفاجئة وقوية وصادرة من حجرة قريبة.ثم أعقب ذلك قهقهات عالية ، ووجد الرجل الفرصة مواتية لكي يضيف : « أرأيت ؟ ... هذا ما يحدث غالبا . وبذلك الشكل يكتشف نزلاؤنا أن نساءهم تخاف الفئران مهما كانت صغيرة ومهما كانت ميكانيكية ... » .

تتحدث زوجتي عن الفأر تقول : « لم أكن أتصور أن شخصا ما يمكن أن يصنع من تربية الفئران هواية ثم يعرض تلك الفئران في أقفاص كما تفعل ذلك حدائق الحيوانات ... يبدو أن صاحب هذا الفندق قد أصابته عقدة الفأر لكي تكون له كل هذه المجموعة من الفئران ... ثم هو يرسمها في كل مكان ويفرقها لعبا في الحجرات ويعرض مجلة ميكي ماوس في مكان وكأن حضارتنا تقوم على مفهوم الفأر .. ،، وكنت في حاجة إلى أن تسكت زوجتي وأسكت أنا أيضا وكنت أعلم أنه يجب أن أفاجئها وهي تتحدث لكي لا تهرب إلى الطرف الآخر من الفراش . وكانت القيلولة تمر وكانت ثيابنا الداخلية معلقة في الشرفة ... وعندما تسارعت أنفاسنا بدأ الفأر يتحرك في الصوان . في البداية كان تلاحق أنفاسنا يطغى على صوت حركة الفأر ولكن ذلك لم يدم طويلا . وبدأ كل منا يتراجع إلى الطرف الآخر الذي تحرك منه وفي النهاية غلفنا الصمت وبقيت الحركة صادرة من صوان الملابس وبدت بذلك الشكل حرارة القيلولة خانقة . وفكرت أنها ستكون المرة الألف التي سأنهض فيها لكي أفتش عن الفأر بين الملابس . وكنت أدرك مسبقا أني لن أعثر عليه . ومع ذلك فقد نهضت وفتحت الصوان بحذر وتوقفت أصوات الفأر وبدأت أخرج الثياب قطعة قطعة إلى أن وضعتها كلها على الكراسي . وعندما نظرت إلى زوجتي وجدتها تحدق في بنفس العينين الساخرتين اللتين قالت بهما في اليوم الأول : « أوتظن نفسك قادرًا على القبض على مثل ذلك الكائن الصغير ؟ .... ألا تعرف أنه يتوصل دائما إلى الاختباء في الأماكن التي لا تخطر على بال الانسان .. » .

ورغم أني ككل المرات السابقة كنت متأكدا أن جانبا ما من الصحة يكمن في كلماتها تلك إلا أني اتخذت كل الوضعيات الممكنة داخل الصوان لكي أبحث عن الفأر . وكانت النتيجة أني أحسست بكُل العرق الذي أفرزه جسدي . وكان يجب أن أدخل الحمام ثم أتمدد في الحوض وأبقى أنصت إلى الماء وحركات زوجتي وهي ترجع الثياب إلى مكانها من الصوان ثم وهي تأتي في اتجاه الحمام . وكان يجب أن ننسى معا صوت الفأر ، عندما جمعنا الحوض . وكان يجب ألا نفكر أيضا أن القيلولة قد انتهت وعلى حديد الشرفة كانت ثياب زوجتي الداخلية تتلقى أشعة الشمس .

عندما جلسنا للمرة الأولى للعشاء في مطعم النزل ، وقدم لنا الصبي قائمة الأكل تحت صورة ميكي ماوس وهو يتمنى لنا أكلة طيبة،كانت زوجتي تضحك بكثير من الانطلاق لأن هناك من أفهمها أن العروس يجب أن تبتسم دائما في الأيام الأولى إذ لا يعقل أن يقول عنها الآخرون عروس كئيبة . وبقيت زوجتي تبتسم طوال العشاء إلى أن جاء الصبي لكي يأخذ طلباتنا فسألته :

- ألا تقدمون طبقا بلحم ميكي ؟ .

- متأسف يا سيدي ؟ ... هذا الطبق قد يكون انتهى ما دام لا يوجد على القائمة .

وكانت زوجتي في حاجة إلى الضحك ووجدت الفرصة ملائمة . ولما جاء الصبي بطلباتنا لاحظت زوجتي أن اللحم يقدمونه مفروما ، فقلت لها : « قد يكون ذلك لكي لا نتفطن إلى أنه لحم فأر ؟ ... » . وكانت فرصة لكي تضحك زوجتي ويلاحظ الآخرون أسنان العروس البيضاء . وكانت هي تمطط *ابتسامتها وتزداد التصاقا بي .*

في تلك الليلة بعد أن نشرت زوجتي *ملابسها الداخلية على* حديد الشرفة وأطفأنا النور واستلقينا معا على الفراش نسترجع أنفاسنا بدأت أحدث زوجتي عن الفئران في حينا ... تكون كبيرة ورمادية وتسكن الخنادق . ويحدث أن يطل أحدها من البالوعات فيبرز رأسه ثم يخرج كامل جسده ثم يقعي على مؤخرته ونكون نحن الصغار ننظر إليه من بعيد لأننا نعلم جيدا أن أحد تلك الجرذان كان قد أقعى بذلك الشكل في يوم ما . وصادف أن كان أحد قطط حيّنا متمددا في الشمس عندما بدأ يتفطن إلى وجود الجرذ ، لذلك شد عضلاته وانقض على الجرذ وبكل اطمئنان تلقاه الجرذ . وكانت عضة واحدة من أنيابه كافية لكي تجعل القط يتراجع ثم يرخي ذيله ثم ينسحب .... هكذا كان الآخرون يتحدثون في حيّنا عن الجرذان . وكنا نؤمن بصحة تلك الحكايات لأن كل القطط اختفت من حينا منذ بدأت رؤوس الجرذان تطل من البالوعات ... وعندما يقعي أحد جرذان حينا على مؤخرته بذلك الشكل ويشرع في تنظيف جسده بلسانه فإن الصمت يجمد حركة الجميع في الحي لأننا نعرف أن أقدامنا الحافية يمكن أن تصيبها تلك الأنياب . وما زال في حينا من يتحدث عن ذلك القط - قط الحاج جربوع - الذي عضه الجرذ ، وكيف أن القط ظهرت عليه علامات الارهاق ، وكيف أنه عض أحد الأطفال ، وكيف أن ذلك الطفل أخذ يهذي من الحمى ، وكيف جاء فريق من رجال المستشفى لا بسي المناديل البيضاء لكي يبحثوا عن القط .... وكان يجب أن أتفطن إلى أن زوجتي قد نامت على ذراعي ، وعرق جبينها على صدري . وكانت الليلة بحرارة خانقة وكان صوت الفأر يصدر عن الصوان واستمعت إليه طويلا إلى أن غلبني النعاس .... كنت أفكر أني في الغد سأحدث زوجتي عن الفأر وسنبدأ يومنا بالصيد كما كان يفعل الصغار في حينا عندما تنمو أظافرهم قليلا .

كانت قاعة المطعم قد تحولت في تلك الليلة إلى مسرح صغير بكثير من الشموع . كان الكثير يقهقهون . وكانت زوجتي *قريبة مني . ولم تكن تبتسم . قالت : « اجد لهذا اللحم مذاق لحم الفأر ؟ ... هم لم يجدوا له غير اسم » صحن* ميكي » ! .. » كانت تلك هي نهاية الأسبوع في ذلك الفندق وبدت القاعة غاصة لأن الجميع ينتظر بداية الاستعراض . وطال العشاء لكي يأتي في نهايته صاحب الفندق بصدريته الحمراء وشاربيه الطويلين - على طريقته الماوسية - وبعد

عاصفة من التصفيق قال :

« عادة ما يكون الانسان فكرة خاطئة عن كثير من الحيوانات لمجرد أنه تعلم أن ينظر إليها من وراء قناع إنسانيته . ولتسمح لي السيدات بأن أقول بأن هذا ينطبق وبالخصوص عليهن وعلى نظرتهن للفأر ... ولكن عندما يتصور الانسان نفسه قادرًا على النظر إلى حركة مدينة ما أثناء النهار فسيكتشف أن حركتنا تشبه إلى حد بعيد حركة مجموعة من الفئران الميكانيكية ... نتحرك في كل الاتجاهات لكي ننتهي إلى التوقف أو إلى الموت أمام الحواجز .... ولنتصور فأرا كبيرا مثل « ميكي ، ماوس » يمكن أن يتضخم إلى الحد الذي ينظر فيه إلى هذه المدينة من فوق فماذا تظنون أنه سيرى في تلك الحركة ؟ ... لكن كل هذا لا يهم . إنما أردت أن أبين لكم أن الفأر مثل أي حيوان آخر له جاذبيته الخاصة ، ويمكنه أن يتقمص حركات الانسان أيضا .. » .

وشرع صاحب الفندق في استعراض مجموعته من الفئران ، وعندما جاء دور الجرذ الكبير الذي يلبس صدرية حمراء مثل صاحب الفندق انقطعت الموسيقى لكي يضع صاحب الفندق الكثير من التشويق في تقديمه. ثم انتصب الجرذ على قائمتيه الخلفيتين لكي ينظر إلى القاعة. وعندما تأكد أن أنظار الجميع مشدودة إليه أقعى على مؤخرته وأمسك بذيله يمسد به شاربيه . ثم تناول السيقارة التي قدمها له صاحب الفندق ... وقالت زوجتي إن العشاء يثقل معدتها وأنها في حاجة إلى الهواء وأسرعت إلى الخارج . عندما أبطأت انطلقت أبحث عنها لأجدها في الفراش . كانت شاحبة تنظر إلى الثقب الذي أحدثته أسنان الفأر في ثيابها الداخلية . قالت إنها كانت قد تركتها فوق الفراش بعد أن نزعتها من فوق حديد الشرفة .

في تلك الليلة حدثتني زوجتي عن ذلك الفأر الذي قفز ذات ليلة على وجهها عندما كانت نائمة مع أختها في الفراش . وفي طريقه للهروب وقع الفأر على صدرها ودخل تحت ثيابها . وكان ذلك كافيا لكي يجعلها توقظ كل العائلة بصراخها وكيف أنها منذ تلك الحادثة بقيت تستيقظ أحيانا صارخة في نومها . عندما أنهت زوجتي حكايتها كنت أدغدغها في صدرها وأطلب منها أن تصرخ لأني قد قررت في ذلك الحين أن أصبح فأرا من أجل التوغل تحت ثيابها .

وعندما وقفت أمام صاحب الفندق لأؤكد له أن الحجرة التي نسكنها تتحرك فيها الفئران ليلا أكد لي أن الفئران الحقيقية الموجودة في النزل لا يمكن أن توجد إلا في الأقفاص التي يعرض فيها مجموعته . عندما حدثته عن الثقب الذي تركه الفأر في ثوب زوجتي انفجر ضاحكا لكي يقول : « لم أكن أعلم أن الفئران أيضا تصاب بالعقد الجنسية ... ! أسمح لي يا سيدي أن أفكر أن هذا الفأر ذو ذوق جيد لكي يختار الثياب الداخلية لعروسك ... » . ثم حاول بعد ذلك أن يقنعني أنه يستعمل جميع مبيدات الفئران في كل الأماكن بشكل لا يدع الشك في أي فأر يمكن أن يوجد خارج أقفاصه . بدأت أشعر أنني لن أخرج بنتيجة مع هذا الرجل الذي يمكنه أن يقضي كل حياته متحدثا عن الفئران ... التفت إلى زوجتي لكي استنجد بها وجدتها واقفة أمام الجرذ الكبير . كان مقعيا على مؤخرته ماسكا ذيله . كان ينظر إليها كما كانت تنظر إليه . اقتربت منها . قالت : « لا أتصور أن حيوانا ما يمكن أن يبعث في نفسي التقزز أكثر من هذا ... » فكرت أن كل الجرذان التي تسكن بالوعات حينا هي أسوء حظا من هذا الجرذ لأنها لا تلبس صدريات حمراء مثله وتعيش كامل حياتها في المياه العكرة .

عندما خرجت زوجتي من بيت الحمام وهي تشكو حرارة المدينة وكثرة العرق كنت واقفا أمام صوان الملابس أنظر إلى ذلك الثقب الكبير الذي تركته أسنان الفأر في سروال كسوة العرس . انقطع صوت زوجتي عندما تفطنت أني واقف ذاهلا بكثير من البلاهة لكي تبقى يداي معلقتين إلى السروال بذلك الشكل . كانت تسألني عن سبب وقوفي في الوقت الذي كانت قد فيه عنقها لكي تنظر إلى الثقب الذي في مؤخرة السروال بكل ما في حواشيه من تعرجات صغيرة تنتهي في استدارتها إلى شكل دائري كما يمكن أن يكون ذلك في ثقب تحدثه أسنان فأر ما . لم أكن في حاجة إلى الاجابة عن تساؤلها . جلسنا على حافة

الفراش ننظر معا إلى السروال الممدد أمامنا بكل ذلك الثقب الذي يحتل مؤخرته . كان يجب أن أضحك في النهاية وأؤكد لزوجتي أن ما حدث قد يكون وقع صدفة . ولكن يمكن أن يكون قد حدث أيضا بنية مبيتة . وفي جميع الحالات وبكل البرودة التي يمكن أن ألوّن بها مزاجي لا يمكن أن أعتبر ذلك الحدث إلا مزاحا ثقيلا حتى في صورة كونه صادرا عن فأر .. نهضت زوجتي لكي تنشر ثيابها الداخلية على حديد الشرفة ثم تمدد كل منا على الفراش في هدوء وتظاهر بعدم المبالاة . كنت أشعر أننا نزداد اقترابا من بعضنا . في ذلك الحين كنت أفكر في ذلك الشيخ الذي كان يبيع مصائد الفئران الخشبية في حينا . كان هو نفسه الشيخ الذي عض قطه جرذ كبير في يوم ما .

بدأت أسير بأفكاري على الطريق المؤدي إلى حانوت ذلك الشيخ . كان ذلك عندما تسارعت أنفاس زوجتي ثم انتظمت ثم سكن صوت تنفسها وبقيت أنظر إلى عينيها المغلقتين ..

ثم بدأ الصوت يصدر عن الصوان كما يحدث ذلك دائما أثناء القيلولة . بقيت أنصت الى ذلك الصوت إلى أن شعرت أن ذلك لا يمكن أن يستمر أكثر ... لما أزحت الثياب من فوق لكي أنتهي إلى ثياب زوجتي الداخلية انقطع الصوت .

كنت قد عاينت المكان الذي يصدر عنه الصوت . واصلت - بكثير من الحذر - إزاحة الثياب إلى أن لاحظت حركة خفيفة من تحت الثياب الداخلية لزوجتي . قد أكون أقل حذرا مما يجب وقد أكون جمعت كل شجاعتي لكي أقبض بكل ما في يدي من قوة على تلك الحركة ، ولكن كل ذلك لم يمنع الفأر من أن يفلت لكي يتسلل إلى شق في الجهة الأخرى من الصوان وتحت يدي كان هناك جسد رمادي صغير يحاول أن يفلت .. وكنت في حاجة إلى أن أمد ساقي إلى الأمام قليلا وأرفع صوتي بصيحة الانتصار كما يفعل ذلك طرزان ... جاءني صوت زوجتي من أعماق الأحلام : « ماذا ؟ ... هل أفلت منك مرة أخرى ؟ ... » . وكانت السخرية واضحة في صوتها . ولكني هذه المرة كنت أنا أيضا قد أعددت لصوتي ما هو في حاجة إليه من سخرية : « لقد أفلت ولكنه ترك لي عروسه » .

أضفت بعد أن نظرت إلى أعماق عينيها : « كان يمكنه أن يكون أكثر تعلقا بها لكي لا ينجو بنفسه فقط » . كان أنف الفأرة التي بين يدي قد اكتسى حمرة داكنة بعد أن فقد جسدها كل حركته . امتدت تلك الحمرة الداكنة تلوث الثوب الأبيض الذي كنت ممسكا به عندها شعرت كم هي قذرة الأشياء التي تحدث بهذا الشكل . تركت الفأرة تقع على الأرض لكي أقف أمام المرآة طويلا أنظر إلى وجهي ثم اتجهت إلى بيت الحمام لكي أغسل يدي المرات العديدة . عندما عدت كانت زوجتي تقف وسط الحجرة ناشرة بين يديها ذلك الثوب الأبيض ببقعته الحمراء الداكنة ، وكان هو نفس الثوب الذي أحدث فيه الفأر الثقب في المرة الماضية .

- الآن وقد أصبح أرملا سيعرف أن حركته لن تقربه إلا من الموت أكثر ... ! سأترصده ولو كلفني ذلك وضع أنفي عند مدخل الشق الذي اختبأ فيه .

- وهل يهم ذلك كثيرا بعد أن ترك هذا الثقب وبقي ثوبي ملوثا بالدم ؟ ...

سألت زوجتي عن عقدة الفأر التي تحدثت عنها في يوم ما فقالت : « كيف ؟ .... ألا تعرف عقدة الفأر ؟ ... أولئك الرجال الذين يفتلون شواربهم ويترك كل منهم ذنبه يتأرجح بين رجليه ثم يباعد كل منهم بين رجليه لكي يترك بطنه المنتفخة تأخذ توازنها ، ويتحدث جميعهم عن العدالة الاجتماعية في الوقت الذي يتصور فيه كل منهم أن القط يمكن أن يبرز في أي لحظة .... عقدة الفأر هي أن يصبح الانسان يعتقد أنه يكتنز من أجل قط ما .. ! » .

عندما سكتت زوجتي قلت لها : إنها تبدو هذا الصباح ذات استعدادات خاصة لتعميق أفكارها من خلال كلماتها . قالت : إنها تحد أن قتل فأر فوق ثوبها قد أفسد مزاجها .. ثم استُلقت

كل شيء إلا

على الفراش لكي تقلب صفحات مجلة للأزياء . ولم أجد أشياء أخرى أقولها لها ، لذلك أمسكت الفأر الميكانيكي وبدأت أدير لولبه . ثم تركته يتجول في أنحاء الغرفة . وكنت أحاول أن أرسم مسبقا في أفكاري المسار الذي ستتخذ حركته . ولكن رغم كل ما في أعضائه من ميكانيكية إلا أنه عرف مسبقا المكان الذي يتحول إليه . كنت منبطحا على أرضية الغرفة أتابع تحركات الفأر الميكانيكي عندما رفعت رأسي وتفطنت إلى أن زوجتي قد تركت مجلة الأزياء وأسندت رأسها إلى مرفقها لكي تراقبني . قالت : ،، هل تفطنت إلى أنك طفل تماما في وضعك هذا ؟ .... لم أكن أدرك أن حنينك إلى الطفولة هو على هذه الدرجة ... ،، .

ـ وماذا تنتظرين لكي تصبحي طفلة بدورك ؟ .

ولم أكن في حاجة إلى شدها من ساقها بقوة لكي تستلقي على بطنها إلى جانبي فوق أرضية الغرفة . كنت قد أدرت لولب الفأر الميكانيكي إلى نهايته وقهقهت إلى أن دمعت عيناي عندما قفزت زوجتي ، لأن الفأر الميكانيكي قد أخذ طريقه إلى صدرها . كان يجب أن تتصنع الغضب عندما قلت لها :

ـ يجب أن تكوني أكثر حذرا ما دام الفأر يعرف مسبقا المكان الذي يجب أن يتحول إليه ... ! ألا تجدين أن هذا الفأر أقل ميكانيكية من طبيعته لكي يختار جيدا الأماكن التي يتسلل إليها ؟ ...

كان يجب أن أقترب منها أكثر لكي أثبت لها أن كل ذلك ليس إلا هزلا . وبقينا ملتصقين مدة طويلة إلى أن أدركتنا القيلولة وانتهت . عندها نهضت زوجتي تبحث لها عن خيط وإبرة . عندها افتككت الخيط من يدها لكي أعلق الفأر الميكانيكي من ذيله إلى الفانوس الكهربائي وقلت لها :

ـ ماذا لو كان الرجل يعلق من ذنبه ؟ ...

ـ أنت لا تستطيع أن تتخلص من أثر حيكم في تصورك للأشياء وفي استعمالك للكلمات !

ـ أحس أن حنيني إلى البذاءة يتبرعم في هذه اللحظة لكي أقف الآن هكذا .

وفتلت شاربين وهميين ونفخت بطني وأفرجت ما بين ساقي وقلت لها :

ـ سأشتري اليوم مصيدة وسنقتل أسطورة الفأر .. !

قالت زوجتي : « إني أصبحت لا أستحي لكي أقف أمامها بذلك الشكل عاريا » . شرعت في ارتداء ثيابي التي كانت تقذفني بها . وكنت قد انطلقت بعد بأفكاري في أزقة المدينة أسعى إلى دكان الحاج جربوع الذي تزين بابه مصائد الفئران الخشبية من مختلف القياسات .

عدت من أزقة المدينة بتلك المصيدة الخشبية الكبيرة ذات السلك الأحمر النحاسي ، فوجدت صاحب الفندق وراء منصته يفتل شاربيه ويبتسم لكل من يفتح الباب . وضعت مرفقي على المنصة ووضعت أمامي تلك المصيدة الخشبية . حدثته عن ذلك الفأر الذي هرب لكي يترك رفيقته بنقطة حمراء على أنفها .

كان الرجل متماسكا بابتسامته وبيديه المشتبكتين على صدره . وكان ينظر إلى منبت الشعر في رأسي . ابتلعت بقية كلماتي عن مشروع صيد الفأر الذي كنت أنوي الحديث عنه . وضع يده على كتفي وجذب نظراته إلى مستوى واقعي لكي يقول :

ـ لا أفهم لماذا لا تحزم أدباشك وتحدث ضجة كبيرة وتترك هذا الفندق ؟

ـ سأقول لك شيئا فكرت فيه اليوم أثناء القيلولة عندما كنت أتابع حركة الفأر الميكانيكي : « الفأر الذي تتركه يتسلل إلى صوان ثيابك يمكنه أن يتسلل إلى كل الجوانب الأخرى من حياتك بما في ذلك الثياب الداخلية لزوجتك .. أما الفأر الذي ينتهي إلى المصيدة فلا يمكنه إلا أن يموت في أفكارك ... ! ،، .

ـ وأنا سأقول لك شيئا (وانحنى الرجل من فوق المنصة لكي يقرب فمه من أذني) : ان أي فندق آخر تذهب إليه لا بد أن تجد فيه فأرا أو أكثر في صوان الملابس ... لذلك أجد أنك عملي ـ كما يجب ـ لأنك قد فكرت في اشتراء هذه المصيدة ونفذت ذلك بسرعة .

ـ كان يجب أن أغوص وراءها في أزقة المدينة إلى حيث الرجل الشيخ الذي كان يحدثنا عن الطاعون عندما كنا نلعب أمام دكانه .

ـ ذلك الشيخ الذي يلبس صدرية « الميكي ماوس » ويفتل شاربيه على الطريقة الماوسية ؟ ...

ـ كنت في حاجة إلى أن اكتشف لماذا يتزوج الانسان عندما يقضي جزءاً من حياته في تعرجات أزقة المدينة ، ثم يفتح عينيه فجأة على أشعة الشمس ... عندما انتهيت إلى ذلك الزقاق اكتشفت أنه من البديهي جدا أن يبحث الرجل عن مصيدة مناسبة لوضعه تماما .

ـ سأقول لك شيئا آخر (وكان صوت الرجل قد أصبح خافتا وبدأ شارباه يهتزان) . عندما يجتاح الطاعون المدينة فإن الفئران تسقط قبل غيرها ... هل تعرف ما هي الفئران التي تنجو من الطاعون ؟ ... تلك التي تعمق طريقها إلى المصيدة ... هكذا يصاب الرجل بعقدة الفأر ، وهكذا ينتهي بشوارب طويلة .

بصعوبة استعاد صاحب الفندق ابتسامته لكي يستقبل بها نزلاء جددا . وكان قد سحب المصيدة من أمامي لكي يخفيها بسرعة في كيس الورق وأضاف إليها فأرا ميكانيكيا آخر ثم قال :

ـ الآن وقد أصبحت تدرك الأشياء على هذه الدرجة من العمق ، واخترت أن تواجه حياتك بشجاعة فقد تكون زوجتك في حاجة إلى فأر ميكانيكي آخر . وبهذا الشكل يمكن أن يتسلى كل منكما على حدة أثناء القيلولة التي تمتد أكثر مما يجب .

عندما كنت أصعد السلم كان صاحب الفندق ما زال يشيعني بكلماته :

ـ من المؤسف أن لا يتسع الوقت للحديث عن ذلك الرجل الشيخ ... في المرة القادمة سأحدثك عنه ، وعن الطاعون الذي اجتاح المدينة ... حاذر على أصابعك فحركة السلك شديدة ومفاجئة ويمكن أن تغالطك .

عند استدارة السلم كان اثنان من أبناء النزلاء ممسكين بفأرين ميكانيكيين يتجادلان حول وضعية ذيل الفأر عندما يحرك شاربيه . كان أحدهما يحاول أن يقنع الآخر أن الفأر يحرك ذيله عندما يحرك شاربيه ويحاول الآخر أن يفهمه أن ذلك لا يمكن أن يحدث إلاّ عندما يكون الفأر ميكانيكيا . وقفت إلى جانبهما أستمع ... سألت ذلك الذي يدعي حركة ذيل الفأر مع حركة شاربيه : كيف عرف ذلك ؟ نظر إلي في دهشة وأجاب :

ـ كيف لا يكون ذلك وأمي تقول لأبي عندما يفتل شاربيه وينظر إليها بعد العشاء : « لو خلق الرجال بدون ذنب أو بدون شوارب لكان ذلك أرحم للمرأة ، ولسهل على الناس التفريق بين الحركتين ... الفئران أيضا مثل الرجال لذلك فهي ذات شوارب طويلة ... »

سألني الصبي الآخر عن رأيي قلت :

ـ قد نكون كلنا فئرانا ميكانيكية إذ أن ذلك لا يتطلب منا إلا الحركة وهذا ما نفعله طوال الوقت . سألني الصبي الأول : هل لي أطفال ؟ وهل يمكن أن أسمح لهم باللعب معه ؟ ! قلت :

ـ إني ذاهب الآن لكي أصنع طفلا من أجله ... تماما كما تصنع الفئران الميكانيكية بشوارب طويلة منذ ولادتها .

كانت زوجتي جالسة في الشرفة تنظر إلى الصغار يلعبون في الساحة، ومن الباب أطلقت الفأر الميكانيكي في اتجاهها وطرحت المصيدة فوق الفراش . حدثتها عن الصبيين اللذين كانا عند عطفة السلم قالت :

ـ أنت تفسد كل شيء حتى براءة الأطفال ... ! أتساءل أحيانا هل يمكن أن تكون قد عرفت معنى البراءة في حياتك ! ...

ـ وكيف تريدين أن أكون قد عرفت ذلك ، ونحن أبناء الأزقة الضيقة نولد بشوارب طويلة تماما كالفئران الميكانيكية ...

لأنه لا وقت عندنا للطفولة ... أنا عندما قفزت من بطن أمي لم أطلب لعبا بل طلبت خبزا ومنذ ذلك الحين والجوع يتفاقم في أعماقي .

بدأت أحدث زوجتي عن رحلتي في أزقة المدينة ... كان يجب أن أتفطن ـ قبل ذلك ـ إلى أن كل المصائد الخشبية قد اختفت من الواجهات لأنهم الآن قد أصبحوا يبيعون فئرانا ميكانيكية بخياشيم تنتهي بشوارب كبيرة تثبت فيها قطع من الحلوى المسمومة . عندما سألت البائع الأول عن مصيدة خشبية نظر إلي طويلا قبل أن يغمغم أنه لا يبيع هذا النوع من مصائد

الفئران . وكذلك فعل الآخرون . كان أحدهم قد أضاف : « الزمن الآن زمن الفئران الميكانيكية ... » . عندما كنت قد قررت أن أذهب إلى جربوع في أعماق أزقة المدينة . كان هناك بشاربيه الكثيفين الطويلين ودخان السبسي وصدرية « الميكي ماوس » .

كانت المصائد الخشبية ما زالت تزين الباب وذباب الشارع ينفض الغبار من فوقها وكأي سائح غريب سألته عن ثمن المصيدة الكبيرة ، وكأي سائح سألته مرة ثانية لكي أتأكد من الثمن ، وكأي سائح دفعت له دون أن أساوم ... كان يتحدث بنفس البطء عن غلاء المعيشة وارتفاع الأسعار وكساد السوق وأشياء أخرى يسردها لنفسه .... كنت كأي سائح أتفرج على نقوش دكانه و « بوقال » الماء . وكان الحاج جربوع ما زال ينظر إلى العالم من وراء زجاج نظارتيه الكبيرتين السميكتين المدورتين . كأي سائح استدرت دون أن أودعه .. كان الصغار ما زالوا عند البالوعة يلعبون لعبة « القط والفأر » في حلقة كبيرة ... كانت مخالبهم قد بدأت تتطاول . تحت الشرفة كان الصغار مازالوا يلعبون قالت زوجتي :

ـ عندما كنت صغيرة كنت أغافل أمي لكي انفلت لأشارك الآخرين في هذه اللعبة .... كانت أمي تردد دائما : أنه سينبت لي شاربان مثل القط لو شاركت في هذه اللعبة .

ـ عندما كنت صغيرا وشاركت للمرة الأولى في هذه اللعبة كنت أعتقد أن القط سيقص ذيلي لو لحق بي . لذلك حاولت أن أجري بأقصى سرعتي ... ثم عندما فهمت بعد ذلك أن كل ذلك ليس إلا مجرد لعبة فهمت أيضا أنه يجب أن أجري بسرعة أكبر لكي أمسك القط من ذيله .. منذ ذلك اليوم بدأت أظافري تتطاول .. فهمت بعد ذلك أنه يجب أن أقصها من حين لآخر لأن ذلك مظهر اجتماعي حضاري ... عندما كنا صغارا كنا نتباهى بأظافرنا التي نعتقد انها ستتحول الى مخالب وعندما كبرنا تعلمنا ان نخفي صفات القط في مخالبنا . قالت زوجتي :

ـ ألا تجد أن ما يكسب الفأر شخصيته هي شواربه وذيله ؟ .... كذلك هم الرجال كلما طالت شواربهم اكتست ملامحهم شخصية الفأر . وهذا ما يجعلني أفكر دائما أنك بلحيتك المحلوقة وشاربيك الوهميين تحاول التخلص من عقدة الفأر ... !

ـ لو كنت فأرة لأمكنك ان تضعي كل الآبناء الذين نحن في حاجة إليهم دفعة واحدة وبذلك الشكل نختصر مراحل عديدة من حياتنا وحياتهم ...

التصقت بي زوجتي أكثر وقالت :

ـ هل تعلم أني قررت أن أتزوجك لأني فكرت أنك تتقن إخفاء ملامح الفأر في شخصيتك ... عند هذا الحد بدأت أتفطن أن الوقت قيلولة ، وجذبتها من خصرها لكي نترك الشرفة ونلقي بثيابنا الداخلية للشمس ... عندما كانت زوجتي تضع ثيابها على حديد الشرفة وتستلقي على الفراش كنت أهيء المصيدة الخشبية لكي أضعها داخل صوان الشياب . عندها تفطنت إلى أني قد نسيت قطعة الجبن الضرورية جدا لاصطياد الفأر ، فكرت أنه رغم كل شيء ورغم غياب قطعة الجبن فيمكن أن يحدث أن يقع الفأر في المصيدة لمجرد العادة .

ـ هل تعلمين ـ يا عزيزتي ـ أني طوال حياتي كنت أشتهي الجبن الأحمر الذي يباع بالتقسيط ... كان ذلك الجبن في حينا يحمل علامة اليدين المتقاطعتين لأنه هدية شعب صديق لحينا . وكنا جميعا نعتقد أن ذلك الشعب الصديق يصافح يد كل منا من خلال جبنه . ومع ذلك فأيدينا القذرة التي تعبث بالبالوعات وتستطيل أظافرها تحت تأثير الجوع لم تكن تمتد إلى ذلك الجبن الأحمر الذي يرتسم صداقة في أفكارنا ... كانوا قد أفهمونا أن اليد التي يجب أن تصافح يد الشعب الصديق بكل ما تمده من جبن أحمر يجب أن تكون بيضاء ونظيفة ... بذلك الشكل تعلمت أن أنظر إلى يدي طويلا في الشمس وشعرت بحاجتي إلى تقليم مخالبي ، لأن ذلك مظهر اجتماعي حضاري يقربني من واقع الجبن الأحمر ... بذلك الشكل أيضا تعلمت أن أنظر إليك كما أنظر إلى الجبن الأحمر ، واشتهيك أيضا بذلك الشكل ، ولأجل كل هذا قلمت أظافري جيدا لكي ألتهمك ... عندما كانت زوجتي تهرب إلى الجانب الآخر من الفراش تحركت المصيدة الخشبية في صوان الثياب . تحت تأثير نابض ما قفزت من الفراش بحلق جاف وبدقات متتالية في صدري لكي أجد ذيل الفأر يتلوى تحت سلك المصيدة بقطرة داكنة حمراء في نهايته .

جاءني صوت زوجتي ساخرا من الطرف الآخر من الفراش :

ـ أتظن انك بمصيدة مثل هذه ستتمكن من القبض عليه ؟ ...

نظرت إليها . كانت بكثير من الاسترخاء في جسدها وبشبح ابتسامة على شفتيها وقلت :

ـ هذه المرة ترك ذيله ... !

بهت شبح الابتسامة من فوق شفتيها ... تحركت أنا في اتجاه بيت الحمام لكي أزيل الجفاف من فوق صفحة لساني عندما عدت كانت في وضعها الذي تركتها فيه . تصورت على ملامحها شبح الكآبة. امتد الصمت بيننا طويلا إلى أن أدركتنا اغفاءة القيلولة .

عندما استيقظت كانت زوجتي قد سحبت ملابسها الداخلية من الشرفة وتمددت على أرضية الغرفة تدير لولب الفأر الميكانيكي وتتبع تحركاته حولها بكثير من الحذر . وجدت المصيدة الخشبية فاغرة فاها كما تركتها في جوف الصوان . سحبت الفأر الميكانيكي الآخر ، وأدرت لولبه ثم تمددت إلى جانب زوجتي . كان مسارا الفارين الميكانيكيين يتحدان عند نقطة ما تخضع للصدفة . وكنا نبحث عن تلك النقطة . كنا نريده التقاء يمس فيه خيشوم كل منها الآخر لكي يبتعد بعد ذلك في اتجاهه الخاص . كانت المرات التي التقى فيها الفأران بذلك الشكل قليلة إلى حد يدعو إلى اليأس قلت لزوجتي :

ـ هكذا يحدث أن يتم اللقاء بين الأشخاص ... !

قالت زوجتي :

ـ هكذا يحدث أن يتم الفراق بين الأشخاص ... !

أمسك كل منا بفاره الميكانيكي لكي يملأ لولبه من جديد .

قلت لها :

ـ هكذا يحدث أن يمتلىء الانسان اندفاعا ... !

قالت :

ـ هكذا يحدث أن تنتهي دوافع الانسان ... !

بدأت أصوات الصغار ترتفع إلينا من الساحة التي تطل عليها الشرفة . تفطنت بذلك الشكل إلى أن لعبة الفئران الميكانيكية يمكن أن تستهلك الزمن من حياة الانسان .

أحمد ممو



الأدب التونسي المعاصر قبل الاستقلال

أطواره واتجاهاته الكبرى*

دراسة : جعفر ماجد

مقدمة

كثيرا ما يعيب علينا إخواننا بالمشرق العربي تقصيرنا في التعريف بالأدب التونسي في حين نلومهم نحن على اعتبارهم الشابي – إلى عهد قريب – نقطة البداية والنهاية في هذا الأدب ، والحقيقة أن أسبابا كثيرة أهمها التباعد الذي فرضه علينا الاستعمار مدة طويلة تفسر عدم وصول الأدب التونسي إليهم . وينبغي القول ان هذا الوضع الذي تسبب في غبن أجيال من الأدباء التونسيين قد تحسن كثيرا ونحن نأمل أن تزيد مثل هذه التظاهرات الثقافية في إزالة الحجب عن أدبنا المعاصر حتى يحتل مكانته في تاريخ الأدب العربي الحديث ، لذلك اخترت أن أحدثكم عن أطوار الأدب التونسي المعاصر واتجاهاته الكبرى قبل الاحتلال ، وليس في نيتي أن ألم بهذا الموضوع من كل جوانبه لأنه واسع كما ترون وإنما غرضي منه هو رسم إطار كبير يساعد على تصور منطلقاته ومراحله والتعرف على بعض الأسماء التي لم يتح لها في ذلك العهد أن تنشر مثل الشابي في صحف شرقية وتشتهر خارج تونس .

كيف يقع تناول الموضوع ؟ يمكن التفكير في دراسة تقوم على الفصل بين الألوان الأدبية : الشعر ، القصة ، المسرح ، مع النظر إلى الأغراض داخل هذه الألوان ، وهذه الطريقة لا تكون نافعة إلا إذا كانت متقصية ، بمعنى طويلة – وقد تضيع فائدتها عمن لا يعرف شيئا عن الخلفية السياسية والاجتماعية للبيئة التونسية التي نشأ فيها هذا الأدب .

إذا اقتصرنا على التعريف ببعض الأعلام فقد لا نفهم منزلة هؤلاء الأعلام في الحركة الفكرية من جهة تكاملها وتواصل حلقاتها .

لذلك – ما دام هذا الحديث متجها إلى جمهور غير تونسي – آثرنا أن نسلك طريقا وسطا نوفق فيه بين التسلسل التاريخي وتصور الألوان الأدبية داخل فترات محددة بأحداث كبرى غير مفتعلة ، كانت فاصلا حقيقيا بين عهدين مع الوقوف عند بعض الأعلام وقراءة نماذج من آثارهم المميزة .

---

* نص المحاضرة التي القاها جعفر ماجد في البحرين بمناسبة الأسبوع الثقافي التونسي (نوفمبر 1978) (انظر « الحياة الثقافية » العدد الأول جانفي 1979)

عرفت تونس في القرن التاسع عشر نهضة حقيقية سبقت انتصاب الحماية الفرنسية بدفع من الوزير المصلح خير الدين باشا الذي أدخل إصلاحات كبيرة على الادارة وأنشأ مؤسسات علمية وثقافية أهمها المدرسة الصادقية (1875) التي تخرج منها عدد هام من المصلحين والزعماء، من بينهم أب النهضة البشير صفر مؤسس المدرسة الخلدونية سنة 1896 التي كان من أهدافها تطعيم برامج التعليم الزيتونية بالعلوم الجديدة وعلي باش حانبه باعث جريدة التونسي والنادي الثقافي لقدماء الصادقية-سنة 1905 - ولم يقدر لهذه النهضة أن تواصل سيرها لأن القوى المضادة عطلت نشاطها فأقصي خير الدين عن الحكم والتحق بالاستانة وتغلغل النفوذ الفرنسي بواسطة أعوانه مهيئا للاحتلال العسكري الذي فرض سيطرته التامة على البلاد-سنة 1881 - وكان الأدب التونسي في عصر النهضة لا يختلف عن الأدب بالمشرق في أغراضه الاصلاحية وأساليبه ولكن صدمة الاحتلال شلت حركته فضاق مجال القول بسبب الضغوط المفروضة على الصحافة وطغيان اللغة الفرنسية وآدابها على الأندية والمجالس وتقلص ظل اللغة العربية في حياة الناس.

ومرت فترة طويلة سكت فيها الشعراء والأدباء وانحصر الانتاج في أدب المناسبات الذي كان ينشئه بعض شيوخ التعليم بالزيتونة ويخفونه إلاّ على خاصتهم من النخبة.

ويمكن أن نعتبر سنة 1904 نقطة انطلاق للأدب التونسي المعاصر، إذ في هذه السنة ظهرت مجلة لم تكن غايتها أدبية بل إصلاحية، ولكنها نشطت الأقلام على الكتابة وفتحت مجالا للقول في فنون العربية وآدابها، بل حاولت أن ترسم طريقا للعمل الأدبي لا يخلو من الجدة في بعض الأحيان. هذه المجلة هي: السعادة العظمى التي أنشأها الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر فيما بعد، وأصدر منها أحد عشر عددا قبل أن يتحول إلى المشرق. منذ ذلك التاريخ، أخذ الأدب التونسي مسارا جديدا سنحاول مجاراته فيه بالاعتماد على الصحافة الأدبية التي كانت طريقه الأولى في الوصول إلى الناس وما نشر من الكتب وقد كانت قليلة جدا أيام الحماية الفرنسية.

يخضع تاريخ الأدب التونسي المعاصر لتقسيم فرضه التاريخ السياسي على تونس من جراء الأحداث العالمية والوطنية التي عاشتها البلاد. وسنحدده على هذا النحو:

1 - الفترة الأولى: من 1904 إلى نهاية الحرب العالمية الأولى
2 - فترة ما بين الحربين
3 - من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى استقلال البلاد سنة 1955
4 - ما بعد الاستقلال.

● الطور الأول

لم يكن العهد الأول عهد خلق وإنشاء، وإنما راح أصحاب الصحف يبحثون عن أنجع الوسائل لتنشيط الحركة الاصلاحية والخروج بالبلاد من حالة الركود، ولم يكن الأدب يطلب لذاته بل كان فرعا من فروع علوم اللغة العربية التي ينبغي إحياؤها ومساعدتها على مواجهة الثقافة الأجنبية الغازية. ولئن دعا عبد العزيز المسعودي الناقد الأدبي لمجلة السعادة العظمى إلى تجديد الرؤية الشعرية وقال «إن الشعر ضرب من الرسم الذي يسمع ولا يرى إذ أنه يحفظ من أحوال الاشخاص في الشؤون المختلفة ومن أحوال الاجتماعات في المواقع المتنوعة ما يستحق به أن يسمى ديوان الهيئة والأحوال البشرية» (1) وحث على إثرائه بأغراض لا عهد للعرب بها فإن الشيخ الخضر حسين يحصر وظيفة «الشعر العصري» في التذكير بالماضي المجيد للأمة الاسلامية وحملها على الأخذ بأسباب العلوم فيقول في قصيدة أطلق عليها هذا النعت:

كنا بدور هداية ما من سنى
الا ومن أنوارها يستوقد

وإذا تكامل واستوى بدرٌ بدا
في أفق طلعته السنية فرقد

كنا بحور معارف ما من حلى
الا ومن أغوارها يتصيد

... أبناء هذا العصر هل من نهضة
تشفي غليلا حره يتصعد

هذي الصنائع ذللت أدواتها
وسبيلها للعالمين ممهد

وكذاك بذر العلم أخرج شطأه
ودنا جناه فما لنا لا نحصد

بهما جرى القوم الذين استضعفوا
من قبل شوطا في التقدم يبعد

أفلا نسير مسير ذي رشد إلى
آثار ما قد أسسوه وشيدوا

فلطالما حوت الغنائم جولة
من رائد النظر الذي لا يخمد

إن المعارف والصنائع عدة
باب الترقي من سواها موصد (2)

وشهد مطلع القرن العشرين نشأة القصة ، فنشرت مجلة « خير الدين » التي تحمل اسم الوزير المصلح قصة (الهيفاء وسراج الليل) للشيخ صالح سويسي القيرواني في العددين السادس والسابع الصادرين سنة 1906 . وهي حكاية ذات مغزى تربوي ، بطلتها أرملة باليمامة أرسلت ابنها سراج الليل إلى مصر ليتعلم ويكون قادرا على الدفاع عن دينه ووطنه .

لقد كانت مقالات المسعودي نقطة الانطلاق للنقد الجديد رغم اتجاه المجلة التي كان ينشر بها مقالاته ، فكفاه فضلا ان يقول منذ ذلك الوقت ، معرضا بالذين ضيقوا مفهوم الشعر . (والحق أن الشعر معنى عظيم يدرك بالوجدان وان الذين حصروه فيا عرفوه به ضيقوا واسعا وجعلوا اسما على غير مسمى) (3) .

وكأن التونسيين أخذوا يفيقون من صدمة الاحتلال ، فلم يمر وقت قصير على ظهور بعض الصحف حتى تبارت الأقلام في الدفاع عن الوطن ، محتشمة في البداية ثم متدرجة في التعبير عن عدائها السافر للاحتلال ـ فنشأ الشعر السياسي وتزعمه من أطلق عليه عندنا أمير شعراء تونس : محمد الشاذلي خزندار الذي توفي سنة 1954 . وعرفت البلاد قبيل الحرب العالمية الأولى أحداثا خطيرة وحد فيها الشعر صفوفه وواجه القوات المحتلة فسالت الدماء ومات التونسيون برصاص المستعمر ، فلم يتمالك الشعر عن رثاء الشهداء وتوعد العدو :

نبكي لفرقتهم وهم أحياء
سبعا بكتهم تونس الخضراء

ما كان في كفي الحسام وانما
من تحت فكي حية رقطاء

أرسلتها حصبا على مغتالهم
فتريه ماذا يفعل الشعراء

سأهز من قومي الذين بلوتهم
ما ترتضيه الهمة القعساء

عربية الاحساس في نخواتها
لله تلك النخوة العرباء

لا تخلدوا فشلا لفل عزيمة
ولو أدلهمت سحبها الظلماء

دعهم يريقوا يزهقوا يستنزفوا
ينفوا يبيدوا يفعلوا ما شاؤوا

واسترسلوا في الأمر دون تراجع
فالجبل منه انشقت الصماء (4)

وبقي التونسيون مدة طويلة يرددون أشعاره في الساحات والمنتديات وخزندار يلهب حماسهم بأناشيده ، منوها بالحزب الدستوري الذي كان من مؤسسيه :

تونسي وحسبي انني تونسي
حزبها الحر حزبي حزبها الوطني

أو محذرا شعبه من خطر التجنيس الذي كانت تدعو إليه سلطات الحماية الفرنسية للقضاء على شخصيته العربية الاسلامية باسم ما كان يسمى : سياسة الادماج . وقد وقف الشعب في وجه هذه الحركة الخبيثة مرددا قول شاعره :

لست المبدل جنسي كلا ولا اتردد (5)
إن كان يرضي الفرنسي فليس يرضى محمد

وتناول خزندار أهم الأغراض الشعرية التقليدية وبرز فيها ، واكتمل في انتاجه الغزير مفهوم الشعر في أوسع معانيه إلا أن

اتجاهه الوطني جعله رغم صياغته القديمة حامل لواء الشعر السياسي في تونس وقد فتح بذلك طريقا جديدة للشعراء الشبان أمثال حسين الجزيري والهادي المدني وبلحسن بن شعبان .

● **الطور الثاني : فترة ما بين الحربين :**

وهذه الفترة التي عرف فيها العالم أحداثا خطيرة تقتضي إبداء بعض الملاحظات : أولا : كان الوطنيون يعلقون آمالا كبيرة على الدولة العثمانية لتحرير تونس إلا أن هزيمة العثمانيين في الحرب العالمية الأولى وسقوط الخلافة سنة 1924 قد خلف مرارة في النفوس وخيبة أمل كبيرة قوي من جرائها الاحساس بالوطن وتأكد ذلك بتأسيس الحزب الدستوري سنة 1920 برئاسة عبد العزيز الثعالبي . ثانيا : إن جيلا جديدا ظهر بعد الحرب العالمية الأولى أخذ يطور مفهوم الشعر داعيا إلى نبذ الأغراض القديمة كالمديح والغزل للدفاع عن القضية الوطنية ، نذكر من هؤلاء سعيدا أبا بكر والطاهر الحداد الذي أثرى الشعر التونسي السياسي والاجتماعي بالمضامين الاصلاحية والعمالية . ولقد تزعم الحداد في تونس حركة الدفاع عن حقوق المرأة وهو عندنا بمثابة قاسم أمين بالمشرق.وإن كانت أفكاره في كتاب (امرأتنا في الشريعة والمجتمع) الصادر سنة 1929 متقدمة على أفكار المفكر المصري ـ قال الحداد متغنيا بالوطن التونسي :

أتونس عندي في هواك تولع
وأنت منى نفس عليك تقطع

نسيت بك الدنيا وعيشي وراحتي
أريد لك الحسنى وخصمك يمنع

يريد انقراض الأهل منك ليبتني
هنا دار ملك أبد لا يزعزع

ولم يقف الحداد عند التذكر والشكوى بل نفث في قصائده عصارة تجاربه في الحركة الاصلاحية ولم يتردد في مجاهرة السلطة بالعداء وكشف مخاطر مؤامرة التجنيس مذكرا بأمجاد بلاده ومآثر آبائه وأجداده :

أفق أيها الشعب المهان فقد أتوا
إليك بتجنيس لعلك تخدع

نهوضا إلى المجد الذي شاد أهلنا
بعزم له قلب الصفا يتصدع

نشيد به للمجد صرحا ممردا
تسوخ الدراري وهو لا يتضعضع

وإذا لم يتح للحداد أن يكون ذا شاعرية قوية ، فقد كان له الفضل في مخاطبة الشعب برؤية وطنية واضحة وفي الالتفات إلى طبقات العمال المستغلين :

والطاهر الحداد مفكر رائد لم يعرفه إخواننا بالمشرق وقد جسم بنشاطه السياسي والاجتماعي والأدبي أنموذج المثقف الملتزم وأحدث في الثلاثينات انقلابا فكريا كبيرا وشغل الصحف مدة طويلة بما قاله عن أوضاع المرأة في المجتمع العربي الاسلامي ـ وخلافا للاعتقاد الرائج عند بعض الذين كتبوا عن تونس.فإن الشابي لم يضطهد قط ولم تكن شكواه في شعره إلا نمطا من التعبير على غرارما نجده عند جبران حين يعُد نفسه نبيا مجهولا لم يفهم الناس روحه لأنهم منصرفون إلى حياة تقوم على قيم غير التي يؤمن بها ويدعو إليها ، أما الحداد فقد اضطهد حقا وناله أذى شديد ، ولنا اليوم أن نقول ان مجلة الأحوال الشخصية التي أنشأتها حكومة الاستقلال الأولى برئاسة الحبيب بورقيبة وضبطت قوانين الزواج والطلاق قد تبنت إلى حد كبير أفكار الطاهر الحداد فأنصف بعد موته والصق اسمه على الشوارع والنوادي الثقافية وأصبح يحتل مكانة بارزة في البرامج المدرسية والجامعية .

ثالثا : إن الظروف العالمية الجديدة قد فسحت المجال لبعض الحريات لا سيما حرية الصحافة فظهرت صحف أدبية عديدة منها سنة 1920 مجلة الآداب لعبد الرحمان سومر ومجلة الفجر الناطقة باسم الحزب الدستوري ومجلة البدر وسنة 1923 مجلة العرب لزين العابدين السنوسي الذي سيكون له دور كبير في تنشيط الحياة الأدبية فيما بين الحربين . كانت (العرب) مجلة جامعة ، استقطبت كل الشباب المثقف وفتحت أعمدتها

للتجارب الجديدة لا سيا في الشعر ، فساعدت على تكوين كوكبة من الكتاب سيعتمد عليها زين العابدين السنوسي لبعث مجلته الكبرى التي امتد ظلها على الثلاثينات رغم اختفائها سنة 1936 وتخرج من مدرستها مشاهير الأدباء التونسيين مثل أبي القاسم الشابي في الشعر وعلي الدعاجي في القصة ومؤسسها زين العابدين السنوسي ومحمد الحليوي في النقد الأدبي . إن هذا العهد الذي يحق لنا أن نسميه عهد (العالم الأدبي) والذي راق لأحد أصدقائنا أن ينعته بعصر الشابي هو أخصب فترة عرفها الأدب التونسي المعاصر في عهد الاحتلال . ومجلة السنوسي هي التي عرفت بشاعرنا الكبير أبي القاسم الشابي قبل أن ينشر شعره بمجلة أبولو لأحمد زكي أبي شادي . وإذا كان الشابي في غير حاجة إلى التعريف إذ ذاع صيته في المشرق العربي حتى حجب غيره من الشعراء وكاد إخواننا لا يعرفون من شعرائنا سواه ، فإننا نود أن نقول كلمة سريعة عن هذا الشاعر الذي كان حدثا أدبيا خطير الأثر في مسار تاريخ الأدب التونسي المعاصر .

1) إن الشابي لم يطلع على جيله بشعر جيد فحسب بل طلع عليه كذلك بمنهج أدبي ثوري عبر عنه في محاضرته (الخيال الشعري عند العرب) التي ألقاها سنة 1929 ونشرتها مطبعة العرب لزين العابدين السنوسي في نفس السنة . وقد وجد النقاد في هذا الكتاب مطاعن على الشابي ولكنهم سلموا بأنه أحدث ثورة في النقد الأدبي آنذاك وطور أسلوب الكتابة بنثره الذي يشترك مع شعره في الطلاوة وخصب الخيال وحرارة العاطفة . يقول بعد استعراض أبيات من الشعر القديم في الغزل : (والآن ما رأيكم بعد كل هذا ؟ هل وجدتم بين من تلوت عليكم أشعارهم ـ وهم نوابغ الشعر وأبطاله واحدا يعبد في محبوبته « ذلك الجمال الروحي المجسد لا تلك المرأة التي تضم وتشم ثم تتصوح وتذوي بين الأحضان الفانية » كما يقول لامرتين ؟ أم هل وجدتم من يحاول أن يتكلم بقلبه أو بعقله عما وراء جسد المرأة من شعور سماوي رقيق ، وعاطفة ندية ساجية وأحلام عذبة مستحبة تتألق سناء وبهجة وتشمل العالم كله بالعطف والحنان ، فيتخذ من خياله أجنحة نارية ترفرف في ذلك العالم الشعري الذي تتراقص من حوله أشعة الطفل وضباب الصباح ؟ هل سمعتم بين هؤلاء وغيرهم من يتغنى بحنو المرأة وحبها كما يتغنى الطائر الغرد ؟ هل سمعتم من يتحدث عن المرأة وهي معبد الحب في هذا الوجود كما يتحدث الخاشع المتعبد عن بيت من بيوت الله ؟) إنه يدعو إلى نظرة جديدة إلى المرأة ليست بعيدة عن نظرة الحداد إليها إلا أن هذا ينظر إليها من زاوية وظيفتها التربوية والاجتماعية والشابي ينظر إليها من زاوية خفية أليس هو القائل .

عذبة أنت كالطفولة كالأحلام ... كاللحن كالصباح الجديد
كالسماء الضحوك كالليلة القمـ ... ـراء كالورد كابتسام الوليد

يا لها من وداعة وجمال ... وشباب منعم املود
يا لها من طهارة تبعث التقـ ... ـديس في مهجة الشقي العنيد
يا لها رقة تكاد يرف الـ ... ـورد منها في الصخرة الجلمود

أي شيء تراك هل أنت فينيـ ... ـس تهادت بين الورى من جديد
لتعيد الشباب والفرح المعسـ ... ـول للعالم التعيس العميد
أم ملاك الفردوس جاء إلى ... الأرض ليحيي روح السلام العنيد
أنت ما أنت ؟ أنت رسم جميل ... عبقري من فن هذا الوجود
فيك ما فيه من غموض وعمق ... وجمال مقدس معبود

2) إن هذا الشعر لم يكن ضبابي الخيال على طريقة الرومانسية الحالمة بل تبنى قضية شعبه وارتفع بالشعر السياسي أو ما نسميه اليوم بالشعر الملتزم إلى درجة رفيعة من الابداع . إنه هو القائل :

إذا الشعب يوما أراد الحياة
فلا بد أن يستجيب القدر

ولا بد لليل أن ينجلي
ولا بد للقيد أن ينكسر

وهو القائل أيضا :

ضيع الدهر مجد شعبي ولكن
ستـرد الحياة يوما وشاحه

إن ذا عصر ظلمة غير أني
من وراء الظلام شمت صباحه

3) إنه لم يكن ظاهرة منفردة في عصره ، وإنما كان لسان حال جيل متمرد ، ففي الوقت الذي ألقى محاضرته عن الخيال الشعري عند العرب ، نشر الطاهر الحداد كتابه (امرأتنا في الشريعة والمجتمع) الذي دعا فيه إلى تحرير المرأة ونبذ العادات القديمة وظهرت حركة سياسية جديدة بقيادة شبان ثائرين ستتمخض عن ظهور الحزب الحر الدستوري الجديد سنة 1934 الذي تحمل مسؤولية الكفاح الوطني وقد ولي الحكم بعد استقلال البلاد .

لكن عبقرية الشابي غطت على غيره من شعراء جيله ونكاد لا نذكر من الشبان الذين لم تطمس ذكرهم شهرة الشابي الا مصطفى خريف الذي امتد به العمر إلى سنة 1967 فواكب كل الأطوار وبقي علما من أعلامنا تحقق به التكامل بين الأجيال وحلقة بين عهدين مختلفين أشد الاختلاف . ومصطفى خريف يختلف عن الشابي بميله إلى الأدب القديم وتأثره بفحوله ، فجاءت صناعته متينة وديباجته محكمة النسج إلا أن أغراضه أقرب إلى حياة الناس وخياله أقل رواء فلم يستنكف من تسجيل المناسبات لكنه سخر شعره للدفاع عن القضية الوطنية والحث على الاصلاح بجميع وجوهه والانتصار للحركة النسائية . قال محييا طلاب معهد البحوث الاسلامية بدار الجمعية الخلدونية :

أهلا بنور الفجر إذ يبدو
حمد السرى وتحقق القصد

أهلا به فلقا يباشرنا
من فيضه الاقبال والسعد

قد وشحت آفاقه قزح
كالجمر قانية لها وقد

فكأنما اضطرمت بطلعته
نيران عزم ما لها خمد

وكأنه في الجو مؤتلقا
ظل اليقين الحق يمتد

أو ذاك للشرف الرفيع د م
ليصان بين نجيعه المجد

وحيى الحضارة الجديدة بقصيدة الاقتداء بالشرق لا بالغرب (الديوان : ص 56)

ولم يقتصر مصطفى خريف على شعر الحماسة بل كانت له مساهمة في الشعر الوجداني وقد غني له في بعض قصائده منها قصيدة (حورية الموج) التي أدتها المطربة لورداكاش وقال عنها نزار قباني لما سمعها منه بتونس : تمنيت لو كنت صاحب هذه القصيدة :

شف صدر البحر عن سر الجلال
وطفت فيه اللآلي

فوق موج فاض من سحر الجمال
فاق تصوير الخيال

جال في حسن واشراق
مستجيشا مثل أشواقي
حين أكسوها بديعا من بياني

هل على صدرك فاضت موجتان
بالهوى ترتعشان ؟

× × ×

تلك أم أزهار آس تتفتق في أديم لاح أزرق
أم نجوم في سماء وتغني وتصفق

محفل جاء يحييك
ويناجيك ويفديك
يا عذارى البحر أنتن لديها

فتسابقن إذن بين يديها وتهافتن عليها

× × ×

أقبلت ترقص تيها وتغني نغما من كل فن
فيه حب ودلال وتجن وحلاوات التمني

في بياض ناعم طاهر
واهتزاز فاتن باهر
وهي تستهديك نزرا من فتونك

فامنحيها نبرات من حنينك وشعاعا من جبينك
إيه يا حورية الموج اليا والعبي بين يديا
اسبحي واطوي عباب اليم طيا
لا تخافي منه شيا

إنه مثلي عميد صب
ذو فؤاد زاخر بالحب
مغرم بالحسن من قبلي وقبلك

هذه الأمواج قد وافت لأجلك
تبتغي تقبيل رجلك

وارتمينا في انقباض وامتداد
وامتزاج واتحاد

وهي تنزو بابتهاج وتنادي
فيلبيها فؤادي

يا حبيبي أنت لي وحدي
فاقترب واشمم شذى نهدي
وارم بي للموج وارجع فالتقفني

واحتضني واعتنقني واختطفني
والتقمني وارتشفني

واستمرت المدرسة القديمة في الثلاثينات ولعلها حققت بعد موت الشابي واختفاء مجلة العالم الأدبي بعض السبق مع خزندار والطاهر القصار وبلحسن بن شعبان وغيرهم وإن كانت القصة قفزت قفزة كبيرة مع علي الدعاجي الذي تأثر في كتاباته بروح محمود بيرم التونسي وأسلوبه القصصي في معالجة القضايا الاجتماعية من خلال ما كان ينشره بمجلة الشباب أثناء إقامته بتونس .

● **الطور الثالث من الحرب الثانية إلى الاستقلال :**

وكما كانت مجلة العالم الأدبي مدار النشاط الأدبي وقادح الحركة الفكرية بصورة عامة ، كانت مجلة المباحث في الأربعينات ، لقد ظهرت مجلة « المباحث » قبل الحرب العالمية الثانية على يد محمد البشروش لكنها سرعان ما توقفت عن الصدور بسبب ظروف الحرب ولم تبدأ حياتها الحقيقية إلا سنة 1944 ولم يصدر منها مؤسسها إلا ثمانية أعداد ثم تولى تسييرها الروائي الشهير محمود المسعدي ، وأهم ما يمتاز به الانتاج الغزير الذي نشرته المباحث إلى سنة 1947 تاريخ احتجابها هو أن جله كان بأقلام جيل جديد من الجامعيين الذين تخرجوا بالكليات الفرنسية ونهلوا من الثقافة الغربية فحققوا ما قد يكون عجز عنه جيل العالم الأدبي الذي كان أكثر الكتاب فيه لا يعرفون آداب الغرب إلا بالتراجم بينما كان أصحاب الثقافات الأجنبية لا يحسنون الكتابة باللغة العربية . فلا غرابة إذا أن تزدهر حركة النقد وتظهر آثار المدارس الحديثة آنذاك وتتغير الرؤية الأدبية مع هؤلاء الكتاب . ونأخذ دليلا على ذلك فقرة من الفصل الذي كتبه محمود المسعدي عن أبي العتاهية وبدأه بجملة أصبحت اليوم على كل الألسن وفي جل الكتب المدرسية :

(الأدب مأساة أو لا يكون ، مأساة الانسان يتردد بين الألوهية والحيوانية وتزف به في أودية الوجود عواصف آلام العجز والشعور بالعجز أمام القضاء ، أمام الموت ، أمام الحياة ، أمام الغيب ، أمام الآلهة أمام نفسه .

على هذا النمط فهمت الأدب جميع الأمم التي خلد التاريخ

آدابها بين الآداب من الهند إلى اليونان . ومن العرب إلى الافرنج ، وعلى هذا النمط بدأ أهل الشرق العربي - ويعني بهم العرب عامة - يفهمون الأدب ولطالما تلهوا عنه بجعجعة الألفاظ وتصفيف القوافي والأوزان وألعاب محسنات البديع والبيان وقديما كان فيهم ابن المقفع الذي ترجم كليلة ودمنة بما فيه من روعة المأساة الانسانية وما يملأ جوانبه من صرخات الحيرة البشرية وكان فيهم أبو نواس الذي قضى كامل حياته في مرارة السكر وتوقع الموت منشدا في شعره أنشودة الانسان تلعب به الأقدار وكان فيهم أبو العتاهية وموته والجاحظ وفكره وابن الرومي وطبيعته والمتنبي وقوته والغزالي وآلام معرفته والمعري وعواصفه الهول وابن خلدون ومقدمته ..)

هذه النزعة الوجودية لم تقف عند النقد بل دخلت كل الأغراض ولعلها كانت أشد وضوحا في القصة الفلسفية التي بلغت مع محمود المسعدي درجة عالية من الاتقان .

لقد ظهرت القصة كما قلنا في سياق الحركة الاصلاحية مع مطلع هذا القرن ونزعت إلى الوعظ والارشاد ثم ما فتئت تتطور بمرور الزمن حتى زخرت بها أعمدة مجلة العالم الأدبي فكان زين العابدين السنوسي ينشر أقصوصاته تحت عنوان (من قصص الحياة) مدافعا عن الاسلام على لسان شاب تونسي يحاور باريسيات حسانا ، أو معالجا قضية الزواج بابراز مساوىء العادات القديمة كغلاء المهور. أما محمد البشروش فقد كان من الأوائل الذين كتبوا الفن لأجل الفن رغم مشاركته في الأغراض الاجتماعية ، فاهتم باللون الوجداني في حين عمد غيره إلى ترجمة روائع الآداب الأجنبية . وقد كان لشخصية محمود بيرم القوية دورها الكبير في تطوير الكتابة القصصية بتونس ، وأقبل الجمهور الأدبي بلهفة كبيرة على ما كانت تنشره مجلة (الشباب) من قصص ومقامات بديعة التصوير لأدواء المجتمع رائقة الخيال أخذت من بيرم مرحه ونكته المرة وقوته النضالية في وجه الظلم والفساد ، وانتجت مدرسة بيرم على الدعاجي الذي كان قصاصا بحق ابتعد عن ابتذال التصوير الساذج والوعظ البسيط وخلق شخصيات قصصية تتحرك في عالم فني متكامل.ومع مجلة المباحث ولدت القصة الفلسفية ، فكان محمود المسعدي الذي كتب في ذلك الوقت روايته الشهيرة « السد » ينشر فصولا بعنوان « حدث أبو هريرة قال » وأبو هريرة شخصية خيالية غير الصحابي المعروف وأخرى بعنوان « مولد النسيان » صور بها مأساة الانسان في صراعه مع الحياة والموت وتوتر علاقاته مع الكون في لغة مشرقة تذكرنا بأزهى عصور العربية متفاعلة بمعانيها الجديدة مع أحداث التيارات في عصره لا سيا المذهب الوجودي . ولنسمع إلى قطعة من الحوار الذي دار بين مدين الطبيب الذي يريد أن يقتل الموت فييئس من طبه وراح يبحث عن علاج لنفسه القلقة عند ساحرة بالغاب ، وزوجه ليلى ، وذلك في رواية (مولد النسيان) قالت له وقد اشتد به المرض : حدثني يا مدين آخر أحاديثك قال .

(هو حديث المستحيل يرغم على الامكان يا ليلى . احتجت أول أمري أن أتصور المستحيل التصور واتعقل ما لا يعقل ، فلقيت عناء طويلا ثم ذكرت حياتي وبطلانها ، ورأيت ما رأيت في الغاب من عذاب الظلال وخستها ، وآلام الأموات لم يبلغوا الفناء وذلوا للزمان وطغت بهم الذكرى ، وأدركت ما أدركت من مصيري لو قصرت عن العين ، فخف عنائي وانكشف الاشكال وتيسر الأعسر ، ثم نظرت فإذا ما كان يفزع منه عقلي قد بان كالفيض ، وتصور بديهًا فانفلق في نفسي ريح جنون زعزعا . ثم علوت ذلك فجرت في قلبي الطمأنينة ماء هادئا . ووقعت لي سبيل الحركة الحرة المطلقة . مطهرة من الزمان متبددة في ذاتها جامدة . وبان لي سر تركيب الدواء . فركبته دواء يحنط الجسد الحي فيخلده كالمومياء ... وقام مدين كالآلالة تحرك فيها دولاب فإذا نور القمر جميعا على وجهه . كالجهال يشتد على وجه الحسناء تموت وقال : هذا الأبد يا ليلى ، هذا النسيان ، هذا الخلود)

ولم يتطور الشعر بعد الحرب الثانية بالسرعة التي عرفتها القصة استمر شيوخ الشعر في تغذية الأغراض التقليدية في حين تهافت عدد من الشبان على أسلوب الشابي لكنهم قصروا عن بلوغ شأوه ولم يلمع في عهد المباحث إلا اسمان هما الصادق مازيغ ومحمد زيد ، كان مازيغ مغرما بالشاعر الفرنسي بودلير يترجم له تارة ويحاكيه تارة أخرى ، في نسج متين وصناعة

محكمة . أما محمد زيد فقد كان قوي النفس ، هائج الأحاسيس يدافع عن قضية شعبه ، متسترا أحيانا وراء اسمه المستعار « أبو صرخة » :

ويل عمري لقد تألمت يا قومي وهذي إليكم صرخاتي
هي من روحي الموجع اشعاع بألحان شقوتي في الحياة
فاسمعوها فإنها ضجة الحوباء في مزهري إلى المهجات
واسمعوني فإن همي إن تصغوا لشدوي وتفهموا نقهاتي
أنا بالشعر ما أغني لروحي بل لأرواحكم صدى غنواتي
فاذكروني بغنوة الألم الحي كراما وكفكفوا عبراتي

يمكن الحديث في هذه الفترة عن ظاهرتين هامتين : أولاهما ظهور الشعر الحر ، ونقول بصراحة أنه لم يتمكن في طوره الأول من مواجهة التيارات القديمة التي كثر انتاجها بعد اختفاء مجلة المباحث واستقطاب مجلة الثريا التي كانت تصدر عن دار الاذاعة لهذه التيارات ، والظاهرة الثانية ، هي أن البلاد دخلت طورا حاسما من الكفاح الوطني فاشتد الحماس وساهم عدد كبير من الشعراء بالخصوص في التغني بالوطن والتنويه بالزعماء .

واختصارا للمراحل نقول ان الشعر الوطني في أواخر الأربعينات وأوائل الخمسينات لم يفرض نفسه في الساحة الأدبية إلا بظهور شاعر شاب ، عصامي ، لم يتعلم بالمدرسة هو منور صمادح ، الذي لمع اسمه قبيل الاستقلال ، هذا الشاب علقت عليه أمال كبيرة وسمته بعض الصحف « شاعر الثورة » وكان بحق شاعرًا متمردا حتى أن مجموعته الأولى (فجر الحياة) قد منعت السلط الفرنسية بيعها وتوزيعها سنة 1955 وقد أدخل منور صمادح نفسا جديدا على الشعر التونسي وهو بالضبط ما كان يحتاج إليه : الصدق في التجربة مع حرارة العاطفة وتجديد النظرة على اللغة الشعرية ودورها في أداء وظيفتها الفنية .كان منور صمادح ظاهرة جديدة الا أن ثقافته قد عاقته بعض الشيء وهذا يفسر تطور حياته الشعرية فيا بعد .

حمل الشاعر أعباء أمته وشعبه ، فتاكله القلق وضاقت به الحياة كما عبر عن ذلك في قصيدة"قلق":

فسألته يا قلب مالك تنقم ؟
أمِنَ الزمان وأنت أنت الأعظم
فإذا بأصوات تدمـــــــ
دم مثل قصف الرعد حين يدمدم
وتعالت الصرخات في أذني وفي
عيني تراءت : أمة تتألـــم

ولم يكن الشاعر محتشماً أو مترددا في نقمته على الاستعمار ، بل كان يلقي شعره في النوادي حاثا على الثورة المسلحة ، وقد سمعته شخصيا يلقي بالقيروان قصيدته التي رثى بها الزعيم النقابي فرحات حشاد (اغتالته المنظمة الارهابية السرية اليد الحمراء في 5 ديسمبر 1952) أيام كان الزعماء بالسجون وآلت إليه مسؤولية قيادة الحركة الوطنية ، فحاولوا بقتله ضرب هذه الحركة ، يقول صمادح في رثاء حشاد :

ذكرى تحرك من جمد وتقض مضجع من رقد
وتثير في النفس الأبية نار ثأر تتقد
وتهيب بالخضرا إلى متن الكريهة في جلد
وتقول : حتام المذلة والأهانة والصفد ؟
ثوروا وشنوها على الأعداء حربا تشتعل
أو ليس ثمة في الشبيبة من يثور لنستقل . (ص : 21)

على أن الشعر التونسي كله ، وحتى الشعبي منه ، واكب الحركة الوطنية وقويت هذه المواكبة بصعود الثوار إلى الجبال حتى جاءت فرحة النصر ، فتحت أمامه مجالات أخرى منها التغني بالاستقلال ومنها المطالبة باستكمال السيادة إلى أن تم الجلاء العسكري والجلاء الزراعي عن أرض الوطن ، وقد وجد مع الاستقلال جيل جديد له مشارب أخرى ، فتواصل التعايش بين الأجيال الأدبية ، وازدهرت الوان كانت خافتة في العهد السابق مثل الفن القصصي ، واحتلت مجلة الفكر التي دخلت سنتها الرابعة والعشرين تلك المكانة التي كانت لمجلة العالم الأدبي في الثلاثينات والمباحث في الأربعينات، وهذا يؤكد دور الصحف في تنشيط الحركة الأدبية ، وقد اصبحت المجلة مرجعا هاما للباحثين وكتبت عنها عدة بحوث جامعية بتونس وبالخارج ●

جعفر ماجد

اتجاهات النقد الأدبي التونسي المعاصر

I

دراسة : يوسف الحناشي

لقد احتوت الصحف اليومية والمجلات الأدبية وبعض كتب النقد الأدبي مقالات ودراسات يمكن اذا ما تناولناها بالتحليل والتقويم أن نستوضح اتجاهات نقدية . وقد سبق ان بينا هذه المصادر (1) ونكتفي في هذه المرة بأن نقدم اتجاهاتها النقدية معتمدين في ذلك على النصوص أساسا . وهذه النصوص تتألف بدورها متأثرة بمناهج معينة وتتضمن مواقف فكرية معينة ايضا تختلف من كاتب الى آخر . وعلينا ان نحاول ايجاد علاقات ـ إذا أمكن ـ بينها وبين انعكاسات تلك العلاقات على مفاهيم النقد وتطوراتها . ويتطلب منا هذا العمل أن نحدد موقفنا من الأثر الأدبي عامة ، اذ بذلك تحدد خلفية هذا البحث وتبرر استنتاجاته .

ان كل عمل أدبي ونقدي خاصة يعتبر علاقة « الشكل » بـ « المضمون » وهي علاقة اختلفت حولها الآراء والتفاسير ، فلو استعرضنا بعضها لطال بنا البحث ولخرجنا بمواقف مختلفة واحيانا متقابلة ، الا أننا ـ حسب رأيي ـ لا يمكن ان ندرس اثرا أدبيا ما لم نعتبره « كلا متكاملا شكلا ومضمونا » (2) وهذا التكامل له ظاهرة بارزة هي « الشكل » فالأثر الأدبي « شكل ما دام خلقا فنيا » (3) فالشكل هو الذي يحدد تطور التفكير والرؤيا الى الاشياء . اما المعنى فهو نتيجة لذلك الشكل ، يتولد عنه ويتكيف في ذهن القارئ بتكيفه ، فهو كالمادة التي نصنع منها نماذج نطلق عليها اسماء تعرف بها لدى عامة الناس . ويتميز هذا الشكل بعلاقات تبقى صامدة في الأثر اذ هي عموده الفقري وخلاياه التي تعكس بصورة ما « عالم تفكير » يشكله كل فنان حسب رؤيته وحاجيات تعبيره (4) ، وعلى هذا الاساس فان دراسة الاتجاهات تتناول الناحية الشكلية من هذه النصوص فنتحصل على خصائص فنية معينة تكون اتجاها مستقلا . فالاتفاق في بعض الخصائص الشكلية يمكن ان يكون اذن على المستويين : مستوى الشكل أولا ومستوى التفكير والتأويل ثانيا . ويعتبر هذا الجانب قابلية تطور شخصية الأديب وامكانية تنوعها على مدارس مختلفة . وهو ما يمكننا ايضا من وضع الناقد بصفة خاصة والنقد بصفة عامة في « حركية » تفاعل عناصر الأدب مع ابنية المجتمع المنتسبة اليه ، اذ ان من خصائص الدراسات الكلاسيكية تقديمها لمادة الأدب من غير ربطها بحركية الحياة الثقافية والفكرية والاجتماعية في عصر ما . وعلى هذا الأساس يمكن ان نفترض ثلاثة اتجاهات فكرية عامة في كل فترة زمنية محدودة : اتجاه يعتني بالأدب القديم ـ اتجاه يعتني بتقديم الأدب « الحديث » للنشر ، ويعرف به ـ اتجاه يحاول التجديد وتجاوز الموجود ، وان ما يميز هذه الاتجاهات عن بعضها بعضا هي الخصائص الشكلية بدون شك ، وتفكير المنتسبين اليها ، ويمكن ارجاع هذه الاتجاهات الى تعايش ثلاثة أجيال في كل مرحلة انتقالية : جيل مؤمن ومتشبث بالماضي ، وجيل مهتم بالحاضر ، وجيل يطمح الى المستقبل . نطلق على الأول اصطلاح « كلاسيكي » وعلى الثاني « حديث » وعلى الثالث « طلائعي » .

أولا :الاتجاه الكلاسيكي

يمكن ان نعرف « الكلاسيكية » **بالنظرة المناسبة لمثل أعلى وقواعد مقننة وعادات مألوفة قديمة** » (5) لذلك كان الأدباء الفرنسيون يطلقون على كتاب القرن السابع عشر تسمية « **الكلاسيكيين** » وكان النقد الكلاسيكي في هذه الفترة ينظر في الآثار بالاعتماد على قواعد محددة لكل فن من بيان الهفوات التي ارتكبت في تطبيقها وفضل الاهتداء بها لادراك الجودة (6) ولهذه الاسباب فقد اصبح النقد عاجزا عن ان « **يصبح فنا مستقلا متمكنا من وسائله ومفاهيمه** » (7) فاذا وفقنا بين هذه المفاهيم وغاياتها امكننا ان نرجع الكلاسيكية الى نظرة معينة للأدب من أهم خصائصها : الانتماء الى تراث الماضي والدفاع عنه ـ الانتماء يكون شكلا ومضمونا ـ رفض التغير والتطور في الطرق والافكار والتمسك بتقاليد معروفة .

واعتبارا لهذا التنوع نتحصل على تدرج ومراحل في هذا الاتجاه تراعي امكانيات الناقد الثقافية والتطور الداخلي لانتاجه . لذلك نستنتج :

1 ـ اتجاه كلاسيكي محافظ :

ان المحافظة يمكن ان تكون في الناحية الشكلية للنقد او ناحية المضمون ، ونعني بالمحافظة التمسك بطرق للنقد قديمة وقع الشك في قيمتها وأساليبها من طرف المناهج الحديثة ، او التحجر في عدم قبول تطور المناهج ، وبدون شك فان هذه الطرق تؤدي الى استنتاجات سلبية إذ ينجر عن ذلك عدم تحليل الأثر واستكشاف عناصر الخلق الفني والرؤية للأدب من خلال مقاييس ضيقة واعتباطية . يمكن ان ندمج في هذا الاتجاه ما كتبه الشيخان محمد الشاذلي النيفر ومحمد الصادق بسيس ، وكذلك محمد الهادي العامري في مقالاتهم النظرية والتطبيقية في الأدب والنقد ، ولعل اهم انتاج لمحمد الشاذلي النيفر يتمثل في دراسته عن « **حمودة بن عبد العزيز** »(8) وكما يدل العنوان فان الدراسة تبحث في شخصية ادبية بقي ان نتساءل كيف نظر الناقد الى هذه الشخصية وما هي العوامل التي اعتبرها واعتمدها في نقده . يتناول القسم الأول من الدراسة حياة المترجم فيحددها الناقد في اربعة جوانب : الحياة التعليمية ، والحياة السياسية : الوزير الكاتب حجة ويقسم الناقد مؤلفات الكاتب الى ثلاثة اصناف : النثر الفني ، التاريخ السياسي ، الشعر . ويختم دراسته بأسباب وفاة المترجم . هذا من حيث الاطار العام للدراسة ، اما من حيث النقد الداخلي فان الكاتب ينظر في حياة المترجم بالتعليق على المصادر والمراجع فيقول : توفر للمترجم **ما لم يتوفر لغيره** ، **فكانت ترجمته من أوسع** التراجم بسبب **ان حياته في أغلبها يمكن الوقوف عليها** ، ويرجع ذلك **الى انه سجل الكثير من حياته فيما نشره أو نظمه والى أنه** كان **من رجال دولة الأمير حمودة باشا** (9)

ويستعرض الكاتب حياة المترجم فيقول :

« **ستتناول هذه الدراسة باجمال حياته التعليمية التي دون الكثير منها بقلمه** ، ونقتصر على ما جاء في ديوانه **حيث مدح بعض شيوخه وفي طليعة أساتذته أبوه محمد ومن الغريب انه لم يسجله في قائمة ممدوحيه**»(10)ويستطرد لذكر بعض أبيات في مدحه لاساتذته ثم يدرس حياته السياسية. الا أن هذه الدراسة لم تعتمد المصادر والمراجع التي أشار اليها الناقد منذ البداية بل اقتصر على الشعر السياسي فيلاحظ انه « **تمكن من الدولة اشد التمكن واصبح أحد اعضائها البارزين وكان اتصاله بواسطة أدبه الذي توصل به تعريفا بمنزلته في الكتابة** »

(11) ويتناول الناقد بعد ذلك تحليل مؤلفات المترجم حسب اصنافها ويستوقفنا في هذا الباب تعليقه : « **حاولت جهدي وبكل ما أوتيت من قوة ان استخلص من شعره شيئا ينم عن روحه اذ شعره لا يخلو من ذلك فان الشعر في ظني كالكلمة ـ الناموسية الرقيقة التي تصور ما تحتها بارزا جليا فاذا لم يكن ذلك فلا شعر . الشعر ما ألم بحديث النفس وابرزه ، من هواها ، من**

فجورها وتقواها » (12) فالناقد يحدد مفهومه للشعر الا أن هذا المفهوم يسوده الغموض اذ وقع استعمال كلمات غير مفسرة في سياقها من ذلك قوله : « **الكلمة الناموسية** » و « **تصور ما تحتها** » « **بارزا جليا** » ويختم هذا التعريف برفض كل تعريف مغاير للشعر « **فاذا لم يكن ذلك فلا شعر** » فماذا يعني الكاتب « **بالكلمة الناموسية** » ؟ وما يرمز اليه في قوله « **بما تحتها** » ؟ وهل يمكن ان يبرز اغراضه بوجه « بارز جلي » ؟ فهذه المقاييس غير واضحة ومدققة ويعمد الناقد لتحليل النصوص الأدبية الى الجمع بين ملاحظات شكلية ومعنوية كقوله « **والكميت في اللغة من الخيل ما خالط لونه سواد غير خالص أو ما بين الأسود والأحمر ولعل تلقينه بذلك من عبث أدباء عصره ـ ولا يخفى مرماهم في هذا اللقب ، وبعد تلقينه بذلك تفننوا** في التورية » (13)

ويختم الكاتب هذه الدراسة ببيان اسباب وفاة المؤلف ، ان ما يمكن ان نستنتجه من هذه الدراسة هو اتباع الناقد منهجا تقليديا يتمثل في الاعتماد على مصادر ومراجع يسلم بقبولها دون مناقشتها وتحليلها . وقد توخى في عرض مادة دراسته مراحل تقليدية ، فتعرض لحياة المؤلف ثم آثاره وخلط هذه الاقسام ببعض ظروف حياته بدون توضيح العلاقات التي يمكن ان تربط الأثر بصاحبه وبعملية الخلق الفني . ويتبع هذه الملاحظات بتعاليق شكلية ومعنوية ويستطرد الناقد احيانا ليخرج عن نطاق موضوع البحث ويستعرض لنا جوانب قد تفكك من تكامل عناصر الموضوع وتشتت بالتالي مادة النقد .

ويعرض محمد الصادق بسيس وجها آخر لهذا الاتجاه يتمثل خاصة في نقده لقصيد الشاعر نور الدين صمود (14) يمهد الناقد لموضوعه بتلخيص القصيدة فيقول : « **أي مجد لنداء الجوامع في دخان المعامل والمصانع ؟ أية فائدة نؤملها فيك ونحن في عصر الذرة والاقمار الصناعية** » (15) وينتقل للتعليق على القصيدة بقوله : « **هذه خلاصة قصيدة الشاعر نور الدين صمود نشرتها للقارىء نشرا أمينا صريحا واني احب ان أسأل السيد صمود قبل كل شيء متى كانت الجوامع والمساجد والبسملة والحوقلة ومسؤولة عما أصاب العالم الاسلامي من تخلف واستعباد بالأمس ومسخ وتقليد اليوم** ؟ » (16)

فالناقد ينتقل من موضوع أدبي الى اثارة موضوع عام قد لا يمس سياق القصيدة ويستطرد لبيان فضائل الاسلام على الحضارة ويحلل القصيدة معتنيا بجانب المضمون فيلاحظ ان « **المتأمل في هذا القصيد يجد له راسين رمزيين : الأول المصنع ـ وهو الذي يرمز الى الانتاج والازدهار والطموح والتفتح وهذا جميل معقول من ينازعه فيه ؟ ومن الذي لا يتمنى ان يستمع في يوم من أيام حياته الى آفاق تونس العزيزة وهي تتناغم بموسيقى الآلات ذات الضجيج والعجيج والانتاج فتطعم الكرش الجائعة** ... » (17) ويبدي رأيه في المضمون فيقول : « **أنا أحب ان تتعانق الصومعة والمدخنة متآخيتين متعاونتين** ... » (18) فالناقد ، في هذا الموقف يقرب الفن عامة والشعر خاصة من الدين ويدعو الى التعايش بينهما ويصبح الشعر ومن خلفه النقد في « **خدمة الخير** » و « **الفضيلة** » في نطاق الدين . فهذا الصنف من النقد يخدم الاخلاق ولا يشمل توضيحا لمنهج نقدي معين بل يقتصر على ناحية المضمون وغاية الناقد حماية الاخلاق والدفاع عن حرمة الدين وهو ما يضفي على أسلوبه لهجة دفاعية عن الاسلام . نتحصل انطلاقا من هذين النموذجين على تصور متكامل للاتجاه الكلاسيكي المحافظ من حيث اعتناؤه بدراسة الأدب دون وعي لما تطرحه من مشاكل تخص التحليل والاستنتاج . وهو يعمد الى تحليل مادة الأدب دون توضيح مقاييس معلومة فيكون بذلك محافظا من ناحية الشكل اما في ما يخص المضمون فالناقد يحكم الاخلاق والدين ويخضع الفن وطرق تعبيره الى هذه الغاية .

2 ـ اتجاه كلاسيكي متفتح :

اذا كان الاتجاه الكلاسيكي المحافظ متحجرا من حيث الشكل والمضمون فان الاتجاه الكلاسيكي « **المتفتح** » يتجاوز بعض هذه الخصائص ليتفتح نسبيا بقبوله جانب « **المضمون** » في بعض الآثار الحديثة قبولا نسبيا أيضا . ويصل هذا القبول الى حد المناصرة والدفاع عن قيمتها أمام الكلاسيكيين . الا أن عن هذا التفتح ينجر تحجر من ناحية الشكل يتمثل في اعتماد طرق تتخذ

خصائص المدح والاعجاب بالأثر الأدبي وانتهاج لغة نقدية ذوقية وتكون المقاييس غامضة ، غير مدققة احيانا ، مما يدل على ثقافة محدودة قاصرة على استيعاب المفاهيم الحديثة . ويمكن ان ندرج في هذا الاتجاه خاصة أباالقاسم محمد كرو ومصطفى رجب ورشيد الذوادي (19) وقد عني جلهم بتقديم بعض الآثار الحديثة والشخصيات الأدبية ، ولعل ابرز اثر في هذا الاتجاه لأبي القاسم كرو يتمثل في « **دراسة** » له عن أبي القاسم الشابي تحت عنوان « **كفاح الشابي** » (20) يحتوي هذا الكتاب على مقدمتين ، مقدمة كتبت ببيروت بتاريخ 25/ 8/ 1954 يشير فيها الناقد اشارة خاطفة الى منهجه في البحث فيقول : « **ان دراسته محاولة تعرض جانبا واحدا من شاعرية الشابي ونضاله الاجتماعي محصورة على وجه التحديد في نزعته الوطنية وكفاحه الأدبي والوطني ضد الرجعية** وضد الاستعمار **والطغيان اللذين أناخا بكلكليهما على** شعبه الصغير ، فافقداه الرشد **والعافية** وسلباه **الحرية والرخاء** » (21) ويقول في مقدمة ثانية « **لم اجد ما كنت احسبه موفورا من حقائق ووثائق** » كما انه يلاحظ ان « **ضغط العمل لم يتح لي ما احتاج اليه من فراغ ووقت متسع** » (22) فالناقد يؤكد اذن على ظاهرتين مهمتين في النقد : عدم توفر الوثائق للدراسة وعدم توفر الظروف الشخصية للقيام بدراسة ، ومع ذلك فهو يقوم بنقد فيكون نقده مرتجلا ذوقيا ، ويستدرك الناقد لتقديم منهج لبحثه فيقول : « **سيجد القارىء فيه متعة وجدانية وأدبية رائعة كما سيحس ويدرك من حرارة أسلوبه وحماسة اجرائه كيف ينبغي ان يكتب عن كفاح الأدباء وكيف يجب ان توصف وتصور المفاخر القومية** » (23) فنقده اذن « **محاولة** » لدراسة شخصية أدبية وغايته في ذلك خدمة « **الشعور الوطني** » ووصف كفاح الادباء وعلى أساس هذا التحديد المنهجي يقسم الناقد دراسته الى أقسام يقدم في أولها لمحة نظرية عامة عن « **قصة الشعر العربي** » ويستنتج الناقد باعتماد المقارنة النظرية ودون دراسة تطبيقية أن « **الفارق كبير جدا بين الشابي وبين شعراء الصحراء المعاصرين له** » (24) وهو ما يجره الى تخصيص قسم

دعاه « **عمالقة وأقزام** » . **يؤكد فيه هذا الرأي بلغة متحمسة**

وينتقل الى ذكر الجو العام الذي وجد فيه الشابي وخاصة ظاهرة الصراع بين الأجيال ، تحت عنوان « **شباب ثائر** » ويقرر ان « **الشباب دائما في نظر الشيوخ وأشباه الشيوخ من الصغار القاعدين طائش غير ناضج ، جموح .. محطم ...** » (25) وهو رأي يمكن مناقشته بالرجوع الى عصر الشابي . ويوضح تحت عناوين متتالية الصعوبات التي اعترضت الشابي في حياته الشعرية فيذكر « **الاستعمار** » ويتخلص للحديث عن « **الاسلام والحرية** » فيبين مدى تفتح الاسلام ومدى دفاعه عن الحرية ومقاومته للجمود . ويستعرض مفاهيم الشعر والشاعر ، عند هؤلاء المعاصرين للشابي فهم كانوا يرون « **في الشعر تسلية وتزجية لأوقات الفراغ** وضربا **من اللهو والترف الفكري** » (26) بينما كان الشابي يختلف عن **هؤلاء جميعا بنظرته للشعر فيفرد فصلا** بعنوان « **قمة الشابي** » يضفي فيه الثناء والاعجاب على الشاعر ويؤكد نبوغه وتفوقه .

ان خصائص هذا النقد تتمثل في التفتح النسبي من ناحية المضمون وان كان هذا التفتح لا يعتمد النص لاستنتاج الحكم والموقف وقد نتج عن هذا التفتح فوضى في منهج البحث وانحياز للأثر وانقلاب الدراسة الى حديث اجتماعي لا يخضع الى مقاييس واضحة بل هو حديث مسترسل حسب المناسبة . ويتناول « **مصطفى رجب** » بالنقد نفس الشخصية أي الشابي الا انه يقتصر على موضوع « **الشاعر الرومانتيكي** » (27) ويقسم دراسته الى قسم نظري يحدد فيه مفهوم الرومنطيقية على الأدب العربي عامة والأدب المهجري خاصة . ففي « **الأدب العربي ثارت الرومنطيقية على المواضيع والأساليب والقوالب** » (28) وهي أيضا « **صرخة الانسان المتألم وتأوهاته القاعدة عن الظلم والفقر ، وهي حيرة الانسان وجبروته وضعفه** » (29) فهذا التعريف لا يخلو من غموض راجع الى عدم تدقيق الكلمات الفنية فقد تكون « **صرخة الانسان** » تأتي عن طريق أية مدرسة أدبية أخرى ولا تقتصر على الرومنطيقية كما قد تكون الثورة

على القوالب والاشكال صادرة عن اتجاهات اخرى . ويعمد الناقد الى تحديد مفهوم الرومنطيقية الى استخراج اثني عشر أصلا تخص الشـكل والمضمـون من ذلك « **اللفظـة** » و « **العبـارة** » و « **القالب** » أو « **الاستماع الى النفس** » أو « **الطبيعة وابتـكار المواضيع** » (30) فيقدم في فقرة وجيزة تحليلا للعنصر ثم يليه تطبيق على أدب الشابي فيقول مثلا عن الطبيعة : « **ان الكلام عن الطبيعة عند الرومنـطيقيين له مبحثـان احدهما يتعلق بالدعوة الى الطبيعة وثانيهما يتعلـق بالنظـرة الى الطبيعـة** » (31) اما الشابي فهو « **يدعو أيضا كأصحابه الغربيين الى ان نفتح قلوبنا المغلقة الى الطبيعة لكي نعيش فيها بقلوب طافحة باليقظة الشعرية** » (32) فالناقـد يستعمـل أحيانـا مفـاهيم غامضة مثل « **الدعوة الى الطبيعة** » و « **النظرة الى الطبيعة** » أو « **القلوب المغلقة** » فهذه المصطلحات يمكن ان تجمع في عناصر موجزة فيتجنب الناقد بذلك الاهتمام بجانب المعنى ومحاولة الاتساع في بسطه وشرحه للرومنطيقية .

ان محاولتي مصطفى رجب وابي القاسم كرو في النقد هما من قبيل النقد الذي يخدم غاية معينة وهي تقديم الأثر للقـاريء بشاعـر مغمور . وقد عمد الناقد للتأثر على القاريء وحمله على الاقبال على انتاجه الى استعمال تعابير متحمسة ولهجة معجبة ومادحـة ، فاهملا بذلك الاعتناء بشكل النقد وخاصة لغته . ووجوب توخي منهج واضح وموضوعية ليهتما بجانب المعنى ويطريا على الشاعـر مدحا وثناء . فكانت هذه الخاصية ميزة التفتح في تقديمهما .

3 ـ الكلاسيكية الحديثة :

ان التدرج في مراحل « **الكلاسيكية** » يؤدي بنا الى « **الاتجاه الحديث** » فيها ولعل ما يتبادر الى الذهن الجمع بين تعبيرين يكاد ان يكونان متناقضين وهما « **الكلاسيكية** » و « **الحديثـة** » ونرجع هذا الالتباس عندما نوضح مفهوم « **الحداثة** » ذلك أننا نعني بهذا الاستعمال سلوك طريقة نقدية لهـا مقـاييس مضبوطـة ووجهة بينة الا أن الناقد في تطبيقه لهذه الطريقة يخضعهـا الى خصائص « **الكلاسيكية** » ، من ذلك التبحر في الأفكار وعدم التوفيق بين النظري والتطبيقي فينتج اصدار الاحكام الاعتباطية التي لا تستند إلى الأدلة والتحليل . ويمكن ان ندمج في هذا الاتجاه انتاج البشير الزريبي النقدي والطاهر اللبيب الجـديدي وبوزيان السعدي وحمودة الغزي . ولعل ما يقدم تصورا عاما للنقد الكلاسيكي الحديث محاولاتان تتمثل الأولى في « **تجربة الشابي** » للبشير الزريبي وأخيرا ..... **ماجد والشعر** » لحمودة الغـزي (34) .

يحدد الزريبي منهج بحثه فيضع « **مقدمـة تمهيدية** » يلاحـظ خلالها أن « **للشابي تجربة يختلف النقاد في تحديد ابعادها وتغيير وزنها باختلاف الزوايا** » (35) وينقد المنهجيات التي درست الشابي من قبل فيلاحظ انه « **لعل الباحث يجنح الى منهجية التعتيم والتجزئة في عرض تلك الافكار المستخلصة فيأخذ في سردهـا بعنـاوين مختلفة كأن يدلي بآراء الشابـي في الحياة الاجتماعية تحت عنوان « وطنية الشابي » وبآرائه الاخرى في الشعر تحت عنوان « الشابي والشعر » وما الى ذلك مما هو معهود في الكتب الادبية القيمة والمبتذلة على السـواء ..** » (36) فالزريبي ينتقد في هذه الفقرة ما اشرنا اليه في « **الكلاسيكية المتفتحة** » عند كرو ومصطفى رجـب خاصة من الاكثـار من عناوين يمكن جمعها في محور واحد . ويتساءل الناقد بعد ذلك عن الطريقة التي سيسلكها في النقد ويقرر « **انى اعتقد جازما ان طرائق النقد وأساليب التناول ومقاييس البحث كلها لا تفي بالتشخيص المنشود لتجربة الشابي . فسواء اتبعنا هذا المنهج او ذاك وسواء اتبعنا المناهج الممكنة كلهـا فان هذا غـير مؤد الا للنظرة الملفقة وللفهم المفكك لعينة البحث ..** » (37) ويحدد منهج بحثه فيقول : « **ان كل ما سنوالي فيه الكلام ان هو الا نقطة بعينها من تجربة الشابي وهي على التحديد فكرته التي يعالج بها قرض الشعر فكرته التي قد نجد لها خيوطا واضحة في معظم ما كتب ونظم ان لم نقـل في كل مأثـوره الشعـري والنثري** » (38) ولتحقيق هذه الغاية يقترح الطريقة التأليفية « **اننا نتطلع لايجاد فكرة ائتلافية تحدد معرفتنا لطبيعة التجربة الشعرية التي انتهى الشابي في اطارها التـكاملي** » (39) ويثبت الناقد هذه الفكرة المرجعية في شعر الشابي وحياته وهي

« معتقد الشابي في وحدة الوجود الاعظم ذلك المعتقد الذي يترجم عنه في كل مأثور له على الاطلاق وعلى الخصوص في قصيدة « النبيء المجهول » وعلى الأخص في تلك الدفعة الشعرية التي تلت اسطورته كنبي مع الواقع الاجتماعي المعوج .. » (40) ويعزز الناقد رأيه بأدلة متعددة يبحث عنها في قصائد « الجمال المنشود » و « أنا ابكيك للحب » و « طريق الهاوية » ويلجأ الى ادلة اخرى فيقول : « كنا برهنا على هذه الحقيقة .. ان الشابي كان رحمه الله متوج الجهود ، وموجها في ما هو فيه من مواقف الوصف للطفولة بهاتيك الفكرة أو النظرية التي عنها يستوحي اخيلته الشعرية » (41) ويستنتج من هذا التأويل ان الشابي لم يكن متشائما « الشابي اذن ان تألم وأبدى الم فهو لم يكن بمختار ولا بميال للألم وانما هي حال تفرضها الظروف القاسية وما له الا التأثر بها وقد صادف ان كانت حياته ملأى بالفجيعة والملمات .. » (42) اما عن مصادر هذا الاعتقاد فان الناقد يرجعها الى مثالية افلاطون اذ « نجد الشابي في هذا المعتقد العام يلتقي مع افلاطون في اعتقاده بأن الفن ما هو الا محاكاة للمحكي من عالم المثل ولعلها فرصة آتية نستطيع بها تحليل الوجهة الفلسفية هذه التي انبنت عليها تجربته بأزيد ادلة وأكثر تبسط .. » (43) فالزريبي وان حاول اخضاع الأثر الأدبي الى منهج نقدي تمثل في « الطريقة التأليفية » لم يستطع في التطبيق ان يبرر استعمال هذا المنهج وعمد الى الضغط على « انتاج الشاعر فكانت احكامه واستنتاجاته غير مستندة إلى مقاييس واضحة ترجع الى منهجه » .

أما دراسة حمودة الغزي « أخيرا ... ماجد والشعر » فهي تشمل ايضا قسما يحدد فيه الناقد منهجه فيقول : « احب ان أكون في هذا اللقاء بقارئي الكريم وفي الحديث اليه لا اتقيد فيه بقيود معلومة شأنها الازعاج والاملال واحب ان أقول ما أشاء وكما أشاء وأوجز في حديثي ما أريد واقدم منه ما أريد دون استشعار حرج أو شبه الحرج ودون التفات لما تعلمناه من أساليب ومناهج غدت بفاعل المغالات غاية في ذاتها أو عبرت ان تكون كذلك » (44) فالناقد يدعو اذن الى حرية مطلقة في البحث وهو واع ذلك اشد الوعي . الا ان هذا التحجر يخضع الى عنصر « المجاملة » ان صح هذا التعبير اذ أن المؤلف يقول :

« المصاحبة بيننا قديمة والعشرة بجذورها ضاربة في اعماق السنين وحتى اذا تضايق صاحبي أو برم فلست له بقائل أو بمطالب منه العدول ولا بمنتظر منه الرضى ما دامت الحرية قسمة عادلة بيننا وقاسما مشتركا توزعناه فانا اذن مطمئن على صاحبي .. » (45) وينتقل الكاتب للحديث عن حياة الشاعر فيقول « نشأ في القيروان يتيما ولكن لا كالأيتام وفقيرا ولكن لا كالفقراء » وإذا ما خلص من هذه الناحية فاجأنا بحكم عام يخص الشعر فيؤكد أن « جعفر ماجد عالج بشعره قضايا عصرنا وتغنى كما تغنى غيره من شعراء العصر بكل ما في الحياة من مظاهر واسبغ على المرأة العبقرية وما يرضي كبرياءها وغرورها واخذ لنفسه ما يرضي كبرياءه وفنه ويستهوي قراءه . والتفت الى حياته القومية فوافاها حقها وللانسانية فقدم لها اجمل لون من الوان فنه » (46) هذا من حيث المضمون اما من حيث الشكل فالناقد يدلي أيضا برأي مسبق لا يخضع الى منطق الاستنتاج فاذا بشعر الشاعر « لا تحس منه نضوبا ولا اجترارا لموضوع لأنه في كل قصيد متفنن دائما مجدد متجدد يروعك في القصيد الواحد البيت فتندفع الى البيت الذي يليه يقينا بما ستجد فيه من روعة وفن جديد ... » (47) فالشاعر اذن في رأي صاحب المقالة « يتجدد » و « يتغير » في كل جديد وفي كل مضمون الا ان حمودة الغزي يرفض في مقام آخر تجزؤ الشخصية ويعتبر نفسه والشاعر « على مذهب في ان الأديب لا ينبغي ان تكون له شخصيتان وحياتان كالخفاش في الليل مع الجرذان بأنيابه وفي النهار مع العصافير بأجنحته . كلا فالشاعر فنان والفنان يجب ان يكون صاحب وجه واحد في ضلاله وصلاحه ... » (48) فمواقف حمودة الغزي مبنية اذن على تناقض وهذا التناقض يسبغ على النقد الفوضى والتشعب وعدم الاعتماد على مقاييس مضبوطة . فنقده مبني على مبدأ الحرية والاحكام الذوقية المسبقة واستعمال مصطلحات غير مدققة ومفسرة

مثل « **العبقرية** » و « **التجديد** » واغلب هذا النقد منحاز الى الأثر بدافع الصداقة أو المجاملة أو الاعجاب احيانا . فنحن إذن ان الفنانين نقد « **البشير الزريبي** » و « **حمودة الغزي** » لاحظنا انهما يلجآن الى التحجر في الافكار واستحكام الذوق العفوي وعدم توضيح المقاييس النقدية . وهذه الصفات تجعل هذا النقد ينتمي الى « **الكلاسيكية** » اكثر منه الى اتجاه آخر ، وهي « **كلاسيكية حديثة** » لأنها مرحلة أولى تدخل بنا الى محاولة التخلي عن النقد المرتجل والذي لا يخضع الى أي مقياس واختيار نقدي . بهذه المراحل الثلاث للاتجاه الكلاسيكي نتحصل على تصور عام للنقد الكلاسيكي تتمثل مرحلته الاولى في المحافظة شكلا ومضمونا ، وتتفتح المرحلة الثانية نسبيا على المضمون وتحاول المرحلة الثالثة سلوك مناهج نقدية شائعة . ولعل الخاصية الظاهرة لهذا الاتجاه تتمثل في توخي طرق نقدية لا تؤدي الى استنتاجات أدبية طريفة حول الأثر وكاتبه ، وهذا النقد يتصف بالرتابة في التحليل واستعراض الأثر والاختفاء وراءه بالمدح والاطراء . ولعلنا نرجع صفة « **المحافظة** » الى « **الانتماء** » الى الماضي من حيث المناهج النقدية وما ينجر عنها من استنتاجات معنوية . فهذا النقد يستخدم بصفة عامة الذوق في دراسة الآثار ولا ينبني على مقاييس واضحة بل يصدر عن موقف اعتباطي من الفن والأدب فيتصف بالفوضى وعدم التماسك والتأليف واذا حددنا بيئات أهم الأشخاص الذين كتبوا في هذا الاتجاه وجدناها اما ـ زيتونية ـ أو ـ زيتونية شرقية ـ وقد نتج عن تواجد هذين البيئتين معارضة ضمنية وداخلية للاتجاهات وهو ما استنتجناه من موقف الاتجاه المتفتح من المحافظ وموقف الحديث من الاتجاهين السابقين . وقد أدت هذه المعارضة الى تطور داخلي انطلق من المحافظة . فالتفتح على المضمون وأخيرا على الشكل إلا ان كل مرحلة تحوي خصائص « كلاسيكية » تتغلب على عناصر التطور فتبقى المحاولات كلاسيكية في اغلب جزء منها ...

ثالثا : الاتجاه الحديث

لقد كانت خاصية النقد الكلاسيكي عدم اعتاده على منهج نقدي بارز المعالم واغراقه في الارتجال واستحكام الذوق وقد تجاوز النقد الحديث هذا النقص بلجوئه شكلا ومضمونا الى مناهج نقدية وتخلصه من الانحياز الى الأثر ومحاولة ايجاد مقاييس يمكن الاعتاد عليها ، وتغيرت أساليب الناقد.فبعد أن كان ينظر الى الأثر كقيمة أدبية واخلاقية اصبح يبحث في اغراض الأثر وربطه بمحيطه الاجتماعي والفكري وعلاقته بنفسية المؤلف وكل هذه العوامل تكون ما اطلقنا عليه تسمية « **الاتجاه الحديث** » .

1 ـ النقد الغرضي : (49)

يتمثل مفهوم « النقد الغرضي » في مرحلته الأولى في استخراج محور الأثر أو الاهتمام بغرض كثيرا ما يتردد في انتاج مؤلف . وقد تجاوز النقد الحديث هذه المرحلة بأن اعتنى بتطوير مفهوم « **الغرض** » فقد اصبح النقد الغرضي عند « **رولان بارت** » يحاول « **الكشف عن جهاز منسق من الشواغل** » (50) اما « **فابار** » فقد اعتبر « **الغرض الحدث أو الموقف الذي بامكانه البروز ـ في أغلب الأحيان لا شعوريا ـ في أثر فني أو في مجموعة من الآثار الفنية** » (51) ويفسر « **جورج بولي** » الغرض « **بكونه** « **النماذج** » و « **الاشكال** » ويكون نقدها « **محاولة لكشف العملية التي يتآزر فيها العقل مع الجسم وأجسام الآخرين خلال هذه النماذج والاشكال ليتحد مع الملموس ويؤلف موضوعا معينا** » (52) وهذا النقد كمكون موجها « **من وعي الى وعي آخر ..** » فمفهوم « **الغرض** » قد تطور اذن من المعنى المطلق ليتضمن ايضا العناية بالاشكال التي تعكس رؤية المؤلف وتفكيره . اما محمد الحليوي فهو يعرف النقد فيقول « **النقد الصحيح الذي اعنيه هو النقد النزيه الخالي من التحكم والمهاترة ، والمبني على قواعد فنية صحيحة تعود الى**

روح القصيدة ومعانيها فتحللها وتبين قيمتها الفنية ومكانتها الانسانية باعتبار انها وحدة قائمة الذات وعمل فني صادر عن نفس واعية وعقل مفكر . اما الالفاظ فلا تأتي الا ثانيا وبالغرض يشترط ان يكون مبنيا على التسامح واللين . فالصورة الشعرية التي يبتكرها الشاعر والتي لا نظائر لها في الأمثلة المحفوظة التي اكتسبت بالاستعمال معنى جديدا ابعدها قليلا عن حدها اللغوي في القاموس » (53) فالناقد يؤكد على وجوب اعتماد المقاييس واستحكام الموضوعية في النقد . وهذه العوامل ترمي الى الكشف عن مضمون الشعر واحلاله مكانته في تفكير المؤلف الواعي بتجربته الفنية . اما جانب الشكل فهو يأتي في المرحلة الثانية اذ على الناقد ان يبين« القيمةالفنية » التي تحدث بتكيف اللغة تكيفا جديدا يبعدها عن معنى القاموس . فهذا المفهوم للنقد يمكن ان يلتقي بجوانب كثيرة مع مفهوم « جورج بولي » اذ يؤلف بين الشكل والمعنى ووعي الكاتب ليبحث في « انسانية الغرض » وتفتحه على ما يحيط به ولعل ما يتجاوب مع مفهوم محمد الحليوي هذا للنقد دراسته « نظرات في ديوان اغاني الحياة » (54) يبين منذ بداية موضوعه انه سيعتني بالناحية المعنوية من شعر الشابي تاركا الشكل الى فرصة أخرى . ويقسم الديوان الى ثمانية أقسام تجمع المضامين المتداولة وهي العدم والموت ـ الطبيعة والغاب ـ الغربة الروحية ـ الحب والغزل ـ القلب ـ الوطنيات ـ الهجاء الاجتماعي ـ الشعر السياسي ـ ويشرع بعد هذا التقسيم في التعليق والتحليل ويعمد احيانا الى المقارنة بين الشابي وبعض الشعراء فيقول مثلا : « **بعد قراءة هذا القصيد لا نلبث أن نذكر قصيدة جبران المطولة « المواكب » فهي تحمل نفس الفكرة في تفضيل عيش الغاب ونفس الأسباب التي منعته من تحقيق رغبته .. »** (55) ويلحق الحليوي نقده احيانا بملاحظات تخص الشكل فيقول : « **في هذه القصيدة نراه يركز العمل الفني في النظم على ايراد كل الكلمات والعبارات التي وضعت في اللغة للحزن والأسى ، ليصف لنا حالته النفسية فيحشر في أبيات القصيدة الثمانية عشر عشرين كلمة للتعبير عن كآبة نفسه .. »** (56) وقد يعبر عن موقفه من « **الخلق الفني** » عند الشابي بالاعجاب والاعتراف بالجودة الفنية دون استنتاج ذلك من التحليل « **اشهد ان هذا القصيد آية في الصدق والجمال والبساطة** » (57) وقد يدافع عن منزلة الشابي فيقول : « **لكن التاريخ قد تكفل بهاته القضية ، فلن يقدر المتخرصون والذين ضاقوا بمكانته او سد عليهم باب الشهرة لن يقدروا ان ينزلوا الشابي من قمته السامقة** » (58) ومن ميزات نقد الحليوي اعتماده على مصادر ومراجع يذكرها اثناء البحث ثم يلحقها برأيه الشخصي . يقول مثلا : « **يقول الدكتور شوقي ضيف في كتابه « دراسات في الأدب العربي المعاصر » ولا يمكن تفسير هذه الثورة على شعبه الا بأنه كان يستقبل** شعره استقبالا فاترا فصب جام سخطه عليه حين رآه لا **يعترف بمواهبه ولا يستقبل اناشيده بالحرارة التي ينبغي ان تستقبل بها** . وربما كانت ثورة **خاصة فعممها ، فهو يثور على خصومه من ذوي النفوس الدنيئة ويتسع لثورته الى الشعب جميعه** .. » (59) ويناقض الحليوي رأي شوقي ضيف بقوله : « **في رأيي ان الشابي في الفترة التي نظم فيها « النبيء المجهول » كان يعم بسخطه الشعب الذي لا يؤمن برسالته الادبية** » (60) وعلى هذا السياق من التحليل المدعم بالمناقشة يتناول الحليوي دراسة المضامين التي حددها معتمدا في الاستشهاد على شعر الشابي . فهذا النقد في نهاية الأمر لا يمثل للمفهوم الذي حدده الحليوي للنقد اذ انه لم يرجع الاغراض الى « **الذات الواعية** »التي اكد عليها الناقد في القسم النظري كما انه حافظ على المستوى التعبيري الذي وردت به قصائد الشاعر فكان نقده يغلب عليه التحليل ووقع في تكرار خلق الشاعر .

ويمكن ان نضيف الى هذا الاتجاه بعض انتاج محمد الصالح الجابري النقدي . من ذلك دراسته حول « **برق الليل** » (61) و « **الدوعاجي في جولته** » (62) ونقتصر على تحليل محاولته النقدية القصيرة « **حليمة بين الأزمان الثلاثة** » (63) يستهل نقده بمقدمة « **غنائية** » ان صح هذا التعبير يلفت فيها الانتباه الى مكانة الزمن فيقول « **من يوقظنا ويدفع بنا الى الجري وراء الحافلات صباحا ودفء الفراش لا يزال يتراقص في احداقنا**

الملأى بالنعاس ؟ من جهتي أنا فسأنتصح بما ارتآه كبير اللامعقوليين يوجين يونسكو عندما قال لمغنيته الصلعاء وهو يشير الى الساعة المحطمة : « يسعدني ان أراك معطلة ايتها الساعة ... ان اخنق فيك الحياة لاسعد قليلا بنفسي خارج ما قلينه علي منذ أمد سوف لن تستطيع عقاربك بعد الآن أن تغنيني ضمن دقاتك » (64) بهذه الاشارة يكون محمد الصالح الجابري قد حدد تأثره بنزعة اللامعقوليين واللاقصة الحديثة وما ترمي اليه من تغيير نظرة الانسان للزمن انطلاقا من افتراضات « هنري برقسون » حول مفاهيم الزمن ويستنتج ثلاثة اصناف من الزمن : الزمن التاريخي والزمن الآلي وزمن الحوادث . ويقدم لنا لمحة تاريخية عن تطور أساليب القصة الحديثة فيقول « ان المتأكد في نظر من حاولوا دراسة القصة وتعمقوا ابعادها ان الشعور بالزمن لم يتولد عند شخوصها ولم يتوضح الا بعد الحربين العالميتين » ويتساءل بعد هذا التوضيح « ماذا قدمت حليمة في مجالات الزمن التاريخي والزمن المكاني وزمن الحوادث » (65) يثبت محمد الصالح الجابري توفر عنصر الزمن التاريخي فيقول « اصر على القول بأن الاستاذ المطوي سجل في قصته دونما جدال فترة هامة من زماننا التاريخي بدايتها الصراع النفسي بين ما نشتهيه في ارضنا ومن خيراتنا ولا نقدر على تحقيقه ... » (66) ان ما يلفت الانتباه في هذه الملاحظة لغة الكاتب مثل استعماله « اصر على » و« سجل » و« دونما جدال » فهذه انماط لغوية صحفية تولدت وانتشرت نتيجة نشر النقد عن طريق الصحف . أما عن « زمن الحوادث » فالناقد يعتبر انه « اذا عدنا الى زمن الحوادث لمسنا نفس الانفصال تقريبا ، وانما بصورة اوضح منها في الزمن المكاني والانفصام هنا قد يكون سبب العجالة التي نلاحظ ان المؤلف أراد بها انهاء قصته ... » (67) فهذه الملاحظات وردت في صيغة استنتاجات عامة دون تحليل دقيق لتطور مفهوم الزمن واعتباره عند الكاتب والاشخاص والسياق العام للقصة . ويختم هذه الاستنتاجات بقوله « عادت ام حليمة التي كانت تقف في منطقة الصفر من الزمن العادي لتسترجع ذكرياتها وذكريات موت زوجها ، عادت الى الالتحام بالزمن العادي والذوبان فيه الى النهاية » (68) فالناقد حاول اذن غلق دورة الزمن وبذلك يضعنا في مدار انواع الزمن الثلاثة .

ان هذين النموذجين اي دراسة الحليوي لاغراض « أغاني الحياة » للشابي و« حليمة بين الأزمنة الثلاثة » للجابري هما في سياق النقد الغرضي الحديث وخاصة كما يعرفه « بولي » و « فابار » (69) الا ان هذا النقد لم يتخلص بعد من بعض الخصائص الكلاسيكية . فالحليوي يعمد احيانا الى الاستنتاج الاعتباطي من الأثر واصدار الاحكام العامة والانحياز للشاعر وعدم التأليف بين عناصر بحثه . ومحمد الصالح الجابري يكتب نقدا غرضيا صحفيا اكثر منه أدبيا تحليليا .

2 ـ الاتجاه النفساني ـ الاجتماعي

اذا اعتبرنا ان للبيئة اثرا في عملية الخلق الفني كما يرى ذلك « تان » (70) وأن بجانب هذا العنصر يتفاعل المؤلف بأهوائه ومعتقداته واحاسيسه نرى احيانا ان الربط بين هذين الطرفين يكون ما يمكن ان ندعوه « الاتجاه الاجتماعي ـ النفساني » فقد يستهل الناقد هذه العلاقة من أوجه عديدة من ذلك محاولة تحديد موقف المؤلف من بيئة معينة أومدى اثر البيئة في الخلق الفني لمؤلف أو الأخذ والعطاء بين الطرفين يلخص المنجي الشملي هذه العناصر فيقول « انا موجود لأني أتأثر ، ولابد من ان يكون لتأثري النصيب الوافر في فهم العمل الأدبي الذي اشرح وأقيم ، ولابد من أن يكون لتذوقي الحظ الواسع فأنا لي حساسية وأهواء وعادات فكرية ورواسب لا شعورية وظروف اجتماعية وآمال باطنية ورغبات انسانية ولي عقل به افكر وقلب به احب أو أكره ، وأنا قادر على الملاحظة ، وقادر على الخيال .. » (71) في هذا المفهوم للنقد يجمع المنجي الشملي بين العنصر الذاتي المتمثل في شخصية المؤلف وبين المحيط الذي ينشأ فيه الخلق الفني وينمو ، ويحاول ان يوفق بين التأثر بالأثر من جهة وبين الموضوعية العلمية لدراسة الاثر من جهة اخرى ، فيكون النقد « رؤية » محترزة ، حيادية . ولعل الانتاج الذي يتجاوب مع هذه النظرية المستوعبة لعنصر الذاتية والبيئة ما كتبه المنجي الشملي عن « الخيال الشعري عند العرب » للشابي (72) وقد أضاف

الناقد الى هذا العنوان « **عقيدة ادبية واجتماعية سياسية** » ولبيان هذا التعريف قسم الناقد دراسته الى نواح خمس ، تتناول الاولى « **حياة الشاعر** » وتحلل الثانية « **مؤلفاته** » ثم يقدم حكما عاما عن « **الخيال الشعري عند العرب** » ويحلل هذه المحاضرة ثم يختم بحثه بالتعليق على ما جاء فيها من مواقف . يتعرض الناقد الى ترجمة الشاعر بالاشارة الى وجوب الاختصار على الجوانب الهامة من حياته « **وليس غرضنا في هذا البحث الرجوع الى تفصيل القول في ترجمة الشابي ، لأن الكثير من عويصاتها قد اصبح جليا ولكنا نود التذكير بما يفيد الموضوع الذي من اجله وقفنا منكم هذا الموقف** » (73) وعلى هذا الاساس يشير الى اهم مراحل تعلم الشابي وزواجه ومرضه . ويتعرض الى آثار الشاعر خلال هذه الحياة وتتمثل في المخطوطة المعدة للنشر ثم المطبوعة ويشير الى مكانة محاضرة الشابي من بين آثاره فيلاحظ ان النقاد يهملون هذه المحاضرة من ذلك ان « **جل الذين يعكفون بالدرس على أدب الشابي يهملون هذه المحاضرة التي قد تكون خير معين على انزال الشاعر منزلته الحق في الشعر العربي الحديث وان هم ذكروها ، فبعبارة موجزة يكتنفها الغموض** » (74) ويعلق الكاتب على المنهجيات التي درست هذه المحاضرة فيلاحظ انها « **قليلة ولعلها جميعا تنم عن اعجاب مفرط بما قاله ابو القاسم ، او انكار مفرط لا نستثني منها سوى مقالتين للاستاذ الحليوي نشرتا منذ سنة 1930 في مجلة العالم الادبي** » (75)

ويقدم الناقد تعليقا عاما على الأثر فيقول : « **نحن نعتقد بعد دراسة هذه المحاضرة الطويلة ، انها بيان خطير عن عقيدة الشابي الأدبية أولا وعقيدته الاجتماعية والسياسية بعد ذلك ...** (76)

ويحلل المحاضرة فيحدد موضوعها بأنه « **بحث في الأدب العربي القديم** » ويتعرض الى الجو الذي القيت فيه المحاضرة ويرجعها الى مشكلة أدبية تتجاوز حدود النقاش الادبي او ما يسمونه معركة القديم والحديث لانها « **قضية** » بالمعنى القانوني (77) ويحدد الناقد عناصر التقابل والصراع في المحاضرة بين الأدب العربي من جهة وبين شخصية الناقد من جهة أخرى . ويحلل الناقد مواضيع هذه القضية كما بسطها صاحبها ، وهي تتناول تحديد مفهوم الخيال الشعري وأثره في الأدب العربي القديم في الطبيعة ثم عن نصيب المرأة من الخيال الشعري عند العرب ويتعرض أيضا الى القصة وينهي تحليل هذا القسم من المحاضرة بالتعليق على « **احكام** » الشاعر فيلاحظ انه وصف هذا القسم « **وصفا توخى فيه الايجاز مع الحرص على الامانة العلمية قدر المستطاع ، حتى تكون عناصر القضية الادبية التي تضمنها كتاب « الخيال الشعري عند العرب » واضحة وضوحا لا يخالطه لبس ، وما هي الا أن تجيء الساعة الرهيبة ، ساعة التصريح بالحكم . فاذا هو قاس كأشد ما تكون القسوة ، حاد في غير مراعاة لظروف التخفيف ، ولكنه على قسوته وحدته ـ منسجم انسجاما تاما مع منطق الكتاب** » (78) ويستعرض الناقد احكام الشابي « **من الأدب العربي وفروعه عامة** » ويعلق على هذه الآراء فيشير الى ما أثارته من سخط ورضى لدى بعض الاوساط الأدبية وينتقل للتصريح برأيه فيقول « **لنا أن نتساءل عن قيمة هذا الكتاب لنتبين مدى اهميته بالنسبة الى أدب الشابي ، ان جوهر المحاضرة في نظرنا هو تساؤل الشابي عن قيمة الادب العربي القديم بالنسبة الى الآداب الاخرى** » (79) وقد « **ادى هذا التساؤل بصاحبه الى الموازنة بين أدبين مختلفين في الزمن أي بين الأدب العربي القديم والأدب الاوروبي فقامت مغامرة للشابي منذ البداية على أساس غير متين مع ما يمكن في هذه الموازنة ...** » (80) ويقدم ملاحظات حول الافكار القانونية في المحاضرة مثل « **الاساطير** » فيقرر انه لا يرتاح كامل الارتياح الى ما قرره الشابي من خلق « **الاساطير العربية** » ويناقض الشاعر حول خيال « **وصف الطبيعة** » فيؤكد على توفر تجارب كثيرة في الأدب العربي اتصفت بالجودة الفنية كما يعلق على موقف الشابي من « **الخيال** » في وصف المرأة وكذلك « **القصة** » ويستدرك بعد هذا التحليل والنقد فيقول « **بان لهذه المحاضرة معنى اعمق من القضية الادبية التي اقيمت عليها وهو معنى اجتماعي سياسي** » (81) فالناقد في نهاية الأمر يرجع المحاضرة الى الفكرة التي تبناها من قبل ويلخص هذا الحكم باعتبار المحاضرة « **وصية اجتماعية سياسية ، صاحبها شاب**

واع لواقع امته فسئم الجمود الفكري والعقم الادبي والظلام الذي كان يحيط بشعبه » (82) ويستنتج الناقد بعد ذلك العلاقة بين المحاضرة وشعر الشابي فيلاحظ علاقة متينة تمثل امتدادا لوضعية الشابي وافكاره ومشاعره ويؤكد على هذا الاعتبار بقوله « ان المعاني قد زخر بها « الخيال الشعري » كما رأينا وزخرت بها رسائله وزخر بها ديوانه ، وان الباحث الحصيف هو الذي لا يقيم حدودا فاصلة بين مختلف آثار الاديب ولا يكون ذلك الا اذا فهمنا ـ واضح الفهم ـ الفرق بين الاثر النثري والأثر الشعري » (83) فالناقد اذن قد امتثل في تطبيقه الى مفهومه للنقد . ونتحصل في نهاية البحث على ارجاع الاثر الى مصادره وغاياته الاولى وربطهـا بالحياة الاجتماعية والسياسية وموقف المؤلف منها . وقد عمد لاستنتاج هذه الخصائص الى استنطاق آثار الشاعر وعبر عن موقفه منها باستعمال الطرق الادبية المعروفة مثل قواعد الموازنة والخيال في وصف الطبيعة فجاء نقده وسطا بين الموضوعية العلمية والآراء الشخصية المدعمة بأدلة .

ومن النقاد من يتوخى هذه الطريقة الرابطة بين الأثر والمحيط الاجتماعي في عصر ما الا انه يحدد وجهة معينة تختلف عن السابقة وهي « البحث عن اصالة البيئة التونسية » في الأثر . ويتجلى ذلك في نقد « توفيق بكار » لآثار الدوعاجي وفريد غازي لقصص البشير خريف وأدب المسعدي والشابي وفي محاولة صالح القرمادي لدراسة اوضاع القصة التونسية الحديثة . ولعل ما يلفت الانتباه من هذه النماذج دراسة « توفيق بكار » لأدب الدوعاجي وربطه بالبيئة (84) يستهل الناقد دراسته بقوله « من حسن حظ الدوعاجي بل ومن حسن حظنا انه صادف حين نجم في افق الأدب ظروفا مواتية أعانت على شحذ قواها الخلاقة وتسديدها وتيسرت له اسباب النشر والرواج . فقد نبغ في وقت بدأت فيه الأذواق بحكم التطور تمج القوالب الأدبية القديمة وتنصرف الى صيغ فنية جديدة تسع من معنى الفكر وخلجات الوجدان ما ضاقت عنه القوالب القديمة وصارت الحاجة ماسة الى تطعيم الأدب العربي » (85) ويشير الناقد الى ان ربط الأثر بالبيئة ليس امرا اعتباطيا او شكليا وانما يدل على علاقة متينة بين العوامل الخارجية والأثر الفني اذ يقول « احببت ان اذكر هذه الأمور ولو في عجالة حتى لا يتوهم متوهم اني اعتبر الدوعاجي بدعا او أراه نشأ من عدم وقد كان الى حد بعيد وليد عصر ونتج تيار ... » (86) .

ويبحث الناقد في مظاهر الاصالة في أدب الدوعاجي فيحددها في « طرافة الاسلوب » اذ ان الدوعاجي « سعى ـ واعيا ـ بالنجاة بنفسه وادبه من الوقوع في مزلقة النقل البليد العقيم وقد وفق الى ذلك توفيقا كبيرا فأخرج لنا من صادق فنه قصصا سمحة مطبوعة بطابع البيئة التونسية الصريح » (87) فالأسلوب يتسم اذن بخصائص الواقعية ويتبع الناقد هذا الاستنتاج بتحليل امثلة من قصص الدوعاجي حيث يستعمل احيانا الفاظا دارجة ولغة سهلة بسيطة ويرجع الناقد وعي المؤلف الى تفتحه الذاتي على بيئته اذ ان « ما كانت هذه الاصالة تتم للدوعاجي لو لم يكن صاحب خبرة واسعة بواقع الاوساط الاجتماعية .. » (88) وينتقل الناقد لتحديد واقعية الدوعاجي فاذا هو « كاتب واقعي استمد ادبه لا من الخيال المحض مهما كان ابداعه الخيالي بل من واقع الحياة المضطرب المصطخب على ان الواقع لم يستبد به والدوعاجي استسلم لسلطانه ولو كذلك كان الأمر لما زاد ادبه على كونه تصويرا آليا وليس هذا من الفن في شيء ولكنه وقف من الواقع وقفة الأديب الحق الذي يؤمن بأن الأدب من الواقع أو لا يكون .. » (89) واستمداد هذا الواقع يتشكل حسب الناقد في عملية تركيب تضيف خلقا جديدا حمل من الفكر معنى ودلالة والبس من الفن رونقا وجمالا . » (90) ويربط الناقد بين أدب الدوعاجي أي الابنية العليا وبين هياكل المجتمع أي الابنية السفلى فاذا قصص الكاتب « تدل على مدى القلقلة التي كان يعانيها المجتمع التونسي آنذاك وقد دخل منذ زمن بحكم التطور في حركة تحول افقدته توازنه القديم » (91) ويحلل الناقد بعض النماذج القصصية مثل قصص « سيدي المؤدب » و « قرباجي الحومة » ويستدرك الناقد فيرى أننا يجب ان لا نعتبر أدب الدوعاجي أدبا فلكلوريا اذ هو « بعيد مدى الدلالة الانسانية بالغ في الشمول ... » (92) ويتناول

بالدرس الخصائص الفنية التي تدعم فن الدوعاجي فيستنتج « **التصوير** » الدقيق والتصوير الكاريكتوري وينظر في اشخاص الدوعاجي فاذا هو « **يغور بنا في اغوار النفوس باحثا عن سرها المكنون وان كل نفس متفتح عن عاطفة غلابة ينساب معينها طاهرا صافيا من ينبوع الشعور** » (93) وتنبني الشخصيات على صراع نفساني بين الخير والشر ان الخاصية الاولى لهذه الدراسة تتمثل في ربط الأثر الأدبي بالبيئة على أساس علاقة بين الابنية السفلى والعليا . والبحث يحاول تدعيم غاية وهي « **توفر الاصالة في أدب الدوعاجي** » بالاعتماد على امثلة دقيقة ومختلفة وقد تناول الناقد بالدرس للوصول الى هذه الغاية تحليل ناحيتي المضمون والشكل وتكاملهما لتشكيل خلق فني معين .

وهكذا يمكننا ان نلاحظ تطورا في الاتجاه الاجتماعي ـ النفساني تتصف مرحلته الاولى بربط الأثر الأدبي بالمحيط الاجتماعي والسياسي لفترة زمنية محدودة يعبر فيها الفرد عن موقفه منها . وتتسع هذه النظرية لتبحث في « موقف الفرد من هذا المحيط ويتمثل موقفه في « **التعبير عن الأصالة** » وانصهاره وربما رفضه لبعض القيم وهذا الموقف يكون تعبيريا شكلا ومضمونا .

3 ـ اتجاه النقد الذاتي :

ينطلق هذا الاتجاه من اعتبار العلاقة بين الاثر والقارىء ، وهذه العلاقة خاضعة لمقياس الذوق وشعور احساسي معين بقيمة الأثر . فهذا النقد يكون نتاج المناسبات في اغلب الأحيان ، ولعله أول مرحلة بدأ بها النقد الأدبي . وتحاول الاتجاهات الحديثة تجاوزها لانها لا تخضع لمنطق التحليل والتجرد . يمكن ان ندرج في هذا الاتجاه كتاب « **الخواطر** » مثل الطاهر قيقة وعامر غديرة ومحمد العابد مزالي وعبد العزيز بن حسن والصادق مازيغ .

يعلق الصادق مازيغ في « رسالة » بعث بها الى البشير خريف عن قصصه فيستهل نقده ببيان ما حذه في قصص خريف فيقول « **ما علينا ان نطالبك الا بتقدير نفسيات تونسية شرقية من ذلك الوسط الذي عشت في احضانه فيكون بذلك ادبا صادقا ..** » (94) ويحلل قصص خريف ويركز على الشخصيات فيها فيقول : « **ان هذه الشخصيات ليست بالخارقة للعادة ...** » ويقف عند قصة خريف « **افلاس** » فيعتبرها « **تاريخية وربما كانت اصدق وثيقة عن التطور المشاهد يومئذ في العقليات ومظاهر الشعور** » (95) ويختم بحثه بالتعليق التالي « **وبعد فنحن امام قصص تونسي ممتع دسم ثري فائق الاسلوب ، واضح الملامح الشخصية والفكر قد انصهرت في بوتقتـه مختلف العناصر والتأثيرات دون ان تفقده منحاه التونسي الرائع الأصيل او تقصيةً عن مغزاه الانساني الناصع الجليل ...** » (96) فالناقد يعرض العناصر التي اعجبته في الأثر وهي تتمثل في جودة الأسلوب وتعبيره عن شخصية المؤلف وتصويره للواقع البنوي التونسي ويشير الى الزاوية التي نظر منها الى الأثر بقوله : « **هذه كلمة وجيزة مقتضبة عن فنك القصصي الذي قد حرك مشاعري وايقظ افكاري** » ويتناول محمد العابد مزالي « **ديوان الهادي نعمان** » النغم الحائر . بالنقد في شكل « **رسالة** » أيضا بعث بها الى الشاعر . فيستهل نقده بشكر الشاعر على اهدائه الديوان له فيقول « **انا مقدر كل ذلك وعلى تقديري له يكون شكري والتحليل** » (97) فنستخلص من هذا النقد تعبير الناقد عن احساس معين نحو الأثر صادر عن الاعجاب اكثر من الموضوعية وعدم الانحياز . ويمكن ان نضيف الى هذه النماذج محاولة الطاهر قيقة في دراسته « **ابو القاسم الشابي وتجربته الشعرية ...** » (98) حيث يعمد الى عرض بعض قصائد الشاعر « **كمكانة المرأة في شعره** » ويحدد عالم الشابي بكونه « **مأساة انسانية عادية تجري في سطح واحد ولا نجد فيها اي سمة وهي مأساة تتوالى فصولها في عالم سفلي** » . (99) وينظر الناقد فيما سماه « **بالمحنة الكونية** » و « **الواسطة المنقذة** » و « **حالة التجلي** » ويعلق على تجربة الشابي بقوله « **لقد استطاع ابو القاسم ان يتحرر من قيود التقاليد البالية والمحاكاة للقيام بتجربة روحية فريدة من نوعها في الآداب العربية تقديما حديثا** » (100) فالناقد في هذه الاحكام لا يستند الى مقاييس مضبوطة وانما يتحدث مباشرة عن موقف شعوري من الأثر . يتناول عامر غديرة عناصر الشعر والخيال في الأدب العربي فيشير في مقدمة بحثه الى ان هذه الخواطر « **خطرت لي ... على سبيل**

الحدس والشعور الغامض فجاءت في أن واحد مبعثرة في غير ترتيب .. » (101) فلعل ما قصد به عامر غديرة من « **حدس** » و « **شعور غامض** » مفهومه « **للذوق** » وعلى هذا الأساس يعرف الشعر والشاعر فيعتبر هذا الأخير « **مثل الساحر الذي يريد ان يخرق حدود المعتاد ومثله مثل كيمياوي القرون الوسطى الذي يريد ان يجعل من الحديد ذهبا ..** » (102) ويعتبر الشعر العربي « **اوسع ميدان عند العرب منه عند الأمم الاخرى فهو بداية كل فن ونهاية كل فن وخلاصة كل فن ومجمع الفنون ..** » (103) وأما مفهومه « للتجديد » **فهو يعتقد « انه لا يمكن اليوم تجديد في الأدب والشعر من دون غوص عميق وبحث طويل عن مكونات الأدب العربي وعبقرية الشعراء العرب »** (104) فهذه الاحكام تعتبر تأويلات معينة لمفاهيم حول الأدب والشعر والخيال وهي ناتجة عن ثقافة معينة وتأثيراتها النفسية الخاصة في القارىء . فهذا الاتجاه يعتمد في نهاية الأمر الذوق خاصة وقد جاء اغلبه في صيغة « **رسائل** » مثل نقد محمد العابد مزالي والصادق مازيغ ، والرسائل تفرض المجاملة والتعبير عن جودة الأثر اذا لم يكن اعجابا به .

4 ـ الاتجاه الموضوعي :

للموضوعية مفاهيم عديدة لعل اغلبها الاعتناء بدرس المصادر والمراجع دراسة بعيدة عن الهوى والانحياز للأثر . وقد تكون البحث عن العلاقات بين الأثر وظروف خلقه وتحديد نسبية تكونه ، وقد تطور مفهوم الموضوعية في النقد الحديث فالمتصفح للبيانات النظرية « **لموران** » أو « **قولدمان** » رغم اختلافاتها ما يجد حديثا الا « **عن الحقيقة العلمية** » فحتى « **سارتر** » يذكر « **حتمية** » تقوض الحدس وتميز مثل ما نجد عند « **ديكارت** » بين الصحيح والزائف ... الا أن اكتشاف « **بارت** » المفيد هو اعتقاده « **ان الحقيقة في النقد لا توجد مثل الله** » (105) فالموضوعية بدأت اذن تفقد معناها العلمي لتصبح ضبطا للمصطلحات والمقاييس اكثر منها للاحداث والحالات النفسية .

ونقصد بالموضوعية في النقد التونسي الحديث التجرد من الانحياز للاثر وتوخي مقاييس دقيقة لدراسته . يمكن ان ندمج في هذا الاتجاه دراسات محمد فريد غازي ودراسة توفيق بكار عن الشابي ودراسة المنجي الشملي عن المازني ناقدا وبعض كتابات احمد خالد . وعرض الكتب والمخطوطات لما تحتمه من تعاليق شكلية .

ونحلل دراسة غازي عن قصة البشير خريف « **افلاس** » (106) يقدم المؤلف لموضوعه بالتنبيه الى الظروف التي احاطت بهذا النقد فيقول « **تخوفت وأنا اقرأ مسودة ملاحظاتي في نبذة ان يرى في القارىء مدعيا عموميا يرافع ضد « افلاس » ويطلب الحكم عليها . فلابد له ان يعلم انني لم اكن انوي بالمرة ان اكتب عن « افلاس » لأني احب دائما ان يكون بيني وبين النتاج الأدبي مدى زماني يخول فكري حرية ازاء الحادث الأدبي تجعله ان حكم يحكم بلا شطط بل في تعقل وفي نوع من الاحتشام الفكري ومن التعقل والذوق السليم** Bon sens **الذي ينشده « ديكارت »** (107) فقد أشار الناقد في هذا القول الى وجوب الاحتراز من الحكم بالهوى ودفاع عن الأثر وقيد نفسه « **بالاحتشام الفكري** » و « **التعقل** » و « **الذوق السليم** » . ويثير الناقد قضية اللغة في القصة وهي حسب رأيه « **مشكلة فارغة** » يحاول من ورائها مهاجمو « **افلاس** » « **النيل من القصة نفسها وهو أمر مؤسف أرجو ان لا ينخدع القراء له ... فهو حر في ان يتوجه الى جمهور محدود او بالعكس واسع الاطراف وهو حر ان يجعل قصته « محلية » او بالعكس « لا محلية » لا اقليمية ما دامت مشكلة اللغة ثانوية . فما هي المشكلة او المشاكل الاساسية** » (108) وعلى أساس هذا التخلص يتناول غازي عنصرا من « **افلاس** » الا وهو علاقة هذه القصة بالفن القصصي « **في رأيي وأنا اقرأ « افلاس » للمرة الثالثة أن خريف لم يراع كثيرا الاعتبارات الفنية التي يخضع لقوانينها القصاصون في تسلسلها واطارها وربط العقدة والحل والمشاهد الطبيعية والنفسية** » (109) فالناقد اذن يؤمن بالشكل الفني التقليدي ويحاول ان يتخذه مقياسا ليطبقه على الأثر . ويستهل هذه « **المحاسبة** » بضبط أمور تاريخية اذ ان « الاطار في افلاس غير موجود . فان كان القارىء من السطور الأولى يعلم اننا في شتاء 1925 فهو لا يجد أي علامة على ان حوادث

القصة تدورعام 1925»(110)ويتساءل الناقد بعد ذلك : « **ما هو موضوع « افلاس » يا ترى ؟ وما هي « العقدة » وكيف الحادثة ؟ ثم كيف استرسال القصة ؟ وما هي نفسية الاشخاص ؟** » . (111) في القصة يحدد الناقد الموضوع ويبحث عن العقدة فيلاحظ انها مفقودة اذ كان على خريف ان يجعل محور القصة « **أو عقدتها تربية سليم البرجي العاطفية ، تجربة حب مع مثلة** » (112) اما عن الاشخاص **فهو** يلاحظ ان « **حركة الرواية تدور على اشخاص ثلاثة سليم البرجي ، لطيفة ، واسماعيل الصدراتي .. ولعل هناك شخصا رابعا** » (113) وينقد هذه الشخصيات بعد تقديمها فيلاحظ انه تنقصها قوة الشخصية « **اذ كانت العقدة تتطلب ان ترتبط خيوط الاشخاص ربطا اشد مما هي** عليه . ووددنا ان نرى **الاشخاص يغالبون القدر الاجتماعي** « المكتوب » **كما يعتقده ذلك الجيل ..** » (114) ويلاحظ كذلك بأن الابطال « **سلبيون يتقاذفهم القدر كما تتقاذف الامواج الجثث** » فالناقد يؤمن بمقاييس ثابتة يحاول ان يطبقها على الأثر ثم يدلي بآرائه من خلال نتائج التطبيق . وتتمثل الموضوعية في هذه المقاييس المعتمدة والتي تخول للناقد الاحكام ، الا ان تطبيق هذه المقاييس يؤدي الى التحجر والدغماطية . فالمؤلف ليس مجبورا على تطبيق قواعد الناقد ومراعاتها وخاصة اذا كانت كلاسيكية . ومما يلاحظه الناقد في هذه الدراسة ذكر العيوب والمحاسن في القصة **وهو** ما يدل على عدم المجاملة والانحياز . ويمكن ان نضيف الى نماذج « **النقد الموضوعي** » دراسة توفيق بكار عن الشابي (115) .

يستهل الناقد موضوعه حول الشابي بنقد المناهج الدارسة **له** ويرى « **ان هذه الكتابات ـ حول الشابي ـ الوافرة وفرة قد نحا فيها اصحابها الا قليلا منهم ـ منحى غريبا . فما اكثر ما انقلبت الدراسة عبادة وما اكثر ما استحال النقد تمجيدا حتى بدا الشاعر وقد توج رأسه من التقديس بهالة من نور بعد ما طوق من العنت بأكاليل من الشوك . هكذا تنشأ الأساطير ..** » (116) فالناقد يشير الى النقد الناتج عن الاعجاب والثناء على الشابي ويتعرض ايضا الى النقد الذوقي فيعتبره « **وان كان وجها من وجوه النقد لازما الا انه لا يسد بحال من الاحوال مسد النقد الموضوعي القائم على أساس المنهجية العلمية ...** » (117) فتوفيق بكار يربط الموضوعية بالنقد العلمي ويستنتج مزاياه اذ هو « **الكفيل وحده بأن يقينا الوقوع في تلك المزالق وذلك بدون ان يضيق عليك مجال التذوق ..** » (118) ويحدد محور نقده في « **محاولة ضبط هذه الآثار ثم التعريف بمجموعة منها ...** » ويضبط الناقد هذه الآثار ثم يتبعها بتعليقه عن قيمتها الفنية من حيث الشكل والمضمون ويستند الناقد في بعض آرائه الى مصادر ومراجع مثل ذكره لمحمد الحليوي . ويعمد لدراسة تأثر الشاعر بالآداب الاخرى ، الى خصائص فنية للشابي من ذلك ارجاع تأثره الى ظاهرة الرومنتيكية في شعره فيقول « **مشكلة تأثر انما هي ـ لو نعلم ـ جزء من مشكلة ام هي مشكلة رومنتيكية الشابي** وعوامل نشوئها . **وهذه العوامل هي عند الاحصاء اربعة** : خصائص نفسية الشابي ، **فاحوال بيئته الاجتماعية ، فتأثير** الأدب المهجري ، **فتأثير الرومنتيكية الاروبية** » (119) ويثير الناقد كثيرا من المسائل عن طريق بسط مختلف جوانب الموضوع ومحاولة الاجابة عنها بالبحث في شعر الشاعر فيقول « **نود ان نعرض ـ عرضا سريعا ـ لمسألتين من المسائل المتفرعة عن دراسة رومنتيكية الشابي وهما مفهوم الشابي للرومنتيكية وهل التزامها باعتبارها موقفا عاما من الحياة او باعتبارها مجرد مذهب ادبي** » (120) نستنتج من هذا التحليل الاعتماد على مصادر ومراجع يقدمها الناقد للقارىء ثم يحللها قبل التعليق عليها ويأتي هذا التعليق في شكل احتراز يتمثل في عرض وجوه محتملة للموضوع . ولعل أبرز محاولة في النقد الموضوعي تتجلى في دراسة « **الحبيب عباس** » « **قصر الريح والنقد الموضوعي** » . (121)

يقسم الحبيب عباس دراسته الى قسمين : قسم تحليلي وقسم نقدي زيادة على مقدمة يحدد فيها موضوع بحثه ومنهجه يضبط الناقد موضوع بحثه فيقول : « **ان عملي في هذه الوقفة سيقتصر على تحليل التمثيلية الاولى من كتيب السيد الفارسي تلك التي وقع اختيارها لسحب اسمها على كامل الكتاب تغليبا ، فالوقت لا يسمح بتناولها جميعا دفعة واحدة ولربما سمح بنقدها**

واحدة واحدة في فرص أخرى »(122) ان ما يبرز في هذه الملاحظة استعمال الناقد لتعبير « تحليل » : فنقده اذن يتمثل في تفكيك عملية الخلق ثم تليها الطريقة الاستنتاجية فيكون عند ذلك قد تخلص من سابقية الحكم وثبت هذا الرأي بقوله : « سأتبع في دراستي هذه الطريقة الاستنتاجية صونا للتجاوب فيما بيننا ونحن ننجز هذا العمل الفني في يقظة الوعي ... » (123)

ومن الملاحظ ان الناقد يتناول مسرحية بالنقد الا انه لا يفرق بين المسرحية والقصة والاقصوصة فقد استعمل هذه المصطلحات في نفس الوقت للاشارة الى المسرحية يتفق في نهاية الأمر على وصفها بالاقصوصة Conte (حسب رأيه بالرغم من أن مجموع كلماتها يقارب ثمانية آلاف كلمة ... » (124) ويقدم الناقد مفهومه للنقد ومحور النقد وأهدافه فيعتبر « الناقد البصير من يضرب في انفاذ المعاني الكامنة وراء اللوحات السميكة ويغوص في أعماق الخلجان يستبطن أسرارها وينفذ الى كنوزها ويزود الفني وخاصة الناشىء بحاجته من التوجيه والدعاية ويبذل له بسخاء من عمق ثقافته حتى يبلغ ببضاعته شوطها المحترم من الاتقان والجودة فلا تزال خبراته في صعود متواصل تستهدف الاصالة في مضمارها الحي كلما وضعت في الضوء الواضح ، وعرضت على وعي الخاطر لتمييز المحاسن وتبين النقائص بل ليستخرج ما ينطوي وراء اللفظ من أسرار مما خطر على بال المنتج في مضمار النقد الموضوعي وما لم يخطر على باله في مجال النقد الذاتي حين تستيقظ موهبة الناقد الفني ليعيد خلق الأثر الذي ينقده خلقا جديدا يتفق ومعطيات شخصيته ومبلغ ثقافته واكتناز خبراته » فالنقد حسب مفهوم الحبيب عباس يتناول شرح الأثر وتذليل العقوبات التي تحول دون فهمه ويتولى توجيه المؤلف . وهذا النقد يكون في مضمار النقد الموضوعي الذي يتآزر مع « النقد الذاتي » بجانب « الموضوعي » . ولعله يقصد من وراء ذلك تجنب استحالة النقد نقدا علميا بعيدا عن روح الادب والذوق . ويتناول في قسم أول تحليل المسرحية فيقدم محتوى مقدمة المسرحية القصيرة ويعلق عن ذلك فيقول : « هي مقدمة التمثيلية يمهد المؤلف لحوارها واحداثها بلوحة وصفية ليس بها من التوضيحات الا النزر القليل ، انها لوحة صياغية غير واضحة الوضوح اللازم ... » (125) ويتناول الناقد تحديد « الوضع المسرحي في « قصر الريح » فيؤكد على « أن أحدا لا يستطيع ان يقلل من شأن الوصفية في القصة فهي بمثابة المناظر التي تنتصب على جدران المسرح في المسرحية لغاية أساسية في العمل المسرحي ... » (126) ويتولى تقديم هذا الوضع ثم يشرع في تحليل ما سماه « بالحادثة الابتدائية » ويقتصر على تحليل هذه الحادثة كمثال لنقد الحبيب عباس . يحدد الناقد مراحل الحادثة في : « استجابة السقاء لرغبة الغريب في مساعدته على بلوغ القرية ـ الغريب يتوصل الى اقناع رابح السقاء على استضافته ـ تخوف رابح من زوجته ـ داخل البيت مع الزوجة ـ موت الغريب ـ قدوم الحلاق ـ دفن الغريب ـ ... » فالناقد يعمد اذن لتصوير إطار المسرحية الى تتبع حوادثها ومدى تأزمها وانحلالها ويجسم هذه العملية في شكل يحتوي على أهم المراحل . ويتناول الحبيب عباس المرحلة الابتدائية بالنقد فيلاحظ « أننا لا نغالي ان ذهبنا الى أن الكاتب وفق في المقطع التوفيقي كله فلم يعين اللوحات الموضحة حقها من الشرح ولم يفته شيء من الاجواء النفسية والبيئية ... » (127) فالناقد اذن يحكم بجودة الاثر وذلك لعدم استعانة الكاتب باللوحات الموضحة ولالمامه بالاجواء النفسية والبيئية الا انه لا يقتصر على تقديم النواحي الايجابية في هذا القسم بل يقدم أيضا أخطاء الكاتب أو مواطن الضعف في أثره فيستنتج « موقفين أخفق فيهما السيد الفارسي فغاب عنه فيهما وضع الريف بعاداته وتقاليده ، بقيمته ومفاهيمه » (128) ويحدد هذين المفهومين « وأهونهما ما تردد على لسان القروي ... » أما الثاني فهو يتمثل « فيما ارتطم فيه الكاتب من مغالاة في موقف محبوبة من زوجها ... » (129) ويلاحظ ان ما جره الى هذا الحكم هو عدم امتثال الأثر للواقع والشخصيات لما يمكن ان تكون عليه فيقول : « وخطأ كهذا من الوجهة الفنية لا يستساغ بحال » لأن أوكد ما يتطلبه الفن القصصي « قدرة القصاص على مقاربة الحياة كما هي في الواقع ، او كما يحتمل على تشخيص الحادث وفق ما يريد ان

يرسمه المؤلف ... » (130) وعلى هذا المنـوال من التحليل وتقصي الاحداث الجزئية يتناول الناقد دراسة الحادثة الثانية والثالثة والرابعة ... ويعتمد على الرسوم لتصوير تطور الاحداث وموقف الشخصيات ومدى تغير أو ثبوت المواقف وينتقل لنقد ما حاول ان يثبته « **بطريقة موضوعية** » حول احداث المسرحية ويتناول في مرحلة أولى تحديد موضوع المسرحية ثم يتناول بالدراسة اشخاصها فيقسمهم الى قسمين : اشخاص رئيسيون واشخاص ثانويون يحدد ملامحهم كما تبدو من خلال المسرحية . فالحلاق مثلا « **يشمل نوعا من الناس همهم الفضول المسرف ودأبهم تسقط عورات الغير للوقيعة والكيد** » ويلخص خصائص المسرحية الفنية في اعتبارها « قصة واقعية عصرية هادفة بوجه عام » (131) ثم ينقد الشكل الفني المسرحي في « **قصر الريح** » ثم يبين ان الاحداث سعت الى تحقيق الفكرة التي اراد تبليغها المؤلف « **وهذا يعني ان الفكرة** قد افرغت في اطار **سديد من العرض في سير الاحداث وترتيبها وتبويبها وتلوينها وتأديتها لذلك وردت الحبكة منطقية في بناء محكم متماسك يمضي الى غايته بلا استكراه او افتعال بالرغم مما أفلت للمؤلف من خلل كما نبهنا اليه فيما سبق** ... » (132) كما يتناول نقد لغة المؤلف فيقول : « **السيد الفارسي وفق مرة أخرى في التغلب على ما ينتج من مصاعب اجراء الحوار باللسان العربي الفصيح ، ولم تعجز عربية الرجل عن إمداد التمثيلية بحاجتها الى التأدية منذ البداية حتى النهاية يدل على تمكنه منها تمكنا لم يحوجه الى تراتيب عامية يقحمها هنا وهناك** ... » (133) فنقد الحبيب عباس في نهاية الأمر هو من قبيل النقد الذاتي الذي يعتمد على التحليل كطريقة موضوعية لضبط خصائص الأثر المعنوية والتشكيلية ويتبع هذا القسم بتعليق على هذه الخصائص ويستعين في التعليق بثقافته حول الموضوع وما يتميز به الأثر بصفة نظرية . الا اننا نلاحظ رغم ذلك استعمال تعابير تنم عن « **الذوق** » وتعميم الاحكام من ذلك قوله : « **تهيأ للكاتب من المقدرة على ايقاف القارىء او السامع** » (134) أو قوله « **هذا يعني ان الفكرة قد أفرغت في اطار سديد العرض** ... » أو استعماله « **السيد وفق مرة أخرى** ... » .

فهذه النماذج الثلاثة تمثل مراحل النقد الموضوعي ، يحترز فريد غازي في الأولى من الانحياز الى الأثر ، فيطبق قواعد فنية على الأثر المنقود الا ان ذلك جره الى التحجر في الاحكام . ويعتمد توفيق بكار خاصة على دراسة دقيقة للمصادر والمراجع للاستنتاج واصدار الاحكام . ويسلك الحبيب عباس طريقا ثالثة تتمثل في اعتماد الاشكال وتتبع الاحداث وتطوراتها ودراسة الاشخاص . وهذه الطرق في نهاية الأمر تقترب من موضوعية نسبية تترك بين « الحقيقة الادبية » المنشودة وبين الحكم والاستنتاج مدى يحاول النقاد تجاوزه ●●●

(للبحث صلة)

مراجع ومصادر

1) أقدم هذا العمل امتدادا لقضايا النقد الأدبي التونسي المعاصر (الحياة الثقافية عدد 5) و« النقد ومفاهيمه في الأدب التونسي » (الحياة الثقافية ، عدد 8) وقد اعتمدت فيه على بحثي « اتجاهات النقد الأدبي التونسي الحديث » (1956 ـ 1970) الذي قدّمته في نطاق الترشح لشهادة الكفاءة في البحث الأدبي (1972) ـ وإنّي أعتبر بعض المواقف قابلة لاعادة النّظر فيها ، خاصة فيما يتعلّق بقسم « الاتجاه الطّلائعي » وسأقوم بذلك في الوقت المناسب .

2) JEAN ROSSET : « Forme et signification. » Essai sur les structures littéraires ; José Corté. 1962

3) المرجع السّابق

4) المرجع السّابق

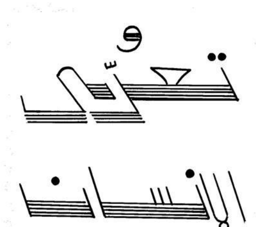
« qui est conforme à un idéal aux règles... aux usages établis traditionnels ». Larousse N.E. voir « Classique »

ROGER FAYOLLE : « La critique » l'introduction, P.P. 44-45. Armand Colin

7) المصدر السّابق

8) « حمودة بن عبد العزيز » بقلم محمّد الشاذلي النيفر ، الملحق الثقافي للعمل (14 ـ 3 ـ 1969) وما يليها من الحلقات (الحياة الثقافية عدد 2 ، 1977)

9) المصدر السابق
10) المصدر السابق
11) المصدر السّابق
12) المصدر السّابق
13) المصدر السّابق
14) محمّد الصّادق بسيس : » تعايش سلمي بين الصّومعة ومدخنة المصنع » جريدة « الصباح » 2 ـ 9 ـ 1965 .
15) و 16) . 17) و 18) المصدر السّابق .
19) انظر الجدول الذي نشرته لي الحياة الثقافية عدد 2 (السلسلة الجديدة)
20) كفاح الشابي ـ سلسلة كتاب البعث
21) و 22) و 23) و 24) و 25) و 26) و 27) مصطفى رجب شاعران . كتاب البعث ط . جانفي 1957 .
28) و 29) و 30) و 31) و 32) المصدر السّابق
23) » تجربة الشابي » الفكر عدد 1 1958
34) أخيرا ماجد والشعر . الملحق الثقافي . العمل 6 ـ 2 ـ 1970 .
35) تجربة الشابي « الفكر » . عدد 1 . 1958 .
36) و 37) و 38) و 39) و 40) و 41) و 42) و 43) : المصدر السابق .
44) » أخيرا .. ماجد والشعر « العمل » « الملحق الثقافي » 6 ـ 2 ـ 1970 .
45) و 46) و 47) و 48) المصدر السابق
49) تعريب J « La critique thématique »
50) « Les chemins actuels de la critique » collect. 10 X 18 P. 300
51) و 52) المصدر السّابق .
53) محمّد الحليوي : في الأدب التونسي « الدّار التونسيّة للنشر 1969 ص 242 .
54) 55) 56) 57) 58) 59) و 60 المصدر السّابق
61) انظر جدول جريدة الصباح المنشور بالحياة الثقافية عدد 2 السّلسلة الجديدة .
62) المصدر السّابق
63) جريدة « الصّباح » 18 ـ 2 ـ 1965 .
64) المصدر السّابق .
65) » حليمة بين الأزمان الثلاثة »الصباح 18 ـ 2 ـ 1965 .
66) و 67) و 68) المصدر السّابق .
69) « Les chemins actuels de la critique »
70) (1828 ـ 1893) Taine
71) المنجي الشملي « فلسفة النقد » الفكر . عدد 4 1967
72) و 73) و 74) و 75) و 76) و 77) و 78) و 79) و 80) و 81) و 82) و 83) : المنجي الشملي « الخيال الشعري . عقيدة أدبيّة واجتماعيّة سياسيّة الفكر عدد 7 . 1966 .
84) التجديد . عدد 5 و 6 س 1 .
85) المصدر السّابق .
86) و 87) و 88) و 89) و 90) و 91) و 92) و 93) : المصدر السّابق .
94) » قصص مصطفى خريّف في الميزان » الفكر . عدد 8 . 1962 .
95) و 96) » المصدر السابق و 97) محمّد العابد مزالي « حول النّغم الحائر » الفكر عدد 9 . 1956 .
98) أبو القاسم الشابي وتجربته الشعرية . الفكر عدد 1 . 1956
99) و 100) المصدر السّابق .
101) خواطر في الشعر والخيال » الفكر عدد 10 . 1963 .
102) و 103) و 104) : المصدر السّابق .
105) SERGE DARBROVSKY : « Pourquoi la Nouvelle Critique » (ed. Mercure de France) p. 82
106) حول « افلاس » . فريد غازي . الفكر . عدد 8 . 1959
107) و 108) و 109) و 110) و 111) و 112) و 113) و 114) و 115) : المصدر السابق .
116) » مشاركة في دراسة أبي القاسم الشابي » الحوليّات عدد 2 . 1965 .
117) و 118) و 119) و 120) و 121) المصدر السابق .
122) » قصر الريح والنّقد الموضوعي » . الصباح 2 ـ 8 ـ 1962 .
انظر تواريخ الحلقات التالية بالجدول المنشور بالحياة الثقافية . عدد 2 س . ج .
123) 124) و 125) و 126) و 127) و 128) و 129) و 130) و 131) و 132) و 133) و 134) : المصدر السابق .



قصة : بوراوي عجينة

ساقاه تتحركان على اسفلت الشارع العريض ببطء وجسمه الذي أتعبه ثلاثين خريفا يتمايل ، وشمس الظهر تلسع راسه الكبير الأشعث دون أن يبالي بسياطها . إنه يعيش وكفى .

ومشى وسط الطريق متحديا منبهات السيارات العديدة كأنه في نزهة صيف مسائية لذيذة ، والمارة يهمسون باسمه ويشيرون إليه .

« ـ لقد كان نجم الحفلات والتلفزة والمجلات . »

« ـ أليس هو الذي طبقت شهرته الآفاق ؟ »

ابتسامة خفيفة تنام بين طيات جبينه العريض الأسمر وبريق ساطع غريب يلف ناظريه ، وفمه يصفر مترنما بموسيقى غريبة .

ما إن رأى ورقة على جانب الرصيف حتى امتدت يده إليها بسرعة وشرع يقرأ بنهم :

ـ إنه دواء « سيباسبيرين » يصلح ضد الصداع والتعب و « الروماتيزم » وسوء الهضم و ... و ... و ... لكن ما الفرق بينه وبين « الأسبيرين » و « الفيقاسبير » و ... و ... و ... ؟ كلها أدوية متشابهة المفعول رغم اختلاف أشكالها .

خبأ الورقة في جيبه ... وضع كفيه على بطنه ، فظن أنه لم يفطر كالعادة وانه ليس جائعا ، ولا يريد طعاما ... ابتسم ـ هزته ضحكة عالية ... قهقه فتمايل وكاد يسقط ... أسند ظهره إلى الحائط .

« ـ ما مرض الانسان إلا من التخمة ، وما انتفخت البطون إلا لتنفلق يوما ... » نظر حوله ... رأى قطة وديعة ... دنا منها ليلمس ظهرها الأسود بحنان ، ذعرت وهربت فجرى خلفها ... شدها من ذنبها ورماها بعيدا فتركها تعوي .

« أنت أيضا مثلهم ، كلكم حيوانات قذرة ، لقد جربتكم فعرفت أن حقيقة الانسان نجاسة في نجاسة ... سحقا للجميع ... »

أفاق مذعورا على صوت يد تربت على كتفه . وسرعان ما وجد نفسه في سيارة وثيرة حذو رجل قال : إنه صديق معجب به ، جعل يسأله عن أخباره وعن ركود مسرحه وعن غرق مشاريعه وعن ... وعن ... وعن ... فقاطعه بابتسامة بلهاء هامسا :

ـ لقد طلقت حياة واحتضنتني حياة أخرى !

حملق الصديق في نظراته مبهوتا وسكت .

وجد نفسه ملقى على سرير مطاطي في حجرة أنيقة فوضع يديه تحت رأسه وتأمل في السقف بينما ضغط طبيب ـ جلس قربه ـ زر آلة تسجيل فانساب الشريط .

ـ انبسط وتحدث عن أي أمر يتبادر إلى ذهنك .

ـ إنني لم أعد أومن لا بالناس ولا بالأطباء ولا بالأدوية ...

ولكن سأجهد نفسي لأسترجع بعض ذكرياتي لأحكيها لنفسي لا لك وثق أنني لست مريضا بل أنتم المرضى ... أنت وصديقي الذي حملني إلى هنا والناس ... لكن لا يهم عندما كنت صغيرا عشت محروما من حنان الوالدين وتربيت في دور اليتامى ، فعوضت ذلك الاحساس النبيل بالانكباب على الدروس ، ثم أتممت دراستي ... وكنت دائما الأول في كل شيء ، ثم منحت حق الخروج من الوطن لمواصلة البحث ، ثم رجعت بعد خمسة وعشرين ربيعا ـ وقد أبيض شعر رأسي ـ من جنة خضراء إلى أرضي السمراء لأعمل وأواجه شمسنا القوية الساطعة . كانت شهائدي كثيرة عالية لم يخلق لها بعد وظيفة خاصة ، فشعرت أن جناحي كبيران ، وأن القفص صغير جدا ويخيل إلي أنني سأقبر حيا .

لكن سرعان ما جاء من أخرجني من سجني فعملت مترجما للأخبار والكتب والمسرحيات نهارا ـ وممثلا أثناء الليل ... وعرفت

منذ تلك الفترة موهبتي النائمة فاجتهدت مدى دورة الشمس وأدميت يدي ورجلي وعيني فانبهر الجميع ... وتعجبت أنا أيضا من نفسي ، وكان يقال لي :

« ... إنك تملك طلاقة من التعبير وصفاء ذهنيا وحضورا مسرحيا رائعا ... إننا لم نشاهد مثيلا لك البتة ... »

كنت أنا البطل دائما وكانت الأكف تصيح باسمي طويلا ... طويلا ... طويلا ، وكانت الزهور تكاد ترد مني ، كنت آله الفرس والأغريق والعرب كنت رسول الشرق والغرب ، كنت كل شيء ...

ثم هربت من الخشبة الضيقة وانتشرت مع ثلة صغيرة من الرفاق نخلق ونبدع ونمثل في البوادي والصحاري والجبال ، وكان الناس يعيشون معنا الخلق ويشاركوننا العمل وكان الفلاحون يسمرون مرددين كلامنا ونحن نتفرج .

ثم طفنا في أرجاء العالم فثقبت أصواتنا الجبال وعبرت المحيطات ، وكدنا نضيع في السماء شهرة مخلفين وراءنا أذواقا جديدة ونظريات مذهلة .

وكنت وضعت ـ خلال رحلاتي ـ على عيني مئات النظارات فأكلت من الملذات ما لا يحصى وذقت من الخمور ما يذهب بالعقول ونمت في أحضان اجمل نساء العالم وعرفت من الطباع ما لم أكن اتوقع وكان الجميع دائما معجبين بي إعجابا رائعا .

وأخيرا أصابني الارهاق فبقيت طريحا على فراش أبيض حولا كاملا فتخاصم رفاقي لافتكاك دوري وانحل الرباط الذي كان يجمعهم فتلاشوا في الضياع .

ويوما فيوما تناستني المعجبات فلم تعد تغمرني رسائلهن وجعلت الجرائد والمجلات حاجزا بيني وبينها ووجدتني في الظلام .

عند ذلك صرخت أن كل شيء حولي كان زيفا . أن الاعجاب كان انعكاسا ... إن التصفيق كان أنانية وتهريجا ... وأن الحياة خدعة .

وقررت أن أختفي

أصبحت أصواتهم كأنين الجرحى ومنظرهم كحشرات تتآكل . فلم أعد أقدر أن أنظر إليهم حتى لا أرى حقيقتهم الصارخة وأصبحت لا أنام إلا متى خرجوا ليتنافقوا ولا استيقظ إلا متى ناموا ونامت خديعتهم ، وعرفت ان الناس ليسوا سوى صورة مضخمة لكذبة كبيرة أو صورة مشوهة لحقيقة باطلة .

أصبح الانسان رغم ثيابه عاريا أمام عيني يجري وراء السراب عطشانا ملهوفا . وكلما ازداد تقدما ازداد عطشا ولهفة .

ومنذ ذلك الزمن لبست ازارا أبيض وأكلت تمرا وحليبا ونمت على الأرض .

أنا وحدي ـ يا دكتور ـ لا أغير منهم شيئا لذلك تراني ابتعد ... أهرب ـ انزوى ولا أخرج إلا نادرا ... لا فائدة أن تثنيني عن عزمي فإني أرى جيدا بعيني ما نعكس في مرآة نفسي .

في غرفته الصغيرة الأنيقة انسابت موسيقى هادئة وحلقت في فضائها أضواء خافتة حمراء ... خلع ثيابه ولبس ازارا ناصع البياض ثم قبع في ركن من الغرفة رأسه بين منكبيه وركبتيه . بقي ساكنا حتى توقفت السمفونية أفاق مذعورا . « ـ الظلام !! الوحشة !! الوحشة !! الظلام !! »

فتح الباب والنوافذ ... اشعل كل الأضواء ... رجع إلى مكانه فرأى ورقة الدواء قربه ، تلك التي التقطها من الرصيف فقام إلى خزانة عالية أخرج منها أوراقا كثيرة تشبهها ... أخذ يفحصها متنهدا .

« ـ آلاف الأسماء . كل يصلح لداء ، النزلة ، الصداع ، الارهاق ، الحزن ، الكآبة الضحك . ولكن لماذا لم يخلقوا دواء للنفاق والخديعة والكذب ... »

أخرج أدوية كثيرة ... عبث بها كطفل ... أخذ منها ثلاثة أقراص صدفة ... وضعها في فمه وابتلعها بامتعاض .

« ـ ما ازداد الانسان شربا للدواء إلا ازداد جسمه مرضا ومسيرته من القبر قربا »

أخرج من خزانة أخرى « البوما » وقصاصات ومجلات وجرائد جمعتها له سكرتيرته وأهدتها له في عيد ميلاده ... نظر إليها بابتسام وطاف بالغرفة قائلا باعتزاز :

« أنا عنترة العبسي .. بقيت سكرانا في حانات البصرة أيام الرشيد أسابيع متتالية ... أنا الذي نمت كأهل الكهف ثم أفقت من نوم الانحطاط ... »

وخيل إليه إن الأوراق والأدوية تدوي تصفيقا فانحنى شاكرا

وواصل بصوت قوي : « أنا الانسان في أمسه وغده .. أنا حبيب ليلى وجولييت .. أنا هملت بن شكسبير الذي أحب هندا فهربت عنه يوما ولحقت ببنات امستردام ، فلحق بها تاركا ملكه وتاجه ووجدها « هيبة » جميلة فنام على شفتيها وسبح معها في الجنس والحشيش وصاح : أنا الزمان المطلق والحقيقة الخالدة ، أنا كل شيء ولا شيء . أنا الانسان وقد تعرى . وهذا : لم يبق لي إلا السلاح أحمله ضد كل مستعمري العالم شرقا وغربا . سأبيع حياتي من أجل سنبلة خضراء تحملها الحمامة البيضاء في منقارها وتطير في السماء الأزرق !!! »

سمع الجيران ضوضاء وصياحا فالتفوا حول المنزل الصغير ونظروا من النوافذ إلى رجل عار يجمع أوراقا وكتبا وثيابا وأثاث الغرفة كله ، ويخرج بها إلى ساحة المنزل ثم يصب عليها قارورة من الخمر ويشعل النار ويتامل ألسنتها منتصرا . ثم يذهب إلى حائط قريب ويضع رأسه على التراب ويرفع رجليه إلى الفضاء ويوجه ناظريه إلى النار هادئا لا يتحرك ولا يسمع النداءات من حوله .

أصبح العالم حوله صافيا لطيفا . إنه سعيد شقي . إنه لا يشعر بأي إحساس متعارف فقد الاحساس بالألم واللذة ... بالحزن والفرح ... بالخوف والشجاعة . وصرخ كل شيء حوله بالعبث ، همس لنفسه وهو يسبح في غيبوبة ضبابية . « .. كل ما أعرفه انني عرفت كل شيء ولم أعرف شيئا ... »

أصابت رأسه حجارة صغيرة رماها طفل من المتفرجين فاستوى واقفا على قدميه فرأى الناس كلهم واقفين على رؤوسهم وقد تربع في عيونهم الخوف والفزع .

ارتمى على السنة النار العالية ... خرج مشتعل الرأس وفي يده ألواح ملتهبة ... وجهها نحو المتفرجين ... فهرب الجميع كالأرانب مذعورين ... جرى خلفهم مهددا ... صاح عاليا دون أن تخرج للأصوات من فمه ... خيل إليه أن كلامه رصاص أو شرارات تحرق الأجساد .

وما زال يجري خلفهم ... وما زالوا هاربين ...

بـــوراوي عجينـــة



علاقة التنمية الثقافية بالتنمية الشاملة

دراسة : علي بلعربي

تعتمد هذه الدراسة على النظر في تأثير الثقافة والدور الذي تلعبه او يمكن أن تلعبه « **التنمية الثقافية** » في تطعيم واثراء « **التنمية الشاملة** » أو « **التنمية القومية** » في البلدان الحديثة العهد بالاستقلال . وسنسعى بعد ذلك إلى تحديد مفاهيم هذه الألفاظ .

يمكن أن نعتبر أن رفع الاستعمار عن البلدان الحديثة العهد بالاستقلال قد مكنها من العمل على استرجاع « **اصالتها** » والحفاظ على شخصياتها الثقافية . وإذا اعتبرنا أيضا أن السنوات الأولى التي واكبت الاستقلال قد خصصت لتنظيم الأسس السياسية والاقتصادية الحياتية فان السنوات التي تلتها قد استعملت في سبيل تحصين وتقوية الحياة السياسية والاقتصادية من ناحية ، وخاصة في سبيل « **خلق الانسان الجديد** » ورفع « **مستواه الثقافي** » من ناحية أخرى .

ويمكن أن نحتمل إذن أن « **التنمية الاقتصادية** » **وحدها تكون غير كافية ، ولعلها فاشلة إذا لم تصاحبها ولم تواكبها « تنمية ثقافية واجتماعية »**

وهذا الاحتمال ناتج عن وعي جماعي فرضته المعطيات التاريخية الجديدة على البلدان الحديثة العهد بالاستقلال.

ذلك أن الاستقلال غيّر نظرة هذه البلدان إلى الأشياء. وأعلن عن حتمية مراجعة واقعها العميق والذاتي الذي كان مداسا ومعدوما.

هذا ما سيخول لزعماء هذه البلدان إعادة كتابة تاريخها واعتماد تجاربها في تحقيق المستقبل الأفضل بعد أن خرجت من عقود الاستعمار بوجه مغير تماما فقدت أثناءه مكوناتها الأصلية الحضارية وهياكلها الاجتماعية الأساسية واندثرت عاداتها وتقاليدها الأولية نتيجة احتكاكها بحضارة المستعمر.

فتبعثرت الهياكل الاقتصادية تحت ضغط الفعاليات التي فرضها الاستغلال الاقتصادي سنة بعد سنة لغاية تعصير القديم واحلال طرق الانتاج الحديثة مكان الطرق العتيقة وأدخل هذا العمل الاستعماري تحولا كليا في جميع مستويات العلاقات البشرية اليومية وحتى في المواقف والسلوك.

ونعلم أن العلاقات الاجتماعية العادية مرتبطة بعضها ببعض كالسلسلة، فإذا ضغطت على خلية منها تفككت جميع أعضاء الخلية أو جلّها وقطعت تسلسلها والتحامها الجذري حتى تتبعثر. فهكذا تكون المجتمعات. عندما تضغط على خلية من خلاياها يختل توازنها وتخل بجدلية التوازن ويحدث التحول الاجتماعي.

فالمجتمع المغربي عرف تحولات عميقة تحت ضغط الحركة الاستعمارية أثرت في تركيبه الهيكلي وغيرت توازنه الداخلي. وبديهي أن نقول أن التدخل الاستعماري بدل وجه العهود الوسطى للمغرب العربي الذي كان يتصف بالانحطاط الاقتصادي وبأزمة حياته الاجتماعية واندثار حركته الثقافية.

وخرج المغرب العربي من الاستعمار بوجه مخالف وتحول المجتمع المغربي من صيغته الحضارية التقليدية. الاقطاعية أو قبل الرأسمالية حسب المفاهيم المستعملة إلى صيغة حضارية جديدة يمكن أن نعتبرها حسب المفاهيم المستعملة، عصرية، علمية ورأسمالية أو صناعية وإن كان التصنيع يكاد يكون معدوما في البلدان الحديثة العهد بالاستقلال عند رفع الاستعمار عنها.

فالهياكل الاجتماعية التقليدية التي ورثها الاستعمار كانت ربما متخلفة ولكن لا تخلو من توازن داخلي. بيد أن الهياكل الاجتماعية التي بقيت عند الاستقلال كانت متفككة وفاقدة التوازن. نسج الاستمرار الأفقي لهذا التحول الذي حصل حسب وقائع وحوادث تاريخية لم تسمح البحوث الموجودة إلى حد الآن من وصفها وتفسيرها تفسيرا جذريا صحيحا

وإذا قمنا بتحليل أولي يبدو لنا أن الهيكلين متضادان ومتناقضان لأن الاستعمار أحل، نتيجة ضغط حركته على جميع المستويات الاجتماعية، مكان الهيكل التقليدي هيكلا مضادا في شكله ومحتواه يمكن أن نسميه هيكلا عصريا.

فمفهوم التقاليد والمعاصرة يتوخيان طريقة تحليل ويتبعان منطقا عبر عنهما كل من جورج بالنديي Balandier وجاك بارك Jacques Berque (1) وهما مفهومان متضادان وضعا لوصف حالتين غير متشابهتين ويجب اجتناب فهمهما واستعمالها في معنى «التقليد» (Traditionalisme) أو «التعصير» (Modernisme)

وقد حاول عبد الباقي الهرماسي (2) : نفي هذه النظرية الهادفة إلى اعتبار الصبغة الحضارية التي كان عليها المغرب العربي قبل الاستعمار كصبغة تقليدية بحتة بينما تعتبر الصبغة الحضارية التي يتحلى بها المغرب العربي بعد الاستعمار صبغة عصرية مضادة إلى الحالة الأولى. لأن هذه الحالة الأخيرة هي نتيجة التطور المستمر الذي طرأ على الحالة الأولى وغير - وربما عجل أيضا - في مجراها الطبيعي والهياكل التي تتألف منها المجتمعات هي متطورة وغيّر جامدة فهيّ تواكب التطور وتتحول تدريجيا لتتآلف من جديد. ولا يمكن تحليلها ودرسها خارج هذا الاطار النظري. فعملية المضادة تعتمد التفنيد والتفضيل بين الحالات الاجتماعية والحكم عليها.

ويلاحظ عبد الباقي الهرماسي أن موقف النخب الحاكمة من هذه القضية عند الاستقلال وبعدهُ بقيت متشبثة بهذه الفكرة الاستعمارية الجديدة التي يفرضها على علم الاجتماع المعاصر محتكرو هذه الأفكار من فلاسفة وعلماء اجتماع لم يتوصلوا إلى درس

عميق وفهم صائب لواقع مجتمعات البلدان الحديثة العهد بالاستقلال .

فما هي نظرة « النخبة الحاكمة » وموقفها غداة الاستقلال من معادلة « التقاليد » « والمعاصرة » (3)؟ستكون هذه النظرة إيجابية أو سلبية حسب عمق الحركة الاستعمارية ومطابقة لمحتوى الحركات التحررية التي عرفتها البلدان المعنية بدراستنا هذه .

والملاحظة التي يمكن استخلاصها بصفة عامة من دراسة أولية لمواقف نخبلت الحكم من بلاد المغرب العربي إزاء هذه القضية تتلخص فيما يلي : محاولة اصلاح التدهور الثقافي الذي طرأ على مجتمعات بلدان المغرب العربي من جراء التدخل الاستعماري والرجوع أو التثبت « بالأصالة » المستوحاة من الواقع التاريخي والحضاري العميق المشترك بين جميع هذه البلدان وحتى البلدان العربية الأخرى .

ففرض دراستنا حينئذ هو تحليل المخطط المتبع في كل من بلدان المغرب العربي الثلاثة (تونس والجزائر والمغرب) لتركيز الذاتية الثقافية واعتماد التنمية الثقافية كركيزة أساسية لسياسة التنمية الشاملة . ثم محاولة تبين نقط الاختلاف ومجابهة السياسات الثقافية المعتمدة .

انطلقنا من الاحتمال العام ان كلا من البلدان الثلاثة يتبع سياسة حكومية تعكس اتجاها أولا سياسيا واقتصاديا واتجاها ثانيا اجتماعيا وثقافيا لغاية انجاز تنمية شاملة .

فمحتوى هذا العمل الذي ينبغي تحليل محتوياته يعتمد تحقيق مشروع « تعصير » البلاد ، بخلق أرضية اقتصادية سليمة وتجهيزات لتصنيع البلاد ، وبرفع طاقات الانتاج وتدعيمها ثم بتعميم التعليم ومحو الأمية وتمكين أوفر عدد من الأطفال في سن التعليم من الدخول إلى المدارس بغاية رفع المستوى الثقافي العام للبلاد ، ونشر امكانيات الترفيه . هذه هي الخطوط الكبرى التي تتصف بها مشاريع التنمية لهذه البلدان . فهي بعبارة أشمل محاولة لتحقيق العهد العلمي « وربط العلوم العصرية بالتقاليد » رغبة من دول البلدان المعنية في المحافظة على الأصالة وتفتحها على المحيط المعاصر .

هذا إذن احتمال أول .

أما الجانب الآخر من هذه الحركة فيعني« بالبناء القومي » . فكل أمة تعتمد في تكوينها لغة وثقافة وذاتية ثقافية وشخصية جماعية قاعدية . فبناء الأمة في كل من بلدان المغرب العربي اعتمد في بادىء الأمر تدعيم اللغة العربية وتركيز الذاتية الثقافية العربية الاسلامية .

فالمراحل التي يمر بها « البناء القومي » تعكس في الحقيقة الحقبات المتباينة والمتعلقة بانجاز مخططات التنمية الاقتصادية والتنمية الثقافية . ولكن هل هذا صحيح ؟ وهذا احتمال ثان يجب القيام بتحليل في شأنه ولكن ما هي الطلبات التي يمكن حصرها للتعرف على محتويات التنمية الثقافية ؟ هذه الطلبات تتآلف أو تختلف حسب « النخبات المثقفة » التي تتبناها وتطالب بانجازها .

ويمكن أن نعتمد هذه التصنيفات الأولية (4) :

ـ **النخبات الداعية إلى التحديث الجذري** : وهم من دعاة إنجاز برنامج ثوري إشتراكي

ـ **النخبات الداعية إلى التحديث القومي** : الرامية إلى تحقيق برنامج علمي شامل للتعصير

ـ **النخبات التقليدية** : المحافظة على أسس ومكونات المجتمع التقليدي والعمل بمبادىء الدين الاسلامي

وهذا التقسيم هو في الحقيقة نظري . فالنخبات الثلاث متباينة وبعض أعضاء هذه النخبة يمكن أن يكونوا من أنصار بعض أعضاء النخبة الأخرى حسب جزئيات البرامج المعتمدة . ومثل ذلك أن دعاة « الاجتهاد » من بين أنصار النخبة التقليدية يصيرون حسب الظروف من مساعدي أنصار النخبة الداعية إلى التحديث القومي . ويمكن ذكر أمثلة أخرى في هذا المعنى .

فإذا نسجنا على هذه الأمثلة اتضح لنا أن البرامج المعتمدة من قبل « النخبة الحاكمة » هي عبارة عن تآلف بين عينات من برامج عديدة تتفق أعضاء النخبات المتضامنة على محتواها لغاية تقريب الميولات الايديولوجية » (6)

فمحور دراستنا هو البحث عن تعريف لمدى مطابقة « **التنمية الثقافية** » المعتمدة للطلبات والحاجيات الثقافية الصادرة عن جميع

الطبقات الاجتماعية التي يجب تصنيفها بدون استعمال أي مضمون إيديولوجي سابق البيان .

كيف يقع إعداد التخطيط والدراسات لوضع برامج التنمية الثقافية ؟ قراءة أولى لمحتوى « السياسات الثقافية » المعتمدة في تونس والمغرب والجزائر مكنتنا من استخلاص استنتاجين عامين اثنين :

ـ الأول ينحصر في أن الاتجاه المعتمد يعكس تجارب البلدان الغربية المتقدمة في ميادين التنمية الثقافية . فنجد مثلا اهتماما كبيرا « بنشر » وتنشيط « لامركزية » الثقافة . والغاية الأولى من هذه السياسات تتمثل في ... « أن تفرض الدولة المستقلة والدولة العصرية ، من بين الأعمال الأولى التي يجبُ القيام بها من أجل تحرير الشعوب ، إحداث أجهزة ثقافية تتلاءم مع الروح المثالية للعصر وتكون في نفس الوقت بمثابة ضمان للعيش الكريم في النطاق القومي » (7)

ـ الثاني يتعلق بالأعمال التي واكبت ضبط محتويات السياسة الثقافية ففي غالب الأحيان أنيطت هذه المهمة بعهدة لجان قطاعية على المستويات المحلية الجهوية والقومية . واعتمدت الدولة تقارير هذه اللجان لضبط محتوى سياسة ثقافية شأنها شأن « المثلث الذي تكبر مساحته عندما نوسع من قاعدته ، وذلك بتعميم الثقافة ونشرها ، والذي يعلو ارتفاعه عندما نسمو بقمته ، وذلك بتشجيع الخلق والابتكار » (8) أي سياسة علمية مثالية يعسر تنفيذها .

سنحاول فيما يلي التعريف بالمفاهيم العلمية التي سنتوخاها في هذه الدراسة :

« مفهوم الثقافة »

يعسر اليوم استنتاج مفهوم علمي لكلمة « الثقافة » نظرا لما لاقته هذه الكلمة من تصنيفات وتفسيرات عديدة تفوق ثلاثمائة مفهوم (9)

جان كازناف (J. Caseneuve) يعتقد أننا « لا نفهم المعنى العام لكلمة الثقافة إلا إذا قارنا هذا المصطلح بما يضاده مثل ما فعل تيلور بالنسبة لمفهوم « الطبيعة » . فالثقافة هي حينئذ كل ما يتخالف فيه الانسان والحيوان وكل ما يشكل بالنسبة للانسان المجموعة التي يعيش ضمنها » (10)

« **جورج بلانديي** (Balandier) يستخلص ثلاثة مفاهيم عامة ينتمي كل مفهوم منها إلى مدرسة معينة : (11)

ـ المدرسة التي تنظر إلى الثقافة من زاوية التاريخ : وهي نظرة ديناميكية بالنسبة للنظرات الطبيعية والجامدة الأخرى .

ـ المدرسة التي تعتمد فهم الثقافة حسب علاقتها بالشخصية (الشخصية القاعدية(Personnalité de base) وتعتبرها ؛ (Configuration des institutions)

ـ واخيرا المدرسة التي تعتبر الثقافة كجملة من السلوك يفرضها المجتمع على أفراده أو جملة من المعاملات والاتصالات تنشأ بين أعضاء المجتمع » (أدوار سابير) (E . Sapir)

« **فرانز فانون** » (F. Fanon) « الثقافة هي قبل كل شيء تعبير الأمة عن اختياراتها ، ممنوعاتها ومثلها ... وأن تكون شريطة التحرير القومي وحداثة الدولة » (13)

ـ بالنسبة **لسارتر**(Sartre) « الثقافات هي إيديولوجيات »

ويعتقد **جاك بارك** (J. Berque) ان الثقافة هي حركة إجتماعية شاملة تعبر عن ذاتية وتبحث عن معانٍ خاصة بها . فكل دراسة تعنى بالثقافة تفترض حل المسائل المتعلقة بالمفاهيم وتبسيطها وتحليل علاقة الأنظمة الاجتماعية والاخلاقية للمجتمع بالأشكال التي تعبر عنها (14)

« **أوقيستان جيرار** » (Au. Girard) يلاحظ أن الثقافة هي شيء آخر مغاير لما نسميه الثقافة . فهي قوة ثورية لأنها تعتمد الكيف والكم »

وكتب **ويلايام اوقبورن**(William Ogburn) منذ 1937 « بأن الجزئيات التي تتجزأ منها الثقافة هي ملتحمة كأعضاء الآلة الميكانيكية حتى لو غيرت عضوا واحدا مسست ولو قليلا بالأعضاء الأخرى » (15)

وتنص إحدى توصيات **المؤتمر الثاني** لدارسي القارة الافريقية بداكار على « أن الثقافة اليوم هي التنمية »

ويعتقد **عبد الوهاب بوحديبة** من ناحية أخرى « أن الثقافة هي

روح التنمية » (16)

بالنسبة **لمالرو** A. Malraux كلمة ثقافة تحافظ على معناها المحدود الذي يتعلق بالخلق وذخائر الفكر، والمتحف الخيالي للأعمال الفنية. فبالنسبة لهذه النظرة، التراث الفني والثقافي الموروث يكفي بمفرده لتعويض الأديان المخلة بواجباتها والمدارس غير الكافية لاستيعاب الطاقات.

فتعميم الثقافة ينشر وسائل الترفيه الثقافي والتمتع بالأعمال الفنية. والفن بمفرده يمكن له أن يدخل مثل الأديان كل البيوت ويهتم به الصغار والكبار وتتأثر به شخصياتهم ويؤثر في عاطفة وخيال كل منهم »

وبعبارة أخرى فإن **مالرو** يعتبر أن « الثقافة هي دين القرن العشرين ».

بيار قوديبار (Gaudibert) **يعتقد** أن الثقافة تتعدى ميدان الفنون والأعمال الفنية أي ميدان الاختصاص وتحاول أن تشمل كل الأنشطة الاجتماعية والحياة اليومية وتعدد المجموعات بتعدد مواقفها وسلوكها » (17)

قوديبار يحتضن المفهوم الجديد الذي يعطيه قرامشي (Gramsci) « للوظيفة العملية الاجتماعية » للايديولوجيا (18) والمفهوم الذي يقترحه **التوسار** (L. Althusser) والمتعلق بالآلة الايديولوجية للدولة (19) وابتداء من هذين المفهومين يلاحظ أن « الابنية الايديولوجية للدولة (Appareils idéologiques de l'Etat) كالدين والعائلة والمدرسة والثقافة والاعلام والسياسة والنقابة هي التي تستوعب أو تعمل على استيعاب الطبقات والأفراد والمجموعات وتوفيق مواقفها وسلوكها مع الحركة التطورية للانتاج.

ففي الواقع الملموس لتاريخ « تكوين اجتماعي » (Formation Sociale) معين توجد هناك معادلة متطورة بين التعسف والاقتناع من ناحية والعنف والايديولوجيا من ناحية أخرى.

وكما نلاحظ فهذه الاستشهادات غير محدودة فمفهوم الثقافة هو من بين المفاهيم التي لم تستكمل بعد معانيها الثابتة. ولعل كل محاولة في تثبيت معنى الثقافة تنتهي إلى تحديد مفهومها وافتقارها لكل ما كان يغنيها عن التعريف.

ويعتقد فليب بانتون (Ph. Beneton) (20) أن كلمة ثقافة أضاعت من وضوحها فيما اغتنمته من خطوة حتى أنها أصبحت تظهر جليا في علم الكلام وكأنها كلمة غامضة تماما وصعبة الفهم. فهذه الكلمة هي ضحية انتشارها في العلوم ».

وبعد تقديم كل هذه التوضيحات حول المعاني المعتمدة للثقافة فإني أميل إلى الاحتفاظ بمقترحين اثنين استوحيتهما مما كتب « جان كلود فاتان » (J.-C. Vatin) حول معاني الثقافة (21)

- تعريف أول وهو تعريف عريض : « الثقافة هي علاقة الانسان بمحيطه وبموطنه الطبيعي »

- وتعريف ثان عام « الثقافة هي الهيكل الشامل والعريض الذي له وعي وذاتية جماعية ».

أما المصطلح العملي الذي سأعتمده كأداة تحليل **فهو** مقترح التوسار (Althusser) والرامي إلى اعتبار الثقافة « كآلة إيديولوجية للدولة »

وهناك مفاهيم وتعريفات أخرى ينبغي ذكرها كالتعاريف التي تقدم بها كل من مصطفى لشرف (22) محمد عزيز لحبابي (23) عبد الله العروي (24) هشام جعيط (25) فرانسوا بوريكو (Bourricaut) (26) بيار بورديا (Bourdieu) (27) والتي سنتوخاها في عملنا للتعريف بأشكال الثقافات العربية الاسلامية والتونسية والجزائرية والمغربية منها.

مفهوم التنمية الثقافية

رأينا فيما سبق أن قوديبار يصف « **التنمية الثقافية** » بأنها « إيديولوجيا عصرية واقعية مرتبطة بالتنمية الاقتصادية وتطورها » وبالنسبة لجيرار (A. Girard) « التنمية الثقافية » هي مجموع المعاملات المادية والمواقف التي تؤثر على قدرة الانسان في التعبير عن مكانته في الكون لخلق وتطوير المناخ الذي يعيش فيه وللتجاوب مع الحضارات المجاورة له.

هذا التعريف الكوني يحاول ضبط وظيفة التنمية الثقافية (28)

مفهوم التنمية القومية

نفهم « التنمية القومية » كسياسة انمائية يقع ضبطها على

المستوى القومي وتشمل في كل جزئياتها « الأمة » . وهي تفترض تحديد مفهوم « الأمة » وبالأحرى مفهوم « البناء القومي » (30) ونعتمد في تحديد هذين المفهومين بتحري دراسة « اميل سيكار » Emile Sicard في خصوص « التحليل السوسيولوجي للبناء القومي بالجزائر » ودراسة عبد القادر الزغل حول « البناء القومي بالمغرب العربي »

مفهوم « المغرب العربي » بالنسبة لنا نعتمد التعريف الجغرافي والتعريف التاريخي . فهو من ناحية بمثابة شبه جزيرة نظرا لاعتبار الصحراء كحاجز طبيعي يحد نوعا ما من الامتداد الترابي . فعلماء الجغرافيا العرب كانوا يتكلمون على « جزيرة المغرب » . فدراسة البكري وابن خلدون وابن أبي الضياف من ناحية ودراسات برودال Braudel وبونساي Poncet من ناحية أخرى تفيدنا في ضبط هذه التعاريف رغم أن المعلومات حول القرنين الخامس عشر والسادس عشر تكاد تكون معدومة .

هذه مجموعة المفاهيم التي سنتوخاها في دراستنا وهي غير محددة ويمكن اثراؤها●

علي بلعربي

1) دراسات هذين المفكرين الفرنسيين الاثنين حول المغرب والعالم العربيين (بارك) وحول افريقيا (بلانديي) هي متفرقة في مجموعة من مؤلفاتهما نختار منها :

- بالنسبة لبلندايي : سوسيوليجية المناطق النامية « في مؤلف جورج قورفيتش (G. Gurvich. ، حول السوسيولوجيا (صفحات 332 ـ 346) » افـريقيا الغامضـة Afrique ambigüe ، مجموعـة 18.10 دار قاليار للنشر انتروبولوجية السياسة باريس 1969 .

- بالنسبة لبارك Dépossession du monde - Paris - Seuil - 1964

رخاصة من صفحة 200 الى صفحة 240

Le Maghreb entre deux guerres (نشرة جديدة 1966)

2) « الدولة والمجتمع في المغرب » لعبد الباقي الهرماسي Ed. Seuil (1970 ،

هذه الدراسة المقارنة زاخرة بالمعلومات حول المجتمع المغربي .

3) مفهوم « النخبات الحاكمة » يستعمله المفكر الامريكي ورايت ميلس (W. Mulls) في كتابه « النخبات الحاكمة » Ed. Maspéro - 1968

ميلس يقترح هذا المفهوم الجديد لاستعماله مكان المفهوم الماركسي « للطبقة الطاغية - classe dominante والذي لا يمكن تطبيقه الا على المجتمعات الاوروبية المصنعة والتي مرت بتطورات تاريخية لخصها ماركس بما سماه « المادية التاريخية » (Matérialisme historique)

ويجب مع هذا ان نعتبر التطورات التي مر بها ايضا مفهوم « الطبقة الاجتماعية » وخاصة المفهوم الجديد الذي رسمه له نيكوس بولنتزاس (N. Poulantzas ') من كتابه « الحكم السياسي والطبقات الاجتماعية » Ed. Maspéro - 1970

4) انظر « الدولة والمجتمع في المغرب » لعبد الباقي الهرماسي (CERES Tunisie)

انظر ايضا ما نشره عبد القادر الزغل الذي يعتمد تقريبا هذه التصنيفات .

- « البناء القومي من المغرب » المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية

- البناء القومي والطبقات الاجتماعية في تونس « مجلة معهد السوسيولوجيا ببروكسال (1967 2/3)

- مور (C.H. Moore) « السياسة في افريقيا الشمالية » - .Brown and Co Boston 1970

- الثقافة والمجتمع بالمغرب « مركز البحوث والدراسات حول مجتمعات البحر الابيض المتوسط » دراسة « ايتيان » وليكا B. Etienne et J. Leca حول السياسة الثقافية الجزائرية ، صفحات من 70 الى 75)

5) ورأيت ميلس (المؤلف المذكور سابقا)

6) « الميول الايديولوجي Idéological Bias ، هو مفهوم حدد تعريفه الشمان (W. Ilchman) واويهوف (N. Uphoff) كمجموعة رغم انها لا تنتمي الى مجموعة الاحزاب الحاكمة فهي ترى مشاريعها تاخذ بعين الاعتبار شريطة ان لا تتضارب مع الرغبات الاساسية للمجموعة الحاكمة (The political: economy of change Berkeley University Press - California

7) « السياسة الثقافية في تونس ـ السياسات الثقافية : دراسات ووثائق » نشر منظمة اليونسكو باريس (1970) لرفيق سعيد .

8) ندوة حول السياسة الثقافية طهران 20/16 ماي 1970 منشورات المجلس الاعلى الايراني للثقافة والفنون ص 7

9) علم الاجناس(Ethnologie) جان كزانوف ط(Larousse de Poche) ص 101 (10

11) علم الاجتماع وعلم الاجناس في مجلد علم الاجتماع ـ نشر تحت اشراف جورج كورج كورفيتش ج 1 بوف 1968 .

12) مدخل لعلم الاجناس ، كردينار (أ) وبرابل ، فلمار 1966

13) المعذبون في الارض لفرنتس فانون (F. Fanon)

14) دراسة جاك بارك المقدمة في المؤتمر الرابع والعشرين لمعهد علم الاجتماع الدولي (الجزائر ، 25 ـ 30 مارس 1974)

15) اقبرن ويليام « الثقافة وتطور المجتمع » مختارات قدم لها وطبعها اوتيس ديدلي دنكار شيكاقو ـ لندن مطبعة جامعة شيكاقو 1964 ص 3 .

16) عبد الوهاب بوحديبة « علم اجتماع التنمية في افريقيا » علم الاجتماع المعاصر مجلد18 ـ 1970عدد 2 ط موتن

17) بيار فوديبار : في النظام الاخلاقي « مجموعة Enjeux . نشر Grasset 8079 وانظر ايضا فوديبار » الحركة الثقافية ، عملية ادماج أو عملية تمرد باريس ، قسترمان 1972

18) بورتالي « قرامشي والصف التاريخي Gramsci et le bloc historique P.U.F. - 1972 - باريس

19) لويس التوسا (L. Althusser) رد على جون لويس Réponse à John Lewis - باريس ماسبيرو Maspero 1973

20) فيليب بينيتون « الثقافة ـ مساهمة في تاريخ اللفظ : باريس . اطروحة دكتوراه في العلوم السياسية 1973 ص 5 ـ الملحق الثاني » التعريف الحديث للفظ ثقافة ص 229 ـ 313

21) جان كلود قاتان ، مسائل ثقافية ، وسؤال للثقافة « في » ثقافة ومجتمع في المغرب : مركز البحوث والدراسات عن المجتمعات المتوسطية ، منشورات المركز القومي للبحوث العلمية 1957 ص 7

22) مصطفى لشرف : الثقافة الجزائرية المعاصرة محاولة في التعريف وبحث عن الآفاق « كلمة القيت في الندوة الجزائرية الاولى حول الثقافة (الجزائر 29 ماي ، 5 جوان 1968)

23) م . لا . لحبابي : من المنغلق الى المتفتح « Du clos à l'ouvert »

20) مبحثا حول الثقافات القومية والحضارة الانسانية ، الدار البيضاء ، دار الكتاب 1961 .

24) عبد الله العروي : المذهبية العربية المعاصرة Idéologie arabe contemporaine باريس ط مسبيرو 1967 .

25) هشام جعيط : الشخصية العربية الاسلامية ومستقبلها (باريس نشر le seuil 1974

26) بوريكو فرنسوا : مذكرة حول مفهوم لفظ ثقافة سنة علم الاجتماع 1952 باريس ط الجامعات الفرنسية 1955 ص 229 ـ 239 .

27) بيار بورديو : الاجتثاث déracinement باريس ط Minuit (وخاصة) ثلاث دراسات حول القبائل في الجزائر .

وانظر ايضا ن سريب السياسات الثقافية القومية والوحدة المغربية (× 1) Annuaire de l'Afrique du Nord دليل افريقيا الشمالية 1970 .

28) نلينوفسكي منيسلاو : « من اجل دراسة علمية للثقافة » مسبيرو 1971 محاولة لدراسة الثقافة في حد ذاتها عوضا عن الاستعانة بتاريخها وعلاقاتها بالافراد .

29) انور عبد المالك : نظرة اجتماعية في التنمية القومية مسائل تصورية ناخذ منها اقتراحاته ونظرياته مجلة معهد علم الاجتماع ، جامعة بروكسال (1967 ، 3/2) ص 259 .

30) ستاين روكان : نماذج ومناهج في الدراسات المقارنة للامم بيلدينق (alto-sociologie) 12 (1969) عدد 2،نجد في هذا الفصل تقديما ممتازا للموضوع : وقد قدم هذا الفصل في ملتقى نظمته اليونسكو حول موضوع : مناهج ونماذج في الدراسة المقارنة للبناء القومي ديوتبورغ 28 اوت 2 سبتمبر 1968 .

يمكن الاستعانة ايضا باهم التدخلات في الندوة السادسة للجمعية الدولية لعلماء الاجتماع الناطقين بالفرنسية (روايوموا ص 28 ـ 30 اكتوبر 1965)

حول موضوع : علم الاجتماع والبناء القومي في البلدان الجديدة والتي نشرت في مجلة معهد علم الاجتماع ، جامعة بروكسال (1967 ـ 3/2) حتى يتسنى لنا توضيح مفهومي الامة والبناء قومي .

31) ثورة ابن غذاهم « منشورات الدار التونسية للنشر تونس 1967 و 1969 مرحلة من تاريخ تونس قبيل الحماية .



شعر : لطفي عز الدين

في كل مساء
اغفو ساعات فوق ذراع الحلم الوردي وأحلم
ويخيل لي ... اني مازلت أعانق كفيك وأحلم
بأميرة ألهامي الخافق ..
وأنا فنان عاشق ..
فنان أغرقه الموج النشوان فجدف نحو الشاطئ ..
وهناك استرخى .. وانفلتت عيناه إلى أفق ساهد ..
يرضع آلاف النجمات ..
في كل مساء ..
أتخيل اني بجوارك
ويخيل لي .. اني مازلت اعانق أصداء حوارك
* حاورني فيك الصدر الناهد .. والشفتان ..
حاورني الوجه الحلو الناضج .. والعينان ..
حاورني الجسد القبلي المتفجر كبرًا .. وعذوبه
حاورني صمتك يا أغلى من عمري .. دفئا .. وخصوبه
وامتلأت روحي بجوارك ..
في كل مساء ..
اتخيل اني بجوارك
ويخيل لي .. اني مازلت أعانق أصداء حوارك

العربية بين الواقع والامكان

دراسة : نور الدين بلقاسم

في موضوعنا هذا لا نتحدث عن اللغة العربية من حيث اتجاهها البنيوي كالصوت والدلالة والتراكيب والاسلوب وعلم العلامات المصطلح عليه بالسيمولوجيا .

ولا نتحدث عن اجتماعية اللغة وعلاقتها بالتحليل النفسي او ما يسمى بعلم النفس اللغوي ، او علاقتها بالعمليات اللاشعورية . ومدى دلالة اللغة على الصحة النفسية او مرضها ، ولا اهدف بموضوعي هذا الى تنظير اللغة في التحليل النفسي للاشعور حتى نتمكن من معرفة بنيته الخاصة (1) باعتباره هو نفسه بنية لغوية وما تحمله الرموز والاستعارات في اللغة من دلالات عن مدى الكبت الاجتماعي والرغبات الفردية المحتجبة .

ان هذه المواضيع كلها تستحق الجهد الطويل وتتطلب المجلدات العديدة ، وانا في محاضرتي هذه اهدف الى اثارة النقاش وبلورة بعض المشاكل المتعلقة باهم عامل يرتبط به كياننا الا وهو اللغة ، من حيث انها مرآة الثقافة والفكر والحياة الاجتماعية عندنا .

فما اللغة بصفة عامة ؟

وما هي الاختلافات الناشئة في شأن اللغة العربية وطرق تطويرها ؟

ثم ما هي مشاكل اللغة العربية ، التي نتعرض لها في الواقع اليومي ؟ وعلى من تلقى مسؤولية هذا الواقع اللغوي المتخلف ؟ واخيرا ما هي الحلول الناجعة لحل معضلة اللغة العربية وجعلها لغة الجماهير العريضة ؟

انطلاقا من بديهيات ثلاث اقرها العلم الحديث :

اللغة اصطلاح

اللغة هي الاستعمال

اللغة هي الابلاغ

■ تعريف اللغة :

وللجواب عن الاسئلة المطروحة سابقا نبدأ بتعريف فردينا دي سوسور (1913/1857) للغة ، حيث يقول :

اللغة نظام من العلاقات الصوتية الدالة ، ودلالتها اتفاقية ، اي تقوم على التواضع بين الناس ...

ان هذا التعريف يقودنا الى ان وظيفة اللغة الاولى هي التبليغ ، والتواصل والتفاهم بين الناس ، لان اللغة ولدتها الضرورات الاجتماعية والحاجات اليومية للمجموعات البشرية عبر التاريخ ، ولذلك فان اية لغة لا تعبر عن هذه الحاجات بوضوح ولا تواكب التطور البشري هي لغة تسير نحو الموت ...

وحياة اللغة تتمثل في الاستعمال ، وصحتها تتمثل في انعدام الثنائية اللغوية في المجتمع الواحد اعني ان لا تكون هناك لغة خاصة بالشارع ولغة خاصة بالدواوين كما هو الشأن عندنا ، حيث ان الفصحى هي لغة الادارة ، والعامية هي لغة الجماهير ....

ان هذه الثنائية هي التي اوجدت كثيرا من الاختلافات في شأن الكتابة العربية واللغة العربية .

المنادون بتعويض الحروف العربية باللاتينية :

فهناك من قال بصعوبة الكتابة العربية ، ولذلك نادى بتعويض الحروف العربية باللاتينية ، ومن بين المحاولين في هذا المجال انيس فريحة وسعيد عقل ، فقد كتب هذا الاخير كتابا شعريا (ياراه شعر) بالحروف اللاتينية ؛ وقد تم طبع هذا الديوان في بيروت سنة 1961

والحقيقة ان الكتابة العربية باللاتينية تذهب بوقعها الصوتي وبجمالياتها وخصوصيتها المتمثلة في الاستعارات والتشابيه والجمل القليلة الدالة على المعاني الكثيرة .

فكون الحروف اللاتينية « اسهل كتابة واجمل خطا ، واطوع نطقا ... »(2) فان المستشرق (ايتيان ديني) الملقب بـ « الحاج ناصر الدين » ينفي هذا ويثبت مدى الجمال والحيوية في الخط العربي بقوله : «ولعل الكتابة العربية هي اروع نمط زخرفي قد تخيله الانسان ، وهي الوحيدة التي نستطيع ان نقول عنها - بدون مبالغة - انها تكتسي روحا ملائما لصوت الانسان عند التعبير عن الافكار ، كما تمتزج بالنغمات الموسيقية ، دون ان تستعير شيئا من العالم الخارج عن محيطها ، ولو كان ذلك المستعار اكثر زخرفة ، ثم تبدو هذه الحروف كأنها اختزال لاعمق تقلبات القلب واختلاجات الضمير انظروا الى هذه الحروف كيف تنطلق من اليمين الى اليسار في خط افقي بسرعة ، في قوة حيوية داخلية ، ثم تلتف على نفسها منحنية بكيفية سرية او شغفية . ثم تنتصب لتقف فجأة جامدة مستقيمة مختالة وبعد لحظة ، تستأنف سباقها الجموح ، ثم تنبسط ويتداخل بعضها في بعض في روعة طريفة وابداع ممتع ، ذاهبة بالخيال صوب احلام مهتاجة ولهانة (3) .

المنادون بالعامية :

وهناك من نادى بابدال الفصحى بالعامية ، والذين زرعوا هذه الفكرة بيننا اناس من الغرب والشرق ، وعمل على ترسيخها المستشرقون والمبشرون (4) وبعض المنسلخين من العرب ، وحجتهم في ذلك هي ان اللغة العربية الفصحى هي لغة ميتة انحدرت الينا من عصر ميت ، وهي صعبة يستغرق المرء وقتا طويلا لتعلمها ، ولذلك فانها لم تعد لغة الحياة اليومية ، فوجب من ثم - في رأيهم - ابدالها باللهجات العامية لان هذه منطوقة في الشارع وفي المنزل ، وهي لغة المعاملات يستطيع الطفل ان يتعلمها منذ نشأته دون ان يحتاج الى المدرسة . والقائلون بهذا الرأي من الاجانب والعرب يرون على السواء ان مصير الفصحى سيكون كمصير اللاتينية ، فالعاميات - كما يزعمون - ستحل محل الفصحى ، شأن الفرنسية والانقليزية والالمانية والاسبانية والايطالية التي حلت محل اللاتينية (5) والقائلون بهذا الرأي من المستعمرين واتباعهم مدفوعون بعوامل مختلفة اهمها :

أ - العامل الديني : وتعود جذور هذا العامل الى الحروب الصليبية - القديمة منها والحديثة - وما جرته هذه الحروب من محاولات المستعمرين الظاهرين والمقنعين للقضاء على الاسلام ، وذلك بالقضاء على اللغة التي نزل فيها .

ب - العامل السياسي : ويشتمل على سببين .

- سبب اقتصادي :
- وسبب ثقافي :

1 - السبب الاقتصادي

بواسطة العامية يستطيع الاستعمار معرفة الاتجاهات الفكرية والشعورية في الامة العربية ، وبذلك يمكن له توجيه افكار الناس بسهولة حيث يشاء .

كذلك فان اللغة العربية الفصحى تجمع شمل العرب شرقا ومغربا ، وهي وسيلة التفاهم بينهم مشافهة وقراءة وكتابة (6) ، فاذا ما تخلى عنها العرب صار من السهل ان يتحقق نهائيا الانفصال القطري بسبب الانفصال اللغوي ، واستقلال كل قطر بلهجته يقضي على حلم الوحدة نهائيا ، ويسهل على القوى الاستعمارية الكبرى الانفراد بكل قطر على حدة لاستغلاله اقتصاديا وتوجيهه من الناحية السياسية حيث يريد الموجه (بكسر الجيم)

2 - سبب ثقافي :

العربية الفصحى بالاضافة الى انها لغة التفاهم فهي لغة الثقافة الحديثة ولغة التراث ، وحلول العامية محل الفصحى ، يعني ضياع اربعة عشر قرنا من الجهد ، وما اشتمل عليه هذا التاريخ الطويل من دين وعلم وتراث مدون بمختلف اصنافه ، فحلول العامية محل الفصحى ينتج عنه بتقادم العهد عدم فهم التراث المكتوب باللغة الفصحى نفسها (7)

وهكذا يستطيع الاستعمار عن طريق ازالة الفصحى ضرب عصافير عديدة بحجر واحد .

اما القائلون بهذا من العرب سواء أكانوا من السياسيين أو من اهل الفكر فانهم كذلك مدفوعون بعوامل عديدة نذكر منها :

أ ـ الجهل بقواعد اللغة العربية : ولهذا الجهل توهم هؤلاء ان العربية يصعب تعلمها ، وبما ان الانسان من طبعه ميال الى المجهود الادنى فقد عادى هؤلاء ما جهلوه .

ب ـ التقرب من السلطة : وهم بدعوتهم للعامية يتقربون من السلطة السياسية ـ التي لم تقم بأية بادرة لاخراج اللغة الفصحى من المكاتب والادارات الى الشارع ، لان قوة العربية وانتشارها بين الجماهير يعني ترسيخ الثقافة العربية الشعبية ، ويعني ذلك زيادة نضج العقل وارهاف الشعور وتقويم الاخلاق ، وبالتالي فان امتلاك اللغة يؤدي الى الوعي الذاتي للجماهير ، وهذا يهدد السياسات الاقليمية في صميمها . فالداعون للعامية يتقربون للسلطة بدعوتهم هذه ، وذلك لمصالح شخصية كالحصول على المناصب والوظائف الثقافية :

■ القائلون بقداسة اللغة العربية :

وهناك فريق ثالث قال بقداسة اللغة العربية بدعوى انها منزلة لانها لغة القرآن ، وقد ذهب الى هذا الاتجاه بعض القدامى والمعاصرين من اعضاء المجمع العربي بالقاهرة من الازهريين .

ويستدل بعض القدامى على قداسة اللغة بتشابه بعض الاصوات فيها ببعض الاصوات في الطبيعة ، مثل الحاء في نهيق الحمار ، والهاء في صهيل الحصان ، والميم في خوار البقر ، والهاء المقترنة بالباء في نباح الكلاب ، والباء في بعبعة الغنم الى غير ذلك .... ، ان تطابق بعض الاصوات العربية ببعض الاصوات في الطبيعة صحيح من حيث الوجود ، وهذا يختص باللغة الانسانية عامة كما يذهب الى ذلك علماء اللغة المعاصرين ، ولذلك فانه لا يصحّ ان نأخذ هذا الرأي دليلا على قداسة اللغة ، لأن هذا الرأي خطير على اللغة العربية نفسها ، لأن تقديس اللغة بمعنى التقديس الديني ـ يعطلها ، ويقيدها ولا يسمح لها بالتطور لتواكب الحركة الاجتماعية وتتماشى مع الحضارة .

وان فكرة التقديس هذه تدمغ كل مصلح بالمروق ، باعتبار ان كل اصلاح لغوي يمس من هذه القداسة .

والحق ان ما ذهب اليه الفريقان الاولان من دعوة الى العامية دون الفصحى والى كتابة العربية بالحروف اللاتينية هي افكار هدامة اوحاها الاستعمار لبعضنا ، وذلك لكي نضرب ثقافتنا وتراثنا بايدينا وهذه الاراء لا تعدو ان تكون من قبيل شد العجلة الى الخلف اما الفريق الثالث القائل بتقديس اللغة فهو رأي موغل في الرجعية وهو يعاكس علم اللغة الحديث القائل بأن اللغة اصطلاح ، وان اللغة استعمال . فاللغة العربية وجدت قبل ان ينزل القرآن ووجدت معها بعض اللهجات العربية عند القبائل في الجزيرة فسبق اللغة العربية للقرآن ينفي عنها القداسة .

ولكن هل يعني هذا ان اللغة العربية بخير وان العاميات لا قيمة لها اليوم ؟

للجواب عن هذا السؤال لابد من :

1 ـ وصف الواقع اللغوي :

تنقسم اللغة في الوطن العربي الى مستويات عديدة :

المستوى الكتابي :

ويشتمل على العربية الفصحى التي تنقسم الى مستويين :

أ ـ مستوى الفصحى القديمة

ب ـ مستوى الفصحى المعاصرة

المستوى المنطوق :

ويشتمل على اللهجات الدارجة وهذه تنقسم كذلك الى مستويين :

أ ـ العامية المهذبة

ب ـ العامية الساذجة (8)

2 ـ وظائف هذه المستويات :

أ ـ الفصحى القديمة : وهي باب الثقافة العربية الاصيلة وهي طريق لفهم القرآن والسنة ، ولفهم التراث العربي من شعر ونثر ، فهي تستمد قوتها ووجودها من القرآن والتراث نفسه .

ب ـ الفصحى المعاصرة : وهي لغة التدريس ، ولغة الصحافة والاعلام عامة ، وهي تستمد وجودها مما يحدث من تفاعل بين الفصحى القديمة وعناصر اجنبية عنها ، وبموجب احتكاكها بطبقة لغوية سفلى وطبقة لغوية عليا .

ج ـ العامية المهذبة : وهي جهاز الايصال بين المثقفين وهي تستعمل غالبا في الخطب السياسية وفي الحديث بين الاداريين .

وتحتوي هذه العامية على خليط مما سهل من العربية الفصحى ومن اللهجة الدارجة ، وتتعدد في هذا المستوى الاخطاء الصوتية والصرفية والنحوية .

د ـ عامية العامة : ويتعامل بها اكبر قطاع من الجماهير من فلاحين وتجار وصناع وحرفيين . وقد اختلفت هذه اختلافا جوهريا من قطر عربي الى آخر حتى كادت تصير لغات متميزة (9)

خطر تعدد المستويات اللغوية على الفكر العربي :

هذه المستويات اللغوية وان بدت متعايشة فانها في حالة صراع دائم وحاد ، ولتعدد هذه المستويات اللغوية اصبح الفرد يعيش في حالة تمزق لغوي تجعل طاقة التعبير عنده ضعيفة .

ويستفحل هذا الضعف اذا عرفنا ان البلاد العربية تنقسم « اليوم الى فئتين ، الفئة الاولى وهي تلك التي لا تزال تسير على الركب اللغوي .... الذي اجتهد الاستعمار في صنعه لها فانغمست في ازدواجية لغوية ، ان لم نقل ثلاثية ورباعية لغوية ، اصبح من العسير التخلص منها ، وكانت حصيلة هذه الازدواجية ما يسمى بالفرنكو عربية او الانقلوعربية وهلم جرا . والى الآن لم تقم سياسة هذه الفئة بعد بمحاولة واضحة ، او جهد مباشر من شأنه ان يعيد المياه الى مجاريها .... وان يكبح سباق اللهجات واللغات الاجنبية للعربية الفصحى الحديثة .

اما الفئة الثانية فهي ... تثابر منذ ماض قريب على تعريب كل القطاعات الاجتماعية تعريبا تاما ... بل ان عملية التعريب هذه لم تقتصر فقط على نقل الارشادات الادارية من لغة اجنبية كانت متداولة وشبيهة باللغة الرسمية للبلاد الى اللغة العربية المعاصرة ، وانما شملت بالخصوص اعادة تخطيط الميدان الدراسي بجميع فروعه واتجاهاته ، وما من شك في ان الميدان الدراسي في الوطن العربي هو القاعدة الاساسية لبناء مجتمع عربي جديد(10)

الا ان هذه الفئة الاخيرة لم يخل عملها من اضطراب لغوي مرجعه التسرع والرغبة الجامحة في اعادة مجد اللغة العربية .

فعدم التعريب والازدواجية اللغوية وحتى الثلاثية اللغوية جعلت الضعف اللغوي يستفحل عند تلاميذ المعاهد وطلبة الكليات خاصة في الاقطار التي تدرس فيها اكثر من لغة اجنبية .

كذلك كان لتعدد المستويات اللغوية المذكورة الاثر السيء في الانتاج الفكري والثقافة العربية بصفة عامة ، وهذه الظاهرة تعزى الى ان وسيلة الابلاغ تشغل الفكر اكثر مما تشغله مادة التفكير مما يحد من الخلق والابداع .

هكذا تنعدم وسيلة لغوية موحدة تمكن الانسان العربي من التعبير عن آرائه وغاياته شفاهيا وكتابيا بعبد واحد .

فعملية الافصاح عندنا ـ تتقاسمها المستويات اللغوية المذكورة وهو ماركز الشعور بالغربة الناتجة عن تعدد الواجهات اللغوية .

فالعربي الواعي يشعر وهو في حماية بيئته انه غريب بين لغة رسمية تعاملية ولغة غازية يؤكد انصارها ان العجز والقصور في اللغة لا فيهم(11)

وكان لهذا نتائج اجتماعية خطيرة ازدادت حدتها لعدم وجود رابط جدلي بين اللغة العربية الفصحى والواقع اليومي المعاش من هذه النتائج الاجتماعية نذكر :

أ ـ تمزق الفكر العربي بين مستويات لغوية عديدة اثّرت في الكم والكيف في الخلق الفكري نفسه .

ب ـ الشعور بالنقص ازاء اللغة العربية

ج ـ فقدان الثقة بها وبقدرتها في السيطرة على زمام العلم(12)

د ـ التوهم بأن اللغة العربية غير قادرة على مجاراة اللغات الاجنبية في الحقول المعرفية .

هـ ـ التعامل باللغة الاجنبية شفويا او كتابيا ، واعتبار ذلك سمة من سمات الانسان المتحضر الراقي .

و ـ تقديس كل انتاج فكري اجنبي نتيجة لتقديس اللغات الاجنبية وتفضيلها على العربية .

العاميات نتيجة لخلق العربية الفصحى

الحق اقول ان تعفن الواقع اللغوي يعود الى تعفن الواقع السياسي ، والى الظروف العامة التي تحيط بالوطن العربي (13)

ولابد من التنبيه الى ان اللغة العربية ـ شأنها شأن كل اللغات ـ تكتسب حيويتها وقوتها من ارتباطها بالتطور الاجتماعي « ومن قدرتها على التجاوب مع متطلباته ، ذلك انها ليست اداة الثقافة وحسب ، وانما اداة الاتصال الاساسية في المجتمع كله . ولئن كانت لكل لغة بطبيعة الحال قواعدها العامة ، فان اللغة وقواعدها انما هي حصيلة التطور التاريخي للمجتمع ، وما ينطبق على اللغات بعامة ينطبق على اللغة العربية . لقد صنع المجتمع العربي لغته عبر مراحل تاريخية موغلة في القدم . ولقد اسهمت اللغة العربية بدورها في بناء المجتمع وابراز تمايزه . وكما ان التطور التاريخي صنع اللغة العربية كذلك فان المسيرة التاريخية لهذا التطور هي التي حكمت بوجود عربية فصحى ولهجات محلية وحكمت ان تكون الفصحى لغة الاقلية ولغة الثقافة والادب ، واللهجات المحلية « لغات » الجماهير الواسعة . وبلغ الشقاق بين الفصحى والعاميات مبلغ ان اصبحت الفصحى شبه غير مفهومة من قبل هذه الجماهير ، واصبح الادب (الفصيح) بالتالي وقفا على النخبة ، وكان الشعر ـ وما يزال ـ هو اداة الاتصال الرئيسية بين الفصحى والعاميات ولقد ادت سيطرة الامية شبه التامة على المجتمع العربي بخاصة في عصور الانحطاط التي تمتد حتى القرن التاسع عشر الى انحسار كامل للغة العربية

الفصحى عن الحياة اليومية . ولقد كان للنهضة الثقافية العربية بخاصة والنهضة العربية بعامة من أن تنطلق من مسألة احياء اللغة العربية اي وضعها موضع التداول .

وهذا ما تحقق بالفعل في القرن التاسع عشر . وكان لابد من ان يكون تحديثُ اللغة العربية هو الخطوة التالية . ذلك لان وضع اللغة العربية موضع التداول كان يعني مطالبتها بالاندماج في الحياة الاجتماعية وبالتطور معها ، وبأن تكون اداة الاتصال في عملية التطور هذه . من هنا يمكن القول انه بدأت تنشأ لغة عربية « جديدة » ليست هي الفصحى التراثية تماما ولا العاميات السائدة(14). فهذه الفصحى المبسطة هي التي ستخفف النطق ، وتستبعد كل « ما يؤكد مغايرة اللسان المدون للغة الكلام في اذهان الجمهور(15)وهي بانتشارها ستسهل على اغلب الناس » ان يستعملوها دون خوف من اللحن الذي قد يؤول الى الحصر والكبت » (16)

وسيزداد هذا التبسيط اكثر في المستقبل ، لأن « احتكاك الفصحى المستمر باللهجات هو احد الاسباب الرئيسية التي تأتت عنه ظواهر التبسيط التركيبي للغتنا ، وذلك بالاضافة الى التأثير التعاملي للازدواجية اللغوية الذي يبرز طابعه في لغة الصحف والمجلات والصياغة الادبية ، وخاصة في لغة الدراسات العالمية الحديثة التي تلجأ عادة الى ترجمة نتائج المحاولات العلمية العربية .

ومن ظواهر التبسيط مثلا : استعمال الافعال المتعدية بحرف عوضا عن الفعل اللازم ، والتخلي شيئا فشيئا عن المفعول المطلق والتمييز واستعمال الجمل المصدرية المستهلة بأن المصدرية في محل المصدر مباشرة ... الخ »(17) ولكن قد آل هذا التبسيط احيانا الى التفريط في قواعد اللغة العربية . كما ان الدارجات بقيت مسيطرة على الشارع والمعاملات اليومية ، وبقيت العربية الفصحى غريبه في اوساط الجماهير .

فعلى من تلقى تبعات هذا الواقع اللغوي المتخلف ؟ وما هي الحلول الناجعة لمشكل اللغة ؟ تلقى اللائمة على كثير من الاوساط التي جسمت ممارساتها :

– عقبات امام اللغة العربية :

أ – المجامع اللغوية :

رغم ان مجامع اللغة العربية قد قامت بجهود تذكر ، وحاولت تقوية جانب اللغة العربية الفصحى الا ان امكانيات هذه المجامع بقيت محدودة مما جعلها لا تستطيع التصدي لكل المصطلحات العلمية والفنية التي تظهر في كل يوم في لغات الدول المتقدمة شرقا وغربا .

وبقيت مجامعنا اللغوية كالامم المتحدة تأخذ القرارات دون ان تستطيع تنفيذها . كذلك فان جهود المجامع العربية والجهود الفردية للعلماء العرب تتصف بالتشتت وعدم الانسجام وهي تتعارض في استعمالاتها من قطر عربي لاخر... وعدم الانسجام هذا اضاع كثيرا من الجهود بلا جدوى .

ب – مؤسسات الاعلام والثقافة :

ان هذه المؤسسات مقصرة في شأن اللغة العربية ، وعندما نذكر المؤسسات فاننا نعني رجال الصحافة والاعلام ، لانهم لم يعطوا للكلمات التي عربتها المجامع رواجا وحياة ، ولم يستعملوها في الكتابات اليومية على اعمدة الصحف ، حتى تكون المصطلحات المجمعية مألوفة عند الجماهير وهذه المؤسسات الثقافية والاعلامية في الوطن العربي هي وحدها التي تمتلك السلطة الكاملة لتحقيق الاهداف والخدمات المحترمة التي تقدمها المجامع في خدمة اللغة العربية ، والتي تتحول بفعل الاهمال الى الفاظ معلبة تحفظ فقط في الدفاتر والكتب ومجلات المجامع .

ان المجامع لا تستطيع تغيير الالسنة وتخفيف سيطرة اللهجات العامية ما دامت وسائل الاعلام غير حريصة على تحقيق مثل هذا العمل ... خاصة في التمثيليات والمسرحيات والقصص التي يشاهدها عشرات الملايين على شاشة التلفزة ، ويسمعها الملايين من المذياع .

فوسائل الاعلام العربية لا تتقيد باجتهادات المجامع ، وهذا يناقض ما ننشده من تطور ، لانها مؤسسات غير شعبية تركز على الخلافات السياسية ، وتجر الصحافة خلفها ، فتدخل في المهاترات مما يضيع الوقت ولا يتيح الفرصة لكي تتفق وسائل الاعلام في الوطن العربي على برنامج عمل للنهضة باللغة الفصحى ، وتخفيف طغيان اللهجات العامية (18)

ج – التعليم :

ان التعليم عامل هام في نشر اللغة العربية الفصحى ، وفي القضاء على المستويات اللغوية المتعددة ، وايجاد البعد اللغوي الواحد .

ولكن رغم ما حصل من انتشار نسبي للتعليم فان نسبة الامية في الوطن العربي تأتي في المرتبة الثانية في العالم بعد افريقيا . فنسبة الامية بين الذكور60،5٪ ونسبة الامية في الاناث 85،7٪ ويكون المجموع العام من الاناث والذكور 73٪(19)أن هذه النسبة من

الاميين اذا رفع عنهم الجهل لاشك سيعززون جانب اللغة العربية الفصحى ، لأن القضاء على سيطرة الدارجات مرهون بتعليم هذه النسبة الهائلة من الاميين وتثقيفهم . كذلك فان توفر التعريب الكامل في المعاهد والجامعات سيؤدي حتما الى استعمال ما هو موجود من مصطلحات مجمعية ، وسيؤدي ذلك كذلك الى زيادة التعريب والنحت والاشتقاق في كافة الميادين المعرفية . ومستوى اللغة العربية ومدى انتشارها يتوقف ايضا على مستوى الخريجيين الذين يقومون بشؤون التعليم ففي بعض الاقطار العربية يقوم الاساتذة والمعلمون بالقاء الدروس امام الطلبة باللهجة الدارجة وهذا خلل لا يغتفر .

د ـ الأدباء والعلماء :

تلقى لائمة التقصير كذلك على الادباء لانهم لم يستعملوا المصطلحات المجمعية في انتاجهم ، من قصة ورواية ومسرحية ، وقل مثل ذلك بالنسبة للعلماء المختصين ، لان معظمهم وقف من المصطلحات التي عربتها المجامع موقفا سلبيا ، فلم يستعملوها في بحوثهم ومراكزهم العلمية ، ولم يتداولوها بينهم حتى تكتسب الكلمات الجديدة الحياة والبقاء بفضل الاستعمال ، بل اني اشك حتى في اطلاع الكثيرين من المختصين العرب على هذه المصطلحات :

ان اشاعة الكلمات الجديدة بين الناس رهين باستعمالها في الانتاج الفكري ، لانه واسطة اساسية في نشر العربية الفصحى بين الجماهير .

على اننا لا ننكر الجهد الخلاق الذي قامت به اجيال متلاحقة من المفكرين العرب ، فلقد استطاع جيل الرواد مثل طه حسين والعقاد واحمد امين والمنفلوطي ونعيمة وغيرهم ان يخرجوا النثر العربي من شكله التقليدي القديم وبخاصة الموروث عن عصور الانحطاط والقائم على السجع .

وجاء جيل آخر بعدهم من الكتاب بسطوا لغة الكتابة اكثر مما فعله الرواد ، مثل نجيب محفوظ وسهيل ادريس ويوسف ادريس وعبد الكريم غلاب وابو العيد دودو ، والطيب صالح الخ ....

ووقع في الشعر ما وقع في النثر ، فقد مثل الرصافي وسامي البارودي وحافظ ابراهيم وشوقي والعقاد وغيرهم مثلوا مرحلة شعرية جديدة فعمدوا الى تبسيط العبارة الشعرية ، واستطاعوا التلطيف من غلواء شعرنا القديم بما فيه من غريب الكلام ووحشيه .

وقد جاء جيل آخر بعد هؤلاء اقتحموا معاقل السلفية والتراث (20) وهو الشعر العمودي وذلك للتقدم نحو آفاق جديدة من الحداثة فكان ابو القاسم الشابي ونازك الملائكة ونزار قباني والبياتي ، وصلاح عبد الصبور ، وعبد المعطي حجازي وجعفر ماجد والميداني بن صالح ونور الدين صمود وغيرهم ، ومع كل جيل جديد في النثر والشعر تثرى اللغة العربية بالاستعارات والتشابيه والتراكيب الجديدة وتقرب مع كل جيل من المفكرين من الجماهير اكثر ويضيق المجال بينها وبين الدارجات .

ولكن كل هذا غير كاف ، فلكي تنهض اللغة العربية الفصحى لابد من الحل الآتي وهو : » ان تتظافر الجهود من مختلف المؤسسات العلمية والادبية من مدارس وجامعات واذاعات واجهزة الهاتف والتلفزة وذلك باستعمال اللغة العربية الفصحى السليمة البسيطة حتى يتعود بها الناس من مختلف الاعمار ، بل الى جانب هذا لابد من تعريب مختلف المراسلات التي تصدر عن مختلف اجهزة الدولة في مختلف الوزارات ، والزام جميع المؤسسات التجارية والمقاولات بالتعامل باللغة العربية وكتابتها في الاعلانات والشوارع وغيرها من المواقف « (21)

وهذا يتطلب شعورا بالمسؤولية وتقديرا للخطر المحدق بهذه اللغة .

فمشكلة اللغة العربية هي في النهاية مشكلة سياسية ، وهي للخلافات القائمة بين الاقطار العربية بقيت تواجه تحديات كثيرة في وقتنا الحاضر ، بحيث تبدو هذه التحديات عنيفة وشرسة ، خاصة وانها تواجه امتحانا عسيرا امام هذا السيل من معطيات العلم الحديث .

واخيرا لا آخرا فان اللغة العربية بما هي عليه تمثل واقعنا الاقتصادي والسياسي والفكري المتخلف ، لأن لها علاقة بالعوامل النفسية والعقد الداخلية التي ما زلنا نعانيها ، ولانحصارها علاقة بالمجتمع العربي الذي يؤثر فيها وتؤثر فيه .

فنحن الى حد الآن لم نغير ما بأنفسنا تجاه التقدم والحضارة المعاصرة ، وبما ان اللغة ظاهرة نفسية كما يقول جان انياس بودوان (1929/1845) ، فان تطور العربية مشروط بتطور العوامل النفسية على المستوى الفردي والاجتماعي لأن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم ●

نور الدين بلقاسم

القيت بالمركز الثقافي التونسي بطرابلس يوم 1978/2/14 .

1) عدنان بن ذريل ـ اللغة والتحليل النفسي ـ المعرفة ـ السنة 7 العدد 201 تشرين الثاني ـ نوفمبر 1978

2) الدكتور محمد عبد الكريم الجزائري ـ لغة العصر بين العامية والفصحى ـ مجلة الوطن العربي ـ ص 6 العدد 94 ـ من ـ 1 الى 6 كانون الاول ديسمبر 1978

3) المرجع السابق

4) الدكتور محمد عبد الكريم الجزائري ـ لغة العصر بين العامية والفصحى مجلة الوطن العربي ـ السنة الثانية ـ العدد 94 ـ من 1 الى 6 كانون الاول (ديسمبر) 1978 ـ ص 60 .

5) المرجع السابق ص 60

6) المرجع السابق ص 60

7) د . محمد عبد الكريم الجزائري ـ لغة العصر بين العامية والفصحى مجلة الوطن العربي ـ السنة الثانية ـ العدد 94 من 1 الى 6 كانون الاول (ديسمبر 1978/ص 60)

8) عبد السلام المسدي ـ الازدواجية والثنائية واثرها في الواقع اللغوي ـ جريدة بلادي التونسية السنة 4 العدد 24 من 23 الى 29 جمادى الاولى 1398 هـ/من 1 الى 7 ماي 1978 .

9) نفس المرجع ، السنة 4 العدد 24 من 23 الى 29 جمادى الاولى 1398 هـ 1/7 ماي 1978 .

10) المصدر السابق

11) الدكتور عبد الرحمان ايوب ـ صراعنا مع اللهجات العربية ـ الثقافة العربية العدد السابع ـ السنة الخامسة ـ رجب شعبان 1398 هـ/يوليو ـ تموز 1978 م

12) عبد السلام المسدي الازدواجية والثنائية واثرها في الواقع اللغوي = جريدة بلادي التونسية ـ السنة 4 ـ العدد 24 ـ من 23 الى 29 جمادى الاولى 1398 هـ 1/7 ماي 1978 .

13) يدعي الكثيرون ان اللغة العربية عاجزة عن استيعاب العلم الحديث ، ولكن تاريخ اللغة العربية وحاضرها يفندان هذا ، فالعربية كانت لغة علم في العصرين العباسي والاندلسي خاصة وقد دونت بها العلوم في بغداد واصفهان ودمشق والفسطاط والقيروان وقرطبة وهذه العلوم وفرت للغتنا رصيدا هائلا من المصطلحات وقد عمدت اللغات الاوروبية الحديثة الى نقل المصطلحات العلمية عن العربية ، فقد نشر وولت تايلور كتابا بعنوان : « الكلمات العربية في اللغة الانقليزية » ذكر فيه ان 283 كلمة عربية مستعملة في الحديث اليومي الانقليزي وان الف كلمة من اصل عربي في معجم اكسفورد الانقليزي الكبير واكثرها في المصطلحات العلمية كالفلك والتنجيم والكيمياء والجغرافيا والطب والجراحة والموسيقى والفلسفة والدين .

كما ان العربية استعارت كثيرا من المصطلحات الهندية والفارسية واليونانية على الخصوص ، وهي في العصر الحديث تستعير المصطلحات المحتاجة اليها من اللغات الاوروبية وخاصة الانقليزية والفرنسية . فالعربية على عكس الدعوات المغرضة لغة مرنة حية تخضع لمبدأ التعامل اللغوي

14) الدكتور عبد الجليل عبده شلبي ـ المجامع العربية مالها وما عليها ـ ندوة اشترك فيها جمع من العلماء العرب ـ مجلة الفيصل العدد 10 ـ السنة 1 ربيع الثاني 1398 هـ/مارس ، ابريل 1978 م/ص52 .

15) جلال فاروق الشريف ـ بعض السمات الراهنة في تطور الادب العربي المعاصر الموقف الادبي ـ العدد 87 ـ تموز 1978 ص 9

16 ـ 17) الاستاذ الشاذلي القليبي بين اللهجات العامية واللسان المدون ـ محاضرة القاها يوم السبت 25 مارس 1978 على منبر مجمع اللغة العربية بالقاهرة

18) الدكتور عبد الرحمان ايوب صراعنا مع اللهجات العربية ـ الثقافة العربية العدد 7 ـ السنة 5 ـ رجب ـ شعبان 1398 هـ/يوليو ـ تموز 1978 م

19) عبد الله احمد القرعاوي ـ المجامع العربية مالها وما عليها ـ مجلة الفيصل العدد 10 ـ السنة 1 ربيع الثاني 1378 هـ/مارس ـ ابريل 1978 57 .

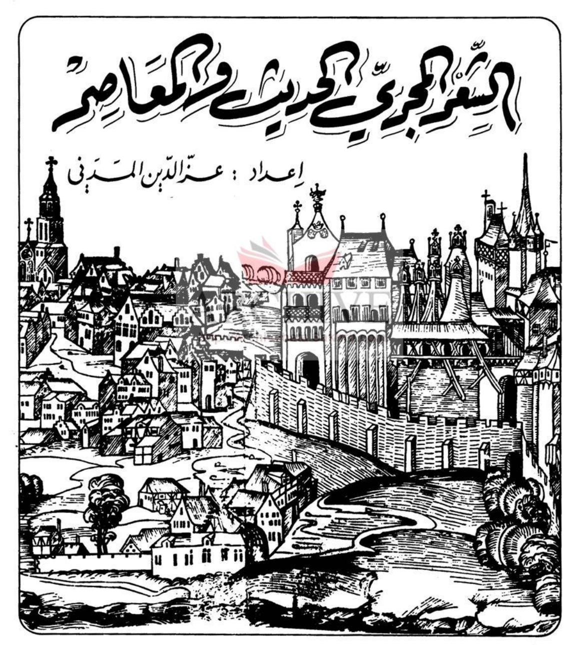
20) سميح عيسى ـ الامية والتقدم الاقتصادي ـ المعرفة السورية ـ السنة 7 العدد 201 ـ تشرين الثاني ـ نوفمبر 1978 ص 114

21) جلال فاروق الشريف ـ بعض سمات المرحلة الراهنة في تطور الادب العربي المعاصر الموقف الادبي ـ العدد 87/تموز 1978 ـ ص 9 .

22) محمد حدوان مزيان ـ المجامع العربية ما لها وما عليها ـ مجلة الفيصل العدد 10 ـ السنة 1 ـ ربيع الثاني 1398 هـ/مارس ـ افريل 1978م ـ ص 58

الشعر المجري الحديث والمعاصر

إعداد : عز الدين المدني



قضيت حوالي خمسة عشر يوما في مدينة بودابست ، عاصمة المجر . كان ذلك في اكتوبر ، شهر أشجار الكستناء المتحولة أوراقها إلى الصفرة ، شهر الحرارة المفاجئة ، والمطر الهادر المباغت ، والبرد الليلي القارس .

كان اهتمامي في هذه الاقامة الثانية بالشعر المجري المعاصر والحديث أكثر من اهتمامي بأي نوع أدبي آخر رغم اني قرأت عشر مسرحيات مجرية جيدة . لكن سأعود إلى هذا الموضوع في مقال لاحق .

يبدو أن الشعر في المجر أقوى الأنواع الأدبية : يحتل المكانة الأولى في الساحة الأدبية هناك . فهو غزير وذو تأثير عميق في الثقافة المجرية اليوم . ودور النشر تعنى به عناية كبرى ، وتبذل في سبيله المجموعات ، والتعريفات ، والمنتخبات ، ومختلف الترجمات إلى اللغات الدولية الواسعة الانتشار كالفرنسية ، والانكليزية ، والألمانية ، والروسية . ومنظمة « البان كلوب » في المجر حريصة كل الحرص على اخراج الشعر المجري من مأزق لغة المجر إلى شمس العالم . ذلك أن لغة المجر هي جزيرة ألسنية في أوروبا كاملة ، بل في العالم ، إذ لا يوجد إلا نسب بعيد وبعيد جدا باللغة الفنلندية مثلا ...

- حروفها لاتينية . تهجيها ، لكن لا تفهم منها شيئا . ثم تألف أذنك أصواتها بعد أيام من الاقامة . فتلاحظ أن لها انسجاما ، وايقاعا فيه كثير من المد والقصر . ويقول من يرافقك انها لغة غنية بالايقاع ، والصيغ الصرفية ، وكلماتها تتكيف بالأصل وبالسوابق وباللواحق . فالكلمة قد تتركب من فُونَامَيْنِ ، وقد تتركب من عشرة فونامات . زد على ذلك الاعراب في أواخر الكلمات . فتتضمّن الكلمة الواحدة عند ذاك أكثر من دلالتين بالاضافة إلى دلالة الجِذر ، ودلالة السياق .

حين قلت سابقا انها جزيرة السنية لا أعني أنها ضيقة ضيق اللهجات ، ولا فقيرة فقر الكلام الأرقوتيكي . بل هي لغة لها قواعدها ، وماضيها ، ومستقبلها . لكن لا يتكلمها ولا يستعملها الاسكان المجر ، والمجريون الذين يعيشون في الخارج ، وعددهم جميعا لا يتجاوز أربعة عشر مليونا تقريبا . فلذلك كان تأثير لغة المجر من بين اللغات الدولية الكبرى محدودا في العالم ، بالاضافة إلى صعوبة دراستها ، وعسر ممارستها بالنسبة إلى متعلمها ، أي صعوبة تسربها ، وعسر انتشارها ...

الظاهرة الأدبية التي تثير الحيرة والاعجاب في أن واحد : الظاهرة الشعرية في المجر .

المجر يَشْتَعِل بالشعر : شعر الشعراء ، وشعر الشعب ، شعر الماضي ، وشعر الحديث ، وشعر الشعوب الأخرى ...

المجموعات الشعرية في واجهات المكتبات مكتظة ، كتب الشعر مفتوحة بين اليدين في الميادين والساحات العمومية . الجرائد والمجلات مليئة بالشعر . اسماء بعض الشوارع الرئيسية هي أسماء لشعراء مجريين ، علامة عن التقدير . ما أجمل نحت بِيتْوفي رغم أكاديميته ، المطل على ضفة الدانوب !

إذا كانت المانيا أرض الموسيقى والفلسفة ، كما يقال ، وانكلترا دار الرواية ، وفرنسا بلاد الموضات

والصالونات والمقاهي والثورات الأدبية ، فان المجر هي وطن الشعر ، كالبلاد العربية هي وطن الشعر . ففي العراق ، وسوريا ، ولبنان ، ومصر ، والمغرب ، والجزائر ، وتونس مئات الشعراء وقصائدهم واشعارهم في كل نوع وفي كل غرض . كذلك في المجر ألف نوع ، وألف شاعر ، وألف مجموعة من الشعر ...

من حيث التاريخ : لقد مر الشعر المجري ـ كالشعر الأوروبي ـ بالمدارس والمذاهب المعروفة .

أبرزها في الماضي : العمود الكلاسيكي حيث يبرز الغرض الأنسني على ما سواه من الأغراض الأخرى ، ويرجع تاريخه إلى عهد الانبعاث الأوروبي أي حوالي القرن السادس عشر .

ثم تأتي فترة الرومنطيقية مع القرن التاسع عشر وهي خصبة حيث يبرز الشعر الثوري بقيادة بيتوفي .

وأخيرا شعر القرن العشرين الذي تحرر من الشكل العمودي القديم والأغراض الكلاسيكية . ويعتبر شعر القرن العشرين من أخصب ما انتجته المجر من الشعر على امتداد تاريخها الطويل .

على أن هناك محاور كبرى يتمحور عليها الشعر المجري الحديث :

1 ـ الشعر الذاتي الذي يبرز فيه الشاعر ذاته قبل كل شيء بما فيها من لاوعي ، وتصورات ، ومحبة ، وكراهية ، وذكرى ، وعلاقات بالآخرين ، والكائنات المحيطة به .

2 ـ الشعر المجتمعي الذي يثير فيه الشاعر قضايا المجتمع المجري ، السياسية بالخصوص .

3 ـ الشعر التاريخي الذي يذكر فيه مآثر الماضي المجري من ثورات الفلاحين الغابرة ورجال الثورة المجرية في مطلع القرن الحالي .

4 ـ الشعر الفانتستيكي الذي يصور فيه الشاعر صورا استثنائية للواقع . ولِمَ نَقُولُ انها استثنائية ؟ بل انها صور واقعية .

5 ـ الشعر الشعبي الذي ما زال ينظم ويلقى ويلحن في المجر .

لا يعني هذا التصنيف أن كل شاعر مجري حديث سجين في زنزانة أحد هذه المحاور المذكورة . لو صح هذا التصنيف لكان عبثا . انما أغلب الشعراء الحديثين ينتقلون من محور إلى آخر بكل حرية . فتجد من يتناول الشعر التاريخي إلى جانب الشعر الذاتي إلى جانب الشعر المجتمعي . ونادرًا ما تجد شاعرا يقتصر على محور واحد من هذه المحاور ، ويكتفي به ، إلا إذا كان ذا تجربة قصيرة من حيث الزمن .

على أن هناك غائبا كبيرا في هذه المحاور ، وهو محور الشعر الواقعي الاشتراكي . لَمْ الاحظ بين الكتب الشعرية الحديثة التي طالعتها مثل هذا الشعر . لعل المجريين يأنفون من هذا المذهب الفج ، المباشر ، القاسي ، وتركوه للشعارير ... من يدري ؟

للشعراء المجريين خاصة ، وللمثقفين الكتاب عامةً تقاليد تتمثل في ترجمة شعراء الشعوب والأمم الأخرى من

أوروبا خاصة إلى لغتهم . انهم ترجموا معظم الشعراء حتى الذين هم من المستوى الثاني : أما الكبار فنذكر منهم رامبو ، ونيرودا ، وهالدرلين ، كافافي ، ودورال ، ولوتربيامون ، ووايتمان الخ ...

ولعل هذه الترجمة تثري فيهم الشعر ، وتجعلهم ينتسبون إلى العالم دون نسيان خصائصهم والتنكر لها ، ودون الذوبان في الآخر بتعلة ضيق أفق اللغة أو لأسباب أخرى ...

المشكلة التي بقيت في ذهني إلى الآن : فقدان الشعر العربي القديم والحديث في تلك الترجمات ، فقدانه أو يكاد ! لماذا ؟ لأن الحواجز كثيرة ، وأهمها اللغة . يقال في المجر أن اللغة العربية لغة صعبة ، أصعب من المجرية . لكن هذا ليس صحيحا ، إذ أني قابلت هناك من يعرف العربية معرفة جيدة ولا يعتقد أنها صعبة وأصعب من المجرية . لكن اللغة ليست حاجزا بل أسباب أخرى هي الحواجز ، يطول شرحها في هذا المقال .

الوجه الآخر للمشكلة أن الأشعار المجرية ليست معروفة في العربية إلا قليلا . ففوزي العنتيل قد ترجم إلى العربية بيتوفي ، أما أنا فقد اطلعت على هذه الأشعار عن طريق لغة ثالثة وهي اللغة الفرنسية .

لقد أسست منظمة « البان كلوب » في المجر ورشة مترجمين وهي الوحيدة من نوعها في العالم . فالمترجم الأجنبي في المجر قد لا يعرف أو لا يعرف - حقيقة - اللغة المجرية . فيقع تقديم الاشعار إليه بلغة ثالثة . فيقرؤها عليه مجريٌ باللغة الأصلية بعد أن قرأها المترجم في لغتها الثالثة . ثم يتولى المترجم ترجمتها إلى لغته . وأخيرا يراجعها المجريُّ طبقا لما جاء في النص الأصلي . هذه عملية شاقة لكنها ناجعة .

اطلعت على الاشعار المجرية باللغة الفرنسية من خلال كتابين من المنتخبات الأول عنوانه : « شعرائي المجريون » للشاعر الفرنسي قيفيك والثاني عنوانه « شعر مجري » لدولوز الأول والثاني صادران عن دار كورفينا للنشر ببودابست كما اطلعت على هذه الأشعار في مجلة « البان كلوب » ، ومجلة « رزنامة الشعر العالمي » التي تصدر ببودابست ، ومجلة « اكسيون بيوتيك » (عدد 30) الفرنسية ، والعدد الخاص بالشعر المجري من جريدة الشعراء البلجيكية . وهكذا تجمع لديّ عدد وافر من الأشعار .

وقد قمت باختيار عدد صغير منها لشعراء مختلفين ، لا ازعم أنها تمثل تمثيلا صادقا الشعر المجري المعاصر والحديث لكنها نماذج من الشعر المجري فقط .

وإني اغتنم هذه المناسبة لاشكر كل من ساعدني على ترجمة هذه الأشعار إلى العربية ، ولا سيا السيد جورج تيار والسيد بيتر الذي يعرف العربية جيدا وقد راجع السيد بيتر ترجمتي طبقا للنصوص الشعرية الأصلية .

وأما فيا يخص ترجمات الشعراء المصاحبة للأشعار فاني استقيتها من كتاب قيفيك وكتاب مارك دولوز .

ولد سنة 1877 وتوفي سنة 1919 . وهو ينحدر من اسرة نبيلة . درس الحقوق ثم اشتغل بالصحافة . قضى سنوات يعمل صحافيا في رومانيا ثم انتقل الى باريس بوصفه مراسلا لعدد من الصحف المجرية وذلك قبل اندلاع الحرب العالمية الاولى . صدر ديوانه سنة 1906 فكان فتحا جديدا في تاريخ الادب المجري . وقد قام اندري آدي من خلال شعره بمعركة ضد مخلفات الاقطاعية وفي سبيل تغيير اجتماعي جذري .

اعراس البزاة

سافرنا نحو الخريف ،
دوما صائحين ، باكين ، يطاردنا ،
بازان من ذات الاجنحة المتعبة .
سماء الصيف تشاهد لصوصا آخرين ،
وأجنحة باز اخرى تخفق ،
وقبلات أخرى تتصارع في المعركة .
نحن المطاردين ، نطير بعيدا عن الصيف .
سنحل بالخريف ، في مكان آخر ،
محبة ، ريش واقف .
وهناك سنقيم اعراسنا الاخيرة ،
وهناك سيأكل أحدنا لحم الاخر ،
سنسقط في سباسب الخريف .

الخريف مر بباريس

بالامس انزلق الخريف بباريس دون اضطراب ،
مر بشارع سان ميشال .
وتحت الاشجار التي تنام في الهواء الحار
اتجّه نحوي .
أسير ببطء ، فاقتربت من نهر السان ،
وفي نفسي تضطرم نار .
وأغنيتي غريبة بنفسجية
تحدثني عن موتي .

لحقني الخريف وهمس في اذني الاسرار ،
فارتعش شارع سان ميشال .
وعلى طول الطريق تساقطت
الاوراق راقصة .
لم تدم لحظة . ولم يخلف الخريف شيئا .
وابتسم الخريف وبارح باريس .
لقد مر . وأنا الوحيد الذي عرفت ذلك
تحت الاشجار الثقيلة .

اكبر وجه من وجوه الشعر المجري في القرن العشرين
ولد سنة 1909 وتوفي 1944

اسبانيا ، اسبانيا

منذ يومين يهطل المطر وشباكي مفتوح
يريني سطوح باريس تلمع ،
على طاولتي جاء سحاب ينتصب
على وجهي يسيل وُضُوحٌ ندي .
فوق البيوت ، لكن ابقى في الاعماق هناك .
عليَّ يبكي العرق المضروب بالمطر .
واني خجل في هذا الاصيل الملطخ
بالوحل الثقيل وبالاخبار
يا حرب ، خفقان اجنحة سوداء !
دخان خوف شديد يصعد عند جيراننا !
صاروا لا يبذرون ولا يحصدون هناك
وانتهى موسم قطف العنب .

لا ثمة عصافير للغناء ، ولا ثمة شمس في السماء
ولا ثمة ابناء للامهات !
الا انهارك الدامية يا اسبانيا ،
تجري ، مملوءة بالزبد !
لكن ستبعث جيوش أخرى ، وغواصف وحشية ،
ستولد اذا امكن من العدم ،
جيوش آتية من الاراضي القتيلة ،
ومن اعماق المناجم
شعوب تهتف بمصيرك ، يا حرية !
لاجلك ارتفع النشيد هذه العشية ،
لاجل معركتك انشد الكلمات القاسية
مساكين سكان باريس من ذوي الوجوه المبللة .

« اكتب منذ ثلاثين سنة رواية هي خليط بين الدراسة والترجمة الذاتية . واذا أردت ان اتحدث عن هذه الحياة باختصار شديد ، سأقتصر على القول بأنـي ولـدت سنـة 1910 ببودابست ، وإني لم اغادر منذ زمان هذه المدينة (باستثناء اسبوع في اثناء الاحتلال الالماني) ولم ادخل السجن . وهذان الحدثان ناجمان عن طبيعتي الثقيلة قليلا وعن حظّي . نظرا لتاريخ المجر . اني انحدر من البيئة البورجوازية التي لم تعرف كيف تكوّن كثيرا شاعرا على صعيد اللغة ولا في مستوى التجربة ... »

وداع الرجل صاحب الفضول الدائم

أين هي الشمس الحمراء ؟ لم تعد الا برقا في الجو الاشخم . خلف الشباك ، ينظر الرجل الاصلع اليها تصير رمادية . وعندما خرج الرجل ، تساقط الثلج كثيفا . لماذا يتعجل ؟ هذه الساعة من النهار تدفعنا الى الوداع . في المقبرة ، تغوص قدماه في الثلج الطري . في هذا البياض كله ، من خلال ستار الثلج الكثيف ، من العجيب ان يسمع « يعاد الجسم الى النار » وعلى طول الشتاء الطويل ، اين يحرق عدم توازنه الفني ؟ في اية نار ؟ عندما يصير المساء تاما ، تتقوى انوار المدينة ، وتشع خلال سقوط الثلج العابث . الشارع يملأ بالناس . عيد الميلاد لم يعد بعيدا . هذا الموسم ليس موسم الوداع . الفضول يبرز حتى في عيني هذا الرجل المجهول السائر تحت الثلج . وهو مضطرب ، وهو المألوف رغم ذلك . يجري من جديد على الضفة ، حتى يلفي مكان القنطرة في الظلام . أوحتى يتصوره عندما يتم بناؤها ؟ ماذا يرى ؟ كم من الوقت الذي تقرر للانتهاء منه ؟لماذا ينظر الى متارس البناء ؟ ماذا يريد ان يترقب كذلك ؟ وهل هو ما زال ذا فضول كذلك ؟ أولا يقف امام الواجهات حتى يرى الثياب النسائية من الموضة ؟ ينظر حتى الى النساء الجديدات منهن . الحواجب محملة بالثلج والانف الصغير الاحمر تحت الكشكول الفروي الكثيف المذبذب . ماذا يرى هذا الاهلي الذي صار عجوزا ؟ ولماذا ترتعش سيقارته في فمه بينما تدوس قدماه الصغيرتان الثلج الطري ؟ لماذا يحلم عند رؤية الثلج الذي يسقط ؟ ماذا يتخيل هذا الرجل ذو الفضول الدائم ، هذا الرجل الذي يودع ؟

لماذا ينظر بعناية الى المشروبات الاجنبية في الواجهات ؟ وماذا يبحث امام دكان بائع الزهور ؟ ما يشبهه بالاوركيدي الخزامى ؟ ولماذا يقف عند منعطف الشارع حين يمسك الثلج عن السقوط ؟ ولماذا يحقق النظر بجدّ ، ودون تريث ، في الجلبة التي تقطع في الامكنة المخصصة للمارة ؟ او هل يظن انه حاضر في كل شيء ، وان كل شيء سيحتفظ به عندما يموت ؟ ما يمكنه ان يتصور هذا المجهول المسكين في حالة مبارحة !

« ولدت سنة 1913 بالمجر . كان والدي ضابطا ، ثم مالك ارض . لي دكتوراه فلسفة وجمالية (جامعة بيتش) كتبت حوالي خمسين كتابا : اشعارا ومسرحيات ودراسات ، ورواية صغيرة ، وترجمات »

دراسات مجرية

سأكون في النار الجمرة النور .
سأكون في الماء الطحلب الخفيف .
سأكون في الريح السرو الفخور
سأكون في الأرض ابن والديّ .

ولد يوم 28 نوفمبر 1920 ببالاتونبوغلام . والده كان شاعرا يقول عن نفسه انه شاعر ملعون وكذلك كان . نشر مجموعة شعرية سنة 1939 . ترجم الشعر الفرنسي لراسين ورامبو وفاليري وهيقو وديشان وديقي .

حكاية كوسموقونية

حشرات الليل حول النور
النجوم حول النجوم
افكاري حواليك
أنا حول العدم
العدم حولي
أفكاري حول افكاري
انت حول افكاري
العدم حواليك
حشرات النور حول العدم
النجوم حولي

أنت حول أفكاري
النجوم حواليك
حشرات الليل حول النجوم
النور حول حشرات الليل
العدم حول النور
النجوم حول النجوم
حشرات الليل حول حشرات الليل
انت حول أنت
أنا حواليك
والحول حول الحول

«ولدت ببودابست سنة 1922 في اسرة مثقفة . اول مجموعة لي صدرت سنة 1946 والثانية 1958
اني اعتبر نفسي ممثلة للشعر الموضوعي »

عصفور

على كتفي عصفور .
كان على كتفي منذ ولادتي
عصفور كبير جدا ، ثقيل جدا ،
فما اخطو خطوة حتى يثير حيرتي

ثقيل ، ثقيل ، ثقيل ـ اني مجمَّدة ،
سأطارده ، لكن دون جدوى .
فهو مثل شجرة البلوط فيَّ متجذرة ،
قد غرس براثنه في جسمي .
اذني تصغي دوما
الى قلبه المفزع الذي يدق .

لو قدر له ان يطير يوما ...
لسوف أنهار ، بدونه .

شجرة البلوط الليلية

في احدى الليالي ، مار
سمع حسا ، فالتفت ،
شجرة بلوط كانت تجري وراءه .
وقف وترقب . كانت الشجرة تتقدم
على عروقها المقتلعة منذ زمن قريب .
كانت تتسلق طريق الاسفلت .
كانت تتفاحج على ساقيها الكبيرتين .
ما زالتا بالتراب ، كأنها افعى .
نشيط كملاك لا شكل له
رأسه العريض جدا يمس
الاغطية الصامتة للمغازات ،
فلما اقتربت من المار ،
استند الى عمود نور الشارع ،
ثم فرق شعر رأسه
فظهر وجه شجرة بلوط .

سووري شاندور

« ولدت سنة 1930 بزامولي . كان والداي فلاحين صغيرين . اني متأثر جدا بطفولتي حتى اني احس اني اليوم فلاح ومثقف .

نشرت ست مجموعات شعرية وستة كتب نثرية . وكتبت خمس سيناريوات »

غمغمة

المطر . الشعْر . سقوط الثلج .
العصفور الذي يغتسل في الثلج الذائب .
يدك . يديَّ . علامات جسمك .
مفتاح الموت . مزلاج لا يمكن دفعه .
الصمت . الغضب . الوحدة في الدنيا .
الفرصة الخالدة التي يغتنمها الانسان ضد نفسه .
الاسلحة المستفزة . الاشواك العفنة .
رماد الاشواك في نفسك وفي نفسي

في حركة بطيئة غير تامة

رويدا حتى لا ينكسر شيء ،
رويدا حتى لا يقوم شيء .
رويدا حتى يهترىء القلب واقفا .
الزحف بضباب كزحف دودة الارض الخضراء ،
كدودة العربات المجرورة ،
خلال الزمان المصهود ،

وهكذا تنزع الساق الى الفناء
وهكذا تيبس اليد .
رويدا ، كما لو يختفي العصفور في الانسان ،
وتختفي المدينة في المدائن ،
ويختفي جسمي في جسم الدنيا ،
في حركة بطيئة غير تامة ،
في بريق من المانيزيوم لا يبرق .

نيار جيارجي

« ولدت سنة 1929 ، أول قطعة شعرية لي عنوانها الموت . ترجمت الاشعار الاجنبية وخاصة الفرنسية من مارو الى آراغون أرأس حاليا ورشة مترجمين ، وهي فريدة من نوعها في العالم »

دوسا (❊)

تستطيعون أن تفكوا وثاقي الآن ،
فالرميم هو في نفسي .
أو تريدون ان اسقط ؟ مستحيل أن أسقط .
اني احترق واقفا ،
مثل الصواري على الحدود .

(❊) دوسا كان سيدا مجريا تزعم ثورة فلاحية في بداية القرن السادس عشر فلما انهزم ، احرق حيا على كرسي من نار . ووجب على انصاره المهزومين ان يأكلوا لحمه المشوي

اهتزازات ديسمبر

فضاء فارغ حولي
اني أختنق .
لأن البعض
يستنشقون الهواء أمامي
لكم يكون
أعقل
أن أظل وحيدا ، أكيدا !
أكيدا ، أكيدا ،
نحن نعيش في بلد صغير .
يعيش بعضنا فوق بعض .
لذا توجد اضطرابات كثيرة .
في البلدان الصغيرة ،
لا مكان للعزلة الواسعة .

أنا واع هذه الاشياء كافة .
أنا واع مسؤوليتي
أنا الموقع اصرح
ان الحياة يمكن ان يحياها الانسان رغم كل شيء

ولو كان وحيدا
ولو كان مختنقا
رغم كل شيء

« ولدت ببودابيست سنة 1953 في اسرة مثقفة . نشرت أول مجموعة شعرية لي سنة 1972 والمجموعة الثانية سنة 1974 . اقوم حاليا بدراسات في تاريخ الفن والجمالية .

« اعتبر الشعر وسيلة ثقافية يمكن ـ او ربما ـ التأثير بها في مسير الدنيا ، ولو كان ذلك بصفة غير مباشرة وتبعا لذلك ، فاني اكتب اشعارا في « مستوى فهم الجمهور » ...



وقائع

خجل من سعادتي
وسعيد بخجلي
وسعيد بسعادتي
وخجل من خجلي

يا ناس ، ضعوني في عصرنا
أو سنضع النار في عصرنا !

ولدت سنة 1945 . استاذة بالمعاهد الثانوية . نشرت اشعارها في نهاية الستينات بمختلف المجلات المجرية . وهي تشهد بثراء خيالي كبير



تصور

منذ أن كبرت
تعودت أن انظر الى الشمس ،
ألا أخاف من الخوف ،
أن امنح نفسي دون حد لكافة الحدود
برخصة قوة كبرى من جسمنا

اتجّاه
احيانا تقف يدي فوق قلبي :
اذن هذا هو وطني

شعر
بشوكة وردة واحدة
احاول أن افتح الباب المغلق

طريق الجيوش (1)
لا دماء ، لا نار ، لا ثورة
انما فقط الاثنين ، الثلاثاء ، الاربعاء ، الخميس ، الجمعة .

1) طريق الجيوش هواسم المجرة السماوية في الخرافات المجرية القديمة .

المكتبات العامّة بالبلاد التونسيّة

لمحة تاريخيّة

دراسة : الجيلاني بن الحاج يحيى

ظهرت المكتبات العامة بتونس في مختلف العصور . وأقدم ما تأسس منها كان في عهد الدولة الأغلبية . وقد امتازت جميعها على توالي العصور بظاهرتين احتفظت بهما يختصان بالمقر والمحتوى :

أما من حيث المقر ، فإن جميع ما انبثق من المكتبات العامة في كامل البلاد التونسية كان مقرها المساجد أو الزوايا أو حتى الكتاتيب ، لما تتسم به من كونها مظان للمطالعة . وهي ظاهرة ربما استغربناها اليوم ولكنها كانت طبيعية جدا إذ أن قيام المكتبات في تلك الأماكن هو عين ما يقع في العصر الحاضر من تاسيسها داخل المدارس ومعاهد التعليم .

وأما من حيث المحتوى فبالرغم من أنه ملفت هو أيضا لانتباه الفاحص اليوم لما احتواه من أسفار تكاد تنحصر جميعها في علوم الدين وما يمتّ لها ولو بسبب بعيد ، فإنه يحكي صورة واقعية لما كان يؤديه مفهوم الثقافة عند الأمة في تلك العصور الخوالي .

وعلى كل ، ومهما كان النطاق العرفاني ضيّقا ، فان تعدد المكتبات في العاصمة وانتشارها في المدن وحتى في بعض القرى يدل على العناية التي كانت توليها الأمة لتعميم الثقافة بالمعنى الذي يؤديه التعميم في ذلك الحين وتسهيل أسبابها لكل راغب بما يوقفه العلماء والأخيار من الكتب ، وتلك هي الوسيلة الوحيدة التي كانت متوخاة لانشاء المكتبات .

■ المكتبات العتيقة

ما اندثر منها .

قبل أن نتعرض للمكتبات العامة العتيقة التي لا تزال قائمة الذات اليوم بذكرها واحدة واحدة نرى لزاما لشمول البحث التعرض بكلمة موجزة لبعض ما اندثر منها هيكلا أو محتوى .

فأول ما أنشيء بالعاصمة التونسية من هذه المكتبات المندثرة كان في سنة 797 هـ على يد الأمير أبي فارس الحفصي حيث بنى بيتا بمجنبة الهلال بجامع الزيتونة وأودع به خزانة من الكتب ،

وبعده فعل فعله السلطان أبو عمرو عثمان بن محمد بن أبي فارس الذي أنشأ هو أيضا خزانة وضعها بالمقصورة الشرقية من جامع الزيتونة ولما بَنى أبو زكرياء يحيى بن ابراهيم « مدرسة النّخلة » أوقف عليها خزانة كتب . وأنشأ حسين بن علي تركي خزانة كتب أوقفها على المحكمة الشرعية بتونس . وبعده أقام علي باشا مكتبات كثيرة بمدارس العاصمة وبعض الجهات،منها واحدة جعلها بمسجد بيت الباشا بباردو ، وحوت من جليل الكتب ونادرها الكثير ، ثم اقتدى بالملوك الوزراء فأنشأ يوسف صاحب الطابع بجامعه الذي أسسه بالحلفاوين خزانة ضمت أنفس الكتب .

كل هذه المكتبات وكثير غيرها هي اليوم أثر بعد عين . والتي لم تندرس معالمها ذهبت محتوياتها .

■ المكتبة العتيقة بالقيروان :

ليس فيما عرف من المكتبات أقدم من مكتبة جامع عقبة بالقيروان التي يطلق عليها اليوم اسم « المكتبة الأثرية » . وهي مجموع مقصورتين عتيقتين بجامع عقبة هما :

أ) ـ المقصورة الأغلبية التي هي من بناء الجامع .

ب) ـ مقصورة المعز التي تتكون من ثلاثة جوانب من خشب الساج المزخرف

ومن التكهن أن نضبط توقيتا ندعي أن بدأه كان بدء التكوين لمكتبة الجامع وكل ما أُثِرَ في الموضوع أن العبدريّ حكى أنه لما دخل بيت الكتب بجامع القيروان وجد منها ما هو محبس من عهد سحنون ، وسحنون تألق نجمه بالقيروان بين سنة 200 هـ وسنة 240 هـ والثابت اليوم أن أقصى ما ينتهي إليه قدم المحبّسات بالمكتبة الأثرية بالقيروان هو سنة 295 هـ . إذ وجد التنصيص على هذا التاريخ بخط امرأة تسمى « فضلا » مولاة أبي أيوب محمد بن محمد كتبتهُ على أجزاء مصحف .

■ المكتبة العبدلية :



● جانب من خزائن المخطوطات بالمكتبة العبدلية

هي أولى المكتبات العتيقة بالعاصمة ، وثاني مكتبة لم يعف الزمن على أثرها تماما ، لأنها وإن نالتها الغير بما يوشك أن يكون تعفية فقد بقيت كالمحتضرة إلى أن رجعت فيها الحياة بخلقها خلقا جديدا وتسميتها بـ (المكتبة الصادقية) كما سيأتي .

أسسها الأمير الحفصي أبو عبد الله محمد بن الحسين بن مسعود بن عثمان في مستهل القرن العاشر . واختار لها الرواق الشرقي من رحاب جامع الزيتونة ، وخصص لها قيمين يسهرون على رعايتها ، وضبط أوقات المطالعة بها فيما بين الظهرين ، وجعل أمرها لامام الجامع الأعظم وهو ابن عصفور في ذلك التاريخ .

وأصيبت هذه المكتبة إبَّان الاحتلال الاسباني بتونس سنة 980 هـ فمزقت كتبها كل ممزّق ، وداستها سنابك الخيل المرابطة بصحن جامع الزيتونة حتى لم يبق منها إلاَّ نزر يعد عدًّا .

المكتبة الأحمدية :

هي باكورة من بواكير اللفتة التي التفتها أحمد باي الأول نحو آفاق المعرفة . إثر تأسيسه دراسة العلم بجامع الزيتونة سنة 1256 هـ حيث خصص عشرين خزانة وضعت يمين المحراب وشماله ، وملأها مما تبقى من كتب خزنة بيت الباشا بباردو التي أشرنا إليها آنفا ، ومن مشترياته لكتب الوزير حسين خوجة ، وما بيع من كتب ابراهيم الرياحي بعد وفاته وجعل نظرها لشيخ الاسلام مبيحا له إعارة الكتب لأمد معين . ثم ألحق بها محمد الصادق باي خزانة كتب الوزير مصطفى خزنة دار التي صالح عليها مقابل ما بذمته من الديون للدولة ، وإلى ذلك ما يضاف ما أوقفه بعض الوزراء والأعيان على تعاقب الزمن .

تلك هي المكتبة الأحمدية ، ومجرد الاشارة للخزائن التي كونتها وعلى ملك من كانت ، يعبر القيمة التي تمثلها محتوياتها لا بالنظر للأثر في حد ذاته فقط بل نعني القيمة التاريخية .

المكتبة الصادقية

أسسها الوزير خيرالدين على عهد المشير محمد الصادق باي في نفس المكان الذي كانت به المكتبة العبدلية واستصدر بشأنها أمرا تنظيميا في 12 ربيع الثاني 1292 هـ سماها فيه (المكتبة الصادقية) فالمكان هو مكان المكتبة العبدلية التي ذهبت محتوياتها منذ الاحتلال الاسباني فعادت بِكَرِّ الأيام مستودعا للحصير ومواد الوقود المسجدية .

والمحتوى جديد لا في أعيانه وإنما في انتسابه ، وذلك ما يفسر دوران اسمها على الألسن آنا بآن . فحينا يعرفونها بالعبدلية وآخر بالصادقية .

أما رصيدها فقد تكون من جملة ما وقع جمعه من الكتب والمخطوطات التي كانت مبعثرة بمدارس ومصليات البلاد التونسية ، وضم إليها خيرالدين مكتبته الخاصة ، ثم خصص لها علي باي الثالث جانبا من مكتبته تم تحبيسه على يد أبنه محمد الهادي باي الذي تبرع هو بدوره بكامل مكتبته بعد ان شطرها شطرين وهب ثانيهما لمكتبة جامع عقبة بالقيروان .

وقد وضع خيرالدين لمكتبة الصادقية قانونا للمطالعة على عين المكان وجعل الاعارة ممنوعة نسجا على منوال دور الكتب العمومية بأروبا (1) .

وأما الضبط وتدوين البرنامج فقد شرع فيه سنة 1323 هـ حيث توجهت أنظار الحكومة لتحسين وضعها فكلفت لجنة تتركب من ثمانية أعضاء من العلماء يرأسها القاضي الحنفي قصد تهيئة برنامج مفصل شامل لمحتوياتها تم تدوينه في ستة أجزاء ، لم يطبع منها إلا أربعة خلال أربع سنوات من 1326 إلى 1329 بالمطبعة الرسمية بتونس وجملة الكتب المفهرسة بهذه الأجزاء الأربعة، 2914 كتابا .

والملاحظ بشأن هذا البرنامج أن به أغلاطا لم يقع التنصيص عليها لا في النهاية بالنسبة للجزء الذي جاءت به ، ولا في الجزء الذي يليه ولسنا ندري هل مصدرها الأصل أم المطبعة .

على أنه أعيد في سنة 1957 تشكيل لجنة أخرى برئاسة عميد الكلية الزيتونية إذ ذاك قصد تدوين برنامج جديد لهذه المكتبة فواصلت اللجنة عملها طيلة 3 سنوات إلا أن سيرها كان فيه شيء من البطء ، حيث كانت تجتمع مرة واحدة في الأسبوع إلى أن انحلّت من ذاتها قبل ان تتم عملها بسبب إحالة رئيسها على المعاش سنة 1960 .

وفي سنة 1961 لما تقررت إعادة واجهة الجامع الأعظم المشرفة على سوق الفواكه لما كانت عليه قبل تأسيس المكتبة العبدلية هناك ، وذلك بجعل الصحن المعروف (بصحن الجنائز) ممتدا على طول تلك الواجهة ، كانت المكتبة الصادقية تحتل ركنا من هذا الصحن يزيد على ثلثه ، تعين

نقلها من هناك ليتسنى إدخال التغيير المقرر ، وهكذا تمت عملية فرز لرصيدها (2) قسم إلى قسمين :

1) المخطوطات ـ وقد أودعت ببناية الجامعة التونسية لتكون منها نواة مكتبتها الجامعية .

2) الكتب المطبوعة ـ وضعت بالمحل الذي كانت تشغله الكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين التي هي إحدى كليات الجامعة التونسية (جمعية الأوقاف سابقا) . أما في الوقت الحاضر فقد جمعت كافة الكتب المخطوطة وأودعت بدار الكتب الوطنية التونسية . (3) .

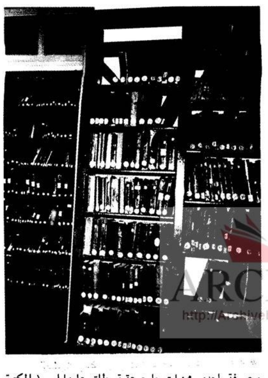
ظل ضبط الكتب منذ إنشاء هذين المكتبتين مقصورا على دفاترها التي سجلت بها إلى أن طبع فهرس للصادقية سنة 1292 هـ وفهرس للأحمدية سنة 1301 هـ وهذان الفهرسان ليسا في الواقع إلا جردا لأسماء الكتب ومؤلفيها علاوة عما فيهما من أغلاط فادحة حيث التزم فيهما نقل الأسماء على ما هي عليه بالتحريف الذي وقع فيه ناسخو المخطوطات .

وفي سنة 1900 م أخرج الكاتب العام للحكومة التونسية أنذاك المسيو (روا) بمشاركة السيد محمد بن الخوجة ومحمد الحشايشي فهرسا للمكتبتين منفصلتين عن بعضهما وفي سفر واحد باللغة الفرنسية يعد 85 صفحة سماه :

(نبذة من فهرس مخطوطات مكتبة الجامع الأعظم بتونس) وجعله مقصورا على التاريخ .

ثم كان في سنة 1905 م تأسيس اللجنة التي دوّنت الفهرس الخاص بالمكتبة الصادقية وأصدرت منه أربعة أجزاء كما سلف .

هنالك غير المكتبة العتيقة التي كانت تضمها المقصورة الأغلبية ومقصورة المعز بالقيروان مكتبة أخرى تحتويها خزائن



مرصوفة باحدى مجنبات جامع عقبة يطلق عليها اسم (المكتبة الجديدة) وهي إحدى المكتبات القيمة بالجمهورية التونسية بما حوته من مجموعات الكتب المطبوعة وخصوصا ما أصدرته الطباعة التونسية مما أضحى اليوم نادرا .

وقد تجمعت أسفار هذه المكتبة مما أوقفه بعض البايات على جامع عقبة وخصوصا محمد الهادي باي ومما تفضل به بعض أفاضل القيروان .

ولا يفوتنا هنا إحقاقا للحق ، وتخليدًا لذكر ذوي المبرات ، أن نذكر بالاشارة العابرة الأيادي البيضاء التي أسداها المرحوم الشيخ محمد الجودي مفتي القيروان لهذه المكتبة فإنه علاوة عن عنايته بها وحرصه على حفظ محتوياتها طوال السنين . لم يتردد في وقف معظم ما يملكه من كتب عليها وهي وإن كانت كتبا

مطبوعة إلا أنها كما أسلفنا ذات قيمة وبعضها صار في حكم النادر وخصوصا المطبوعات التونسية القديمة .

أما رصيد هذه المكتبات فهو كما يلي :

1) المكتبة العتيقة بالقيروان : 2795 قطعة معظمها بالخط الكوفي على الرق ولها صور بالميكرو فيلم رسمها بأرقام مسلسلة المرحوم محمد البهلي النيال (4) باشراف المرحوم العلامة حسن حسني عبد الوهاب .

2) المكتبة العبدلية 6000 مخطوط

3) المكتبة الأحمدية 7000 مخطوط .

4) المكتبة الجديدة بجامع عقبة : 1200 كتاب تقريبا .

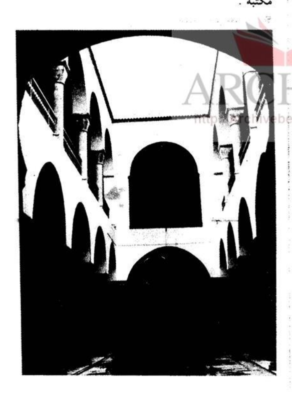
إلى هذا الحد نكون انتهينا من عرض المكتبات العتيقة القائمة الأعيان وأشرفنا على آخرة العهد الذي سيعقبه انتصاب الحماية بما فيه من انحلال وركود وفوضى أتت جميعها على الهمم حتى تخاذلت العزائم .

جاء الاحتلال سنة 1881 م وطبيعي أن ينشغل عن عوالم المعرفة كل الناس في سنوات الحدث الأولى ، لأن هم المستعمر وكل جهوده منصبة في تركيز الذات واستكمال وسائل التمكن ، وهكذا مرت أربع سنوات لم تلتفت أثناءها السلطة الحامية ولو لفتة تعرف إلى عالم المكتبات وأجوائه وما انطوى عليه ، حتى كانت سنة 1884 م حيث أهدت الحكومة الفرنسية لمحميتها مجموعة عظيمة من الكتب التي تبحث تاريخ تونس والأقطار الافريقية وقررت تأسيس مكتبة عمومية عرفت من بعد (بمكتبة العطارين) .

■ المكتبة العمومية [illegible]

صدر المرسوم الذي جاء بإحداث هذه المكتبة في عهد المشير علي باي بتاريخ 8 مارس 1885 م ونشر بالعدد 22 من الرائد التونسي المؤرخ في 28 جمادى الأولى عام 1302 هـ منصوصا فيه على : (تأسيس مكتبة فرنسية لتيسير المعرفة للأجانب وطلاب التعليم العالي من الرعايا التونسيين) وقد جاء بسفر التراتيب الادارية التونسية (لـديروكل) تعريفها بما يلي : (مكتبة العطارين تأسست في عام 1884 م تحت اسم المكتبة الفرنسية إلى سنة 1891 م حيث صارت تعرف بمكتبة مبعوث التعليم العمومي وبعد عام 1892 م ألحقت بإدارة التعليم العمومي بتونس) .

وكان مركزها أول الأمر محلا بنهج زرقون ، ثم نقلت في سنة 1910 إلى مقرها الحالي في قلب المدينة العربية العتيقة على خطوة من جامع الزيتونة،كان هذا البناء ثكنة جنود في أول أمره أخذ جزء منه فصير سجنا مدنيا وانتهى أمره إلى أن صار مكتبة .



وبعد مضي خمسة أعوام على تأسيسها ازداد عدد رصيدها فبلغ 3000 كتاب كلها فرنسية . ومن سنة 1890 إلى سنة 1910 خصصت لها الحكومة ميزانية تصرف لتزويدها بالكتب ، كما أن كثيرا من دور النشر والمؤلفين وأصحاب المطابع بفرنسا وتونس كانوا يقدمون إليها هدايا الكتب التي يتولون طبعها أو نشرها .

وقد تناوب عليها منذ انتقالها إلى الثكنة وطيلة فترة الحماية مديرون فرنسيون ، أولهم المسيو (لويس باربو) الذي كان يحسن لغات عدة ساعدته على اقتناء عدد ذي بال من كتب تلك اللغات وكانت له اتصالات وثيقة جدا بأصحاب دور النشر والمطابع فكان ذلك من أهم العوامل في تنمية عدد كتب المكتبة العمومية في سنواتها الأولى . ولكن هذه التنمية كادت تكون مقصورة على الكتب الفرنسية وبعض اللغات الأوروبية الأخرى إذ بينما بلغ عدد هذه المئات من الآلاف ، كان عدد الكتب العربية لا يتجاوز بعض المئات بحيث يبدو للنظرة المقارنة فقيرا محتشما وهكذا ظل الأمر حتى مستهل العقد الخامس من القرن .

وبعد وفاة المسيو (باربو) واسناد هذه الخطة للمسيو (روسي) طرأ بعض التغيير على السياسة السابقة للحكومة ، فأولت القسم العربي من المكتبة بعض العناية ، وسمت له سنة 1944 حافظا من الموظفين التونسيين أحيل على المكتبة من طرف المدرسة العليا للغة والآداب العربية (5) التي كانت تشغل جانبا من الثكنة جوار المكتبة ، وأعطى السيد (روسي) هذا الحافظ شيئا من النفوذ ولم يكن بالمكتبة إلى سنة 1944 قسم للدوريات العربية بما فيه من صحف ومجلات خلا ما كان يصل إليها عن طريق (الايداع القانوني) بموجب إحالة من إدارة الأمن العام . على أنه لا يعرض على المطالعين داخل المكتبة ولا يعار خارجها باي صورة من الصور . ولقد وقع تلافي هذا النقص فيما بعد ، فجمعت الدوريات الجديدة والقديمة وتهيأ للمكتبة العمومية تكوين قسم للمخطوطات صار ثريا بما اشتمل عليه من نفيس .



● قاعة التوزيع بالمكتبة المركزية بنهج زرقون

وإثر الحرب العالمية الثانية سنة 1944 أضيفت لهذه المكتبة الكتب التي كانت بالمعاهد الايطالية الموجودة بتونس .

وقد تضخم رصيدها اليوم خصوصا منذ استقلال البلاد ، فبلغ نحوا من 300 ألف كتاب عربي تقريبا . و 500 ألف في مختلف اللغات الأعجمية (6) ومعظمها باللغة الفرنسية .

■ المكتبة الخلدونية

تأسست بعد المكتبة العمومية بسوق العطارين مكتبة أخرى ذات أثر وفاعلية بعيدي المدى هي (المكتبة الشعبية) ولكنا متجاوزوها الآن تاركين الحديث عنها الذي كان من حقه أن يقدم تبعا للترتيب التاريخي إلى ما بعد الكلام عن المكتبة الخلدونية ومكتبة قدماء الصادقية ، وذلك لامتداد أثر المكتبة الشعبية في حركة النهوض الراهنة ، وتأسيس المكتبات في كامل تراب الجمهورية .

تأسست المكتبة الخلدونية في عام 1901 بعد خمس سنوات من تأسيس « الجمعية الخلدونية » وبسعي منها ، وكانت تشغل الغرفة الأولى على شمال الداخل إلى المدرسة ولا تضم بادىء الأمر إلاّ كتبا مدرسية في الرياضيات والتاريخ والجغرافيا مما يحتاجه تلامذة المدرسة لتوسيع آفاقهم في تلك العلوم ، فهي في

أول تكوينها لم تكن في الحقيقة إلا مكتبة مدرسية ، إلا أن نخبة من أعضاء مجلس الجمعية ساعدوا مساعدة فعالة على تطويرها نخص بالذكر منهم المنعمين البشير صفر وخليل بوحاجب وعلي بن أحمد حيث أمدها كل واحد منهم بكمية ذات أهمية من الكتب العربية والفرنسية على وجه الهدية ، ثم تواصلت تنميتها بمختلف الوسائل إلى أن بلغت شأنها الذي أصبحت عليه فيا بعد . وإثر حوادث الزلاج وما عقبها من محاكمات وإبعاد احتضنت المكتبة الخلدونية مكتبة جمعية قدماء المدرسة الصادقية لكنهما استغرقتا في نوم عميق طيلة فترة الحرب العالمية الأولى مثل سائر المشاريع الاجتماعية آنذاك وفي سنة 1927 انفصلت المكتبتان عن بعضهما فرجعت مكتبة قدماء الصادقية لمقرها وانتقلت مكتبة الخلدونية لمقرها الحالي الذي تشغله اليوم .

ولما أسندت رئاسة الجمعية الخلدونية إلى المرحوم عبد الرحمان الكعاك سنة 1930 عمل على تنمية رصيد المكتبة بما خصصه لها سنويا من اعتاد مالي في ميزانية الجمعية .

ومعظم مجموعات الجرائد التي بخزينة الخلدونية مهداة لها سنة 1935 من المرحوم زين العابدين السنوسي صاحب مطبعة العرب ، خلا مجموعة (الجريدة الآسيوية) التي أهديت لها من طرف المرحوم خليل بوحاجب عضو مجلسها إذ ذاك .

وتمتاز المكتبة الخلدونية بأنها مكتبة لغة وآداب وعلوم ، فليس بها من كتب الفقه والكتب العقائدية إلاّ النزر اليسير .

ومنذ خمسة عشر سنة تقريبا تعطل نشاط المكتبة تماما للعجز المالي الذي أصاب الجمعية الخلدونية فعفى عن كل عمل كانت تقوم به ، وفي مستهل سنة 1963 احتضنت كتابة الدولة للشؤون الثقافية المكتبة الخلدونية فاستانفت نشاطها كمكتبة عامة .



● خزائن الكتب بالمكتبة الصادقية الموجودة داخل جامع الزيتونة

مكتبة قدماء الصادقية

أنشئت مكتبة قدماء المدرسة الصادقية سنة 1905 م وتكون رصيدها بادىء الأمر من هدايا الكتب والمخطوطات التي تبرع بها ذو الفضل وعلى رأسهم المرحوم مصطفى بن محمد بيرم الخامس الذي زار تونس في تلك الفترة وكان آنذاك طالبا في الحقوق بباريس ، فلما رجع الى القاهرة انتقى من خزانة والده كتبا نفيسة بعضها مخطوط وبعث بها مشترطا في صورة ما اذا انحلت جمعية قدماء الصادقية أن ترجع الهدية الى المكتبة الصادقية (العبدلية) بجامع الزيتونة .

ومن سنة 1911 أودعت مكتبة قدماء الصادقية بالمكتبة الخلدونية وظلت هناك الى سنة 1927 حيث رجعت لمقرها واستانفت نشاطها .

المكتبة الشعبية

أشرنا في مستهل الكلام عن الخلدونية الى (المكتبة الشعبية) التي تأسست سنة 1888 م إلى تأخير الحديث عنها وعدم التزام الترتيب التاريخي للتأسيس بالنسبة لها خاصة لما كان لها من أثر وفاعلية بعيدي المدى وما تفرع عنها من مكتبات في كامل تراب الجمهورية .

والآن نتناول الحديث عن هذه المكتبة بذكر كلمة عن نشأتها الأولى لنخلص بعد ذلك لمتفرعاتها .

تأسست المكتبة الشعبية وبقيت تحت إشراف « جمعية الرابطة الفرنسية » من سنة 1888 إلى سنة 1930 واتخذت مقرا لها من البدء وطول تلك الفترة بنهج الجزيرة إلا أنها كانت تخدم الطبقة الشعبية من التونسيين والأجانب فحسب ، ضرورة ان رصيدها لا يشتمل إلاّ على كتب فرنسية ، والطبقة الشعبية من التونسيين التي تحسن القراءة في غير العربية .

وفي سنة 1930 نقل مقر هذه المكتبة إلى نهج زرقون حيث شغلت جانبا من البناية التي صارت بعد ذلك مقرا للمعهد الوطني للموسيقى وانتقل مرجع نظرها بانتقالها لنهج زرقون إلى إدارة العلوم والمعارف . إلا أن نشاطها كان مشلولا لا يكاد يذكر أو يلاحظ البتة حتى أن أبوابها لا تفتح لمشتركيها لاستعارة الكتب إلاّ عشية الخميس وصبيحة الأحد من كل أسبوع أما القراءة على عين المكان فلم يفسح لها مجال إطلاقا بحيث لا يمكن اعتبارها في الواقع إلا مستودع كتب .

■ مراكز القراءة

تأسست إلى جانب هذه المكتبة مراكز للقراءة في كثير من المدارس الابتدائية يمكن اعتبارها في شيء من التسامح مكتبات عامة تعير الكتب لعموم المشتركين في أيام معلومة من الأسبوع وهي أول امتداد تفرع عن المكتبة الشعبية وتزايد مع الأيام حتى بلغ سنة 1961 نيفا ومائة مركز أعيد النظر في وضعيتها على أساس ما تؤديه من نفع وما يعتزم إنشاؤه من مكتبات عامة تعوضها فتقرر في صائفة تلك السنة 1961 حذف ما يقارب السبعين بحيث لم يبق منها في مستهل أكتوبر من نفس العام إلا ما لا يزيد عن 45 مركزا لم تعمر هي بدورها بعد أخواتها إلا عاما واحدا . ذلك أنه بانتقال مرجع النظر فيما يخص المكتبات من كتابة الدولة للتربية القومية إلى كتابة الدولة للشؤون الثقافية والأخبار مستهل عام 1962 ، ولما تقرر من تعميم المكتبات بكامل تراب الجمهورية، رأت كتابة الدولة للشؤون الثقافية والأخبار أنذاك الاستغناء عن الخمسة وأربعين مركزا المتبقية وهكذا تم استرجاع رصيد الكتب الذي تضمه تلك المراكز في صائفة 1963 وأسدل الستار نهائيا على هذا النوع المسمى (بمراكز القراءة)●

الجيلاني بن الحاج يحي

هوامش

(1) خص خير الدين المكتبة الصادقية بالذكر في مذكراته بالفرنسية التي نشرتها المجلة التونسية Revue Tunisienne عام 1934 بصفحة 198 تحت عنوان : Mémoire de ma vie privée et politique

ونقلتها مجلة العالم الأدبي تباعا في اعدادها س9 إلى 16 سنة 1936 .

(2) كانت اللجنة التي أشرفت على هذا التنظيم الجديد تتركب من السادة : الجيلاني بن الحاج يحي كاتب هذه السطور والأستاذ عبد الحفيظ بن منصور .

(3) بمقتضى الأمر عدد 296 لسنة 1967 المؤرخ في 7 سبتمبر 1967 والذي ينص فصله الأول على : « ان كافة المخطوطات الموجودة في الزوايا والمساجد ومختلف مكتبات الدولة التونسية يقع جمعها في دار الكتب الوطنية التونسية التي تتولى المحافظة عليها . »

(4) انظر : المكتبة الأثرية بالقيروان ، عرض ـ دليل بقلم محمد البهلي النيال ، منشورات دار الثقافة ، تونس ، 1963 .

(5) هو المرحوم الأستاذ عثمان الكعاك .

(6) بحساب الأجزاء لا العناوين

في التراث الشعري*

شعراء الرفض في العصر الأموي وانتماءاتهم الطبقية والجغرافية

دراسة : علي دب

من نهاية حكم عثمان بدأت بوادر الثورة تتمخض وتتصاعد في اشكال فردية (ما عرف بالصعلكة السياسية) ومن تجمعات الفرق الدينية وفصائل عرب الصحراء المحتجين .

وعادت المصاعب الاقتصادية والاجتماعية عنيفة ، بعد ان جمدت طويلا اثر الاندفاع الديني المتوقد والتلهي بالفتوحات والفيء والمغانم ، ولم يكن الشعر في أي وقت من أوقاته بعيدا عن مشاغل الناس وهمومهم وان تعددت فرص الاغراء وشراء الأصوات ببعض المكاسب الرخيصة . ويسجل لنا هذا العصر تصاعدا شعريا في حركة الأحزاب والصعلكة السياسية والفتوة والرفض الفردي خاصة بعد فشل النظام الاقتصادي الشمولي واقصاء الأغلبية القومية فنجد شعراء اختلفوا مع الولاة وشعراء رفضوا مبدأ التولية وآخرين ارهقتهم الضائقة الاقتصادية وسياسة التفقير فاختاروا العودة إلى

---

* فصل من كتاب عن التراث العربي : الوجه الآخر للتراث العربي ما زال « خطأ »

السيف ونظام الغارات ولكن كان لهم هدف ومطالب ورؤية مشتركة تكونت من الثورة الانقلابية في الاسلام وسياسة الخلفاء أبي بكر وعمر وعليّ .

ألف عبيد الله بن الحُرّ الجُعْفِي جيشا من خلعاء القبائل وشياطين الصعاليك من الذين عاضدوه وانقادوا له (1) وكان لا يغير بفرسانه الا على بيوت المال ويوزعها بينهم بالتساوي ولا ينسى فقراء المسلمين ويصرح بأنها حق جماعي لا تمييز فيه .

إذا ما غنمنا مغنما كان شركة
ولم نتبع رأي الشحيح المتارك

ويمازح أحد أصدقائه المقاتلين الذي يكون قائدا في جيش ابن الحُرّ :

لو أن لي مثل جرير أربعه
صبَّحتُ بيت المال حتى اجمعه (2)

ومن مشاغل هؤلاء المطاردين مشكلة الغنى والفقر والتمايز الطبقي المدعم بالسلطة والتوزيع الجائر لثروات البلاد فكانت الثورة على الدولة وقلب نظام الحكم من أهم مطالبهم كما شغلتهم العصبية القبلية .

والتحالف المشبوه بين القبيلة والسلطة التي تسلم افرادها بأمر الوالي وتتبرأ منهم وتخلعهم لمجرد رغبة الأمير وهناك نمط تواتر في كتب التراث مفاده « أهدر السلطان دمه وخلعه قومه » (3) وكأن القبيلة تحولت إلى شرطي يحرس أمن الحاكم عند هذا الحد وقف الشاعر الفرد في مواجهة الحكم الاستبدادي يقول عبيد بن أيوب العنبري : أحد ضحايا القمع :

ولو كنت لا أخشى سوى فرد معشر
لقر فؤادي واطمأنت بلابله
وسرت بأوطاني وطرت كأنني
كصاحب ثقل حُطَّ عنه مغارمه

والمشكلة أن هؤلاء الشعراء كما فرضت الرقابة والتتبعات عليهم حوصرت أشعارهم واعدم المدونون الكثير منها بعد أن تواطأوا مع الحكم المباشر وقد التزموا له بترويج الأسماء اللامعة في خدمة الدولة من الرسميين الذين فازوا بالأولوية والتكريم وأغلبهم مدين بشهرته لصاحب السلطة بل وكثيرا ما كان مردوده الشعري لا يوازي تلك الشهرة التي منحت له ضمن الهبات الملكية الأخرى .

من هذه الرؤية الرسمية صودرت أشعار الرفض السياسية خشية مفعولها التصاعدي المهدد لكل الحكومات المتعاقبة ورُوّجت في المقابل المدائح والأهاجي واشعار الترفيه والزينة .

و يعد ضابىء البُرْجُمي(4) أول شاعر واجه التحدي وحاول اغتيال عثمان وعندما اكتشف أمْره أظهر الأسف لأنه لم يفلح في المحاولة .

هممت ولم أفعل وكدت وليتني
تركت على عثمان تبكي حلائله

وبقي في سجنه معذبا حتى تقيح جلده ومات (5) .

واختلفت حدة المواجهة بين هؤلاء الشعراء من الرفض الايجابي بالتصدي القاتل عند ابن الحُر الجعفي ـ والنُّعمان بن بشير وابن الفرع الحميري إلى الرفض السلبي باللجوء إلى الصحاري واختيار التصعلك السياسي ، ويمكن تجميع العوامل المشتركة للجانبين :

1) كلاهما افراز لازمة الحكم وتمزق المجتمع الذي يبحث وسط النصوص الدينية من اكداس المخلفات والعصبية عن منقذ شريف وعادل .

2) انهم جميعا لا ينتمون إلى الأحزاب السياسية المحترفة في الامبراطورية الاسلامية أو حتى إلى الفرق التي كثيرا ما كانت واجهات لرؤية سياسية ترفع الفكر الديني وهذه التكتلات جميعها زادت في تغريبهم وانعدام السند المادي والأدبي في التعريف باحتجاجاتهم وحتى رواية اشعارهم فضاع منها الكثير وابتلعت الصحراء أسماء واشعارا لم تكن لتصب الا فيها أمام الوحشة والفراغ والتضييقات المخيفة .

3) كما ان التحلل من العصبية ومراسيم القبائل ضاعف من جدار الصمت في مجتمع ما زال يعتمد على القبلية والتعلق بالسلاسل الشرفية . وظاهرة التحلل العصبي احدى الظواهر الايجابية خاصة وانها استبدلت بالشريعة الاسلامية وبشيء من التفصيل نختصر بعض المواقف السياسية لأولئك الذين فضلوا المواجهة الحاسمة والموت الحتمي : منهم عبد الله بن الحجاج التعلبي الذي ثار على عبد الملك في دمشق عاصمة الخلافة ثم سمع

بثورة ابن الزبير فانضم اليها حتى قتل (6) والنعمان بن بشير الخزرجي يغضب لمقتل عثمان فينضم إلى اليمين القومي تحت الاستجابة السريعة وينخدع باللعبة الأموية فيتولى امارة الكوفة ثم حمص ويعود إليه الوعي عند انكشاف النوايا العشائرية وتورط الحكم في الهوامش والشكليات اذ يحرض الأخطل النصراني على الانصار فيغضب النعمان ويواجه معاوية بعد أن كان « يغض عن أمور كثيرة على حد تعبيره ـ يصانع فيها آل شمس » :

فلا تشتمنا يا ابن حرب فانما
ترقي إلى تلك الأمور العظائم
فما أنت والأمر الذي لست أهله
ولكن ولي الحق والأمر هاشم
إليهم يصير الأمر بعد شتاته
فمن لك بالأمر الذي هو لازم (7)

ويتراجع معاوية الدهاء ويستصفح غير ان اللعبة تتكشف أكثر في عهد عبد الملك فينضم الشاعر علنا إلى الزبيريين ويقتله بنو أمية في مركز ولايته حمص . وابن الحر الجعفي يكون أكثر اندفاعا ووضوحا إذ ينخدع بالدعوة الأموية ويتأثر لمقتل عثمان غير أنه يصرح أمام معاوية أن الحق الشرعي يدعم مركز علي (8) ويعتزل النزاع متفرغا إلى جيش من الصعاليك وعندما يطلب منه الحسين النصرة يعتذر ويصارحه ان ليس لك في الكوفة انصار ولا شيعة (9) ولا ينتصح الحسين فيقتل وعندها يأسف ابن الحر على التفريط فيه ويدخل في سياسة الصراعات مع الثقفي وضده مع ابن الزبير وضده ومع عبد الملك وضده ويكون طالب حكم كغيره من المنادين بالحكم ويدخل في مواجهة مع مصعب حتى الموت (10) .

وتسجل بداية الخلاف بين ابن المفرغ واميره عبد الله بن زياد حول مشكلة تمويل الجيش المحارب وكان الشاعر جنديا والأمير قائدا ويظهر أن المدد والعلف تناقصا وكان التقصير من الأمير صاحب اللحية الطويلة وقد صيرها الشاعر مادة سياسية مضحكة :

الا ليت اللحى كانت حشيشا
فترعاها خيول المسلمينا

وبدأت الحساسية تتسع والمواجع تكبر حتى وصلت إلى المواجهة الحادة بين الشاعر المندفع والأمير المتحجر (11)

■ مواطن الرفض

ينتمي شعراء الرفض والتصعلك إلى أكثر القبائل فقرا وبعدا عن مراكز التمتع بمغانم الاسلام المادية ، فهي التي نزلت أطراف الجزيرة وعاشت حياة نقية من العهد الجاهلي ، هذا اذا لم ترهق السلط كواهلهم بالضرائب والعشور والزكوات وصار الحاكم يأخذ ويمنع ونجد صوت الاحتجاج يرتفع عند ابن مفرغ .

أحقا على السلطان ان الذي له
يجاب واما عليه فيمنع

ومن بين الكثرة المنددة اشتهرت تميم ، وبكر وعكل .

فكانت تميم من أعرق القبائل واشرسها وأشدها بداوة ومنها جاءت مبادرات الخوارج المتكررة بل تكاد تكون الممول الأول لأغلب الثورات القومية بما فيها ثورة الخوارج ويروي الشهرستاني ان أول تميمي رافض ذلك الذي قال للرسول عند تقسيم غنائم حنين اعدل يا محمد فانك لم تعدل .. وهذه قسمة ما أريد بها وجه الله » وعدّ الشهرستاني هذا خروجا صريحا وأرخ به لبداية الخروج التاريخي . ثم روى حديثا نسبه للرسول بعد هذه المشادة قال فيه « سيخرج من ضئضىء (صلب) هذا الرجل قوم يمرقون من الدين (12)

وظاهرة التلفيق والرسمية تشم في الحديث الثاني وهو بالتالي يعكس الرواية السنية للتاريخ العربي « المفبرك »

ولم يكن التمرد الدائم والتفجر الثوري المبكر وليد الصدفة بقدر ما كان استجابة لظروف اجتماعية واقتصادية اثر التحولات التي أحدثها الاسلام وادخل بها تشويشا على رتابة المجتمع البدوي .

وليس من الصدفة أيضا أن يشدد القرآن هجومه على هؤلاء الأعراب كما شدد على شعرائهم « قالت الأعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم » . « الأعراب أشد كفرا ونفاقا » فالحملة كانت تعسفية ولم يراع فيها المعاناة الاجتماعية في حياة هؤلاء الفارقين في البداوة حتى النسيان .

ومن اخبارها أنها نزلت البصرة والكوفة لتحسين ظروف عيشها

وان جل أبنائها ساهموا في الجيوش الفاتحة كما اسهمت بدور بارز في الثورة على عثمان حيث خالف سياسة أبي بكر وعمر (13) كما خرجوا على علي اثر حوادث التحكيم واقتسام اليسار القومي فاتهموه بالتسلط والتخاذل وهو صاحب الحق بل وطالبوه بمواصلة القتال وكانوا اخلص جنده الواعين بخطورة الشق اليميني اثر انهيار الوسط القومي ، ولم تكن هذه القبيلة مصدر الثورات فقط بل ومنها غلاة اليسار المتطرف مثل قطري بن الفجاءة واتباعه الذين حاربوا أمية أكثر من عشر سنين (14)

وعرفت عند الأمويين بالقبيلة الخطيرة فضيقوا عليها وارهقوها بالضرائب التعسفية كما حرموها من العطاء (15) والمشاركة في الحروب والفتوحات وسرحوا أبناءها من الجندية فازدادت فقرا وبداوة مما جعل منها وقودا لاهبا لكل الثورات المتطرفة .

وفد حاجب بن ذبيان على عبد الملك فاشتكى اليه المجاعة التي عمت عرب الصحراء واشتدت على قومه خاصة :

بكـوا لعيالهم من جهد عام
خـريـق الـريـح منجرد الغيـوم
أصابـت وائـلا والحـي قيسـا
وحلت بركهـا ببنـي تميـم (16)

واضطرت التضييقات الاقتصادية قسما كبيرا من هاته القبيلة للهجرة ففي سنة 96 هـ كان مقاتلة تميم بخراسان أربعة وعشرين ألف (17)

ومن المؤكد انهم كانوا على امتداد التاريخ الأموي أكثر القبائل حضورا بخراسان وبما ان تنظيم العرب الاجتماعي والعسكري اقيم على قانون الاخماس بين القبائل الكبرى كانت تميم أكبر الأخماس عددا واشدها قوة . (17)

وانتقلت حمى النضال السياسي مع المهاجرين منهم فقد اتهموا الوالي الأموي بتحميلهم قدرا أكبر من الضرائب وقالوا في رسالة إلى الخليفة ان الوالي سلط عليهم الدهاقين الجباة (18) .

وفي أخبارهم انهم سعوا إلى تجميع القبائل المهاجرة في حلف عربي لاجبار الخليفة هشام على العمل بالكتاب والسنة والا توجهوا إلى خلعه بالقوة (19)

كما عرفت بكثرة شعرائها الصعاليك واللصوص الاسلاميين فمنها مالك بن الريبب - وعرقل السعدي - وأبو حردية المازني - ومسعود بن حرشه وعبيد ابن ايوب العنبري وأبو النشناش ... واخرهم الاحيمر السعدي في العصر الأموي كل هذا يدل على أن دوافع الصعلكة واللصوصية ما زالت قائمة ، ولعلها ازدادت تداخلا وحدة . (20)

إذا هناك ظلم اجتماعي وهناك حنين للماضي المجيد خاصة وأن الكثير من القبائل المحظوظة في العصر الأموي هي اما من أعداء تميم أو من اللواتي لا وزن لهن عندها .

وفي كتب التراث أنها كانت حكما بين القبائل المتخاصمة خاصة في المواسم الثقافية والتجارية كعكاظ وذي المجاز يقول التوحيدي بعد انتهاء الأسواق « من له أسير يسعى إلى افتدائه ومن له حكومة ارتفع إلى الذي يقوم بأمر الحكومة من بني تميم . وآخرهم الأقرع بن حابس (21) بعد هذا النضال من أجل التحرر وكسر الفقر تعود مرغمة إليه ولكنها تبقى في نظر أبنائها مفخرة حتى وان وقع تحجيمها وكانت في رأيهم مؤهلة قبل قريش لتولي القيادة العربية لولا مفاجاة الاسلام والحد من البناء القبلي يكفي أنهم أول من واجه الفرس في معركة ذي قار التي قال فيها الرسول انها أول حرب انتصف فيها العرب - وليس غريبا ان يقول الفرزدق :

فـان تغضـب قريش أو تغضـب
فـان الأرض ترعبها تميـم
هـم عدد النجـوم وكل حي
سـواهـم لا تعـد لـه تخـوم

ونفس هذا الاتجاه نراه عند مالك بن الريب إذ يعد ظهور النبيء من قريش المسالمة والمتحضرة مفاجأة ونشازا أربك التطلعات التميمية :

ولـو لا رسـول الله إذ كان منكم
تبيـن من بالنصـف يرضى ويقنـع (22)

وثمة شاعر آخر يكرس هذا الاتجاه في تميم وقد عودت أبناءها بحياة الشرف والبذل ، قال سَوَّار بن المضرب :

أيرجـو بنـو مروان سمعـي وطاعتي
وقـومـي تميم والفـلاة ورائيـا (23)

أما حاجب بن ذُبيان الذي هاجر مع قومه من بني تميم إلى خراسان فيثبت دورهم في توسيع الفتوحات :

ونحن بنو الفحل الذي سال بوله
بكل بلاد لا يبول بها فحل (24)

وإذا كانت تميم تفتخر بماضيها وتسعى إلى استرداده وسط الضغوط المادية والصراع الاجتماعي فإن قبيلة عُكْل بن أدٌ مثال الذم والتخاذل ومن هذا التناقض في الموقفين تولد الرفض ، وشكل أبناؤها البذرة الواعية للخط الثوري المناهض للتفرقة الاجتماعية والتصدع القومي .

يروي الدكتور نوري القيسي أطرافا من قصتها (25)
نزحت إلى بلاد نجد اثر انهزامها في الحرب مع تغلب بأطراف الصحراء وفي هجر عاصمة اليمامة بعيدا عن أضواء العمران والازدهار الاقتصادي وليس غريبا أن تخرج فيها مجموعة من الصعاليك والأصوات المحتجة منهم : السمهري العكلي وجحدر العكلي - والخطم المحرزي ، ولا بد أن مجموعة من المسببات الطبيعية والاجتماعية تكمن وراء هذا التصاعد الثوري .

1) قربها من طريق القوافل التجارية التي ترتسم الطريق الشمالي للامبراطورية الاسلامية فكان من أبناء القبيلة الحراس والادلاء واللصوص في نفس الوقت .

2) للعامل الاقتصادي المباشر دور نظرًا لقلة مواردها واعتصامها بالصحراء . وقطعا لم يشترك أبناؤها في المغازي .

3) للطموحات السياسية والاحساس بالحرمان وارهاقها بالضرائب دور في الوضع الاجتماعي الخاص لهذه القبيلة المقيدة على اطراف الصحراء يوم كانت لاماء فيها ولا بترول .

لكل هذه الأوضاع اشتهرت باللؤم والفقر والشؤم وربما التصقت بها هاته العيوب اثر انهزامها فصارت مثلا يضرب مما ضاعف من قطيعتها وتعميق اللامبالاة في ابنائها .

إذا انتسبوا ففرع من قريش
ولكن الفعال فعال عكل (26)

وبقدر اعتزاز أبناء تميم بقبيلتهم وان لم تفلح في حمايتهم ولا حماية نفسها بقدر هذا كان أبناء عكل ناقمين على التميع العصبي فيهم قال السمهري العكلي :

الا ليتني من غير عكل قبيلتي
ولم ادر ماشبان عكل وشيبها
قبيلَةُ لا يقرع الباب وفدها
بخير ولا يأتي السداد خطيبها (27)

وهكذا كان شعراء الرفض استجابة للواقع الاجتماعي ورؤى لقبائلهم المحرومة وشاعت تهمة اللصوصية والتصعلك بين شعرائهم والمظنون انها اطلاقات سياسية للتشنيع لأنهم يتماشون مع الخط المتصلب الذي رسمه أبو ذر الغفاري وجماعة الفقراء من اليسار القومي وهل هناك فرق بين قول أبي ذر « عجبت لمن لا يجد طعاما في بيته كيف لا يجرد سيفه في سبيل القوت » وبين قول السمهري العكلي :

وإني لاستحيي من الله أن أرى
اجرر حبلا ليس فيه بعير
وان أسأل النكس الدنيء بعيره
وبعران ربي في البلاد كثير (28)

ويعترف أبو النشناش التميمي بواقع الفقراء .

إذا المرء لم يسرح سواها ولم يرح
سواما ولم يبسط له الوجه صاحبه
فللموت خير للفتى من قعوده
عديما ومن مولى تعاف مشاربه (29)

ويكشف جُحْدر المحرزي عن أسباب الخروج في مواجهة مع الحجاج حين سأله عن دوافع الغضب والصعلكة فأجابه : جرأة الجنان وجفوة السلطان . وكلب الزمان وحين سأله عما قدم حتى يرضى عنه السلطان (30) يجيب « لو بلاني الأمير لوجدني من صالح الأعوان ولكن الأمير قدم له أسدا هائجا ليصارعه فان انتصر عليه أطلق سراحه وكانت هذه الهدية حلا اجتماعيا لفقر الشاعر . »

فصعوبة الحياة والممارسات الخاطئة للسياسة الأموية كانت الدوافع الأولى لشعراء الرفض وكانوا يرفعون السيف ويختارون

المسلك القاتل رغم انهم يحملون مواجع وأشواقا للأرض والأحباب يقول العنبري :

لو كنت لا أخشى الا جماعة لقر فؤادي
وسرت بأوطاني وبت كأنني
كصاحب ثقل حُط عنه مغارمه (31)

وتتزاحم الذكريات الجميلة في هجمة الأحداث والخوف المرعب فإذا بهم يغنون للحبيبة التي اختلطت بطعم الأرض والموت والتحدي (راجع المختارات الشعرية) وصارت قصائدهم ذاتية ومذكرات يومية لوقائعهم وتشردهم وخوفهم فهي أقرب الأشعار إلى الصدق والواقعية وتسجيل الأحاسيس التي تثور في ذهنية المطرود المعذب والمهدد بالسجن والموت في كل لحظة ويكون الشعر متنفسا صعبا في ظروف صعبة وتتوحد مسالك العواطف ، فالحبيبة أرض والأرض سجن ومنفى والمنفى أحب من التذلل والفقر .

شعراء في مواجهة الحجاج

اتجهت السياسة الأموية في مستهلها إلى ترويض الأصوات الشعرية النافرة بالهبات والهدايا والصفح عمن تجاوز حدود الجرأة .

وتزعم معاوية سياسة الشعرة والجمهور التي أعلن عنها في بداية حكمه فكان رجل الدهاء والتسامح وتفريغ التوترات الملحمية سأل مرة عبيد الله بن الحر عن رأيه في الامام علي فأجابه ان عليا لعلى حق وأنت أعلم بهذا وغضب عمرو بن العاص لهذه الجرأة ولم يغضب معاوية (32) كما واجهه النعمان ابن بشير في موقف آخر ندد فيه بالسياسة الأموية قائلا « ان ولي الحق والأمر هاشم » ولا نستغرب عندما نرى معاوية يترضيه ويتودد إليه غير أن شهر العسل مع الشعراء يمر بسرعة في السياسة الأموية وسرعان ما ينقلب خلفاء معاوية على شعرته المطاطة ويبدأ عصر مطاردة الشعراء الثوار بالمواجهة الصارمة والخنق والمحاسبة عن كل كلمة تحمل وجهين ففي خلافة يزيد يضطهد ابن المفرغ ويدان باذن الخليفة لأنه عارض امارة زياد وأبنائه كما رفض ـ وهذا من حقه ـ ان يعترف بانتساب زياد بن أبيه إلى آل سفيان وكانت صفقة بارعة من معاوية اعترف لزياد بالنسبة على أن ينضم إليه بأموال خزينة فارس وكان واليها من قبل علي . ورفض الشاعر كما رفض المجتمع البدوي كله أن ينفي تهمة الزنا على أم زياد وعلى أبي سفيان بن حرب .

ومثل الحجاج الحساسية المفرطة لشعر الرفض والغضب ولم تقتصر مطاردة الشعراء عن ولايته بل تعداها إلى بقية الولايات وحتى الدول المجاورة كما فعل مع العديل ابن المفرغ الذي فر إلى الروم واعتصم باللجوء السياسي وظن أنه نجا من العقاب .

ودون يد الحجاج من أن تنالني
بساط لأيدي الناعجات عريض (33)

وخاف الحجاج من انفتاح بدعة اللجوء السياسي أمام الكثير من المتشردين على أطراف الصحراء فكتب إلى قيصر الروم . لتبعثن به أو لأغزونك بجيش آخره عندي وأوله عندك (34) .

فماذا عسى الحجاج يبلغ جهده
إذا نحن جاوزنا حفير زياد
فباست أبي الحجاج واست عجوزه
عُتَيِّدُ بهم يرتعي بوهاد (39)

ويصطدم سَوّارُ بن المضرِّب بصلافة الحجاج فيختار حياة الصحراء ويندد بأمير السياسة العشوائية خاصة عندما طلب من الشاعر محاربة قومه من الازارقة وتكون الفلاة ملاذا لكل خائف .

إذا جاوزت أرض المجيزين ناقتي
فباست أبي الحجاج لما دعانيا
أيرجو بنو مروان سمعي وطاعتي
وقومي تميم والفلاة ورائيا (40)

وتتوالى قوافل الرفض أمام الحجاج بين العنف والمهادنة . قال صاحب العقد عندما أعيت السبل عبيد بن أيوب العنبري وكان الحجاج يطارده لجناية جناها فكتب إليه :

اذقتني طعم الأمن أوسل حقيقة
علي فان قامت فقطع بنانيا
خلعت فؤادي فاستطير فأصبحت
ترامى بي البيد الفساح تراميا (41)

ومن يترجى طعم الأمن أمام صرامة العهد الحجاجي الخانق « امر عماله على اليمامة بمطاردة جحدر المحرزي وعندما قبضوا عليه وقف أمام الحجاج مصفدا وسألة عن دواعي التمرد أجابه : جراة الجنان وجفوة السلطان وكلب الزمان (42) وكان يلخص الدواعي الاجتماعية للثورة والاحتجاج والتصعلك .

وكثيرا ما تعقب الحجاج اقرباء الشاعر واقتص منهم ويتحدى والبادرة الثورية التي سجلها ابن المفرغ انه لا يعمد إلى التقاليد القبلية بقدر ما يعمد إلى الاتجاه الاسلامي العام (45) .

وعرف جل أفراد القافلة الشعرية الغاضبة أصناف التعذيب والسجون ويعدد جحدر المحرزي أكثر من ثلاثة سجون طوف بينها كما ابتلي بغلظة السجانين وصلف الحكام وفي شعره من السجون دوار والمخيس وديماس (46)

وتنتشر من اليمامة إلى البصرة كما سجل لنا من أساليب التعذيب البدائية (الفلقة) وكأن عمودها المدمى عنق الشاة المسلوخة .

كانت منازلنا التي كنا بها
شتى والف بيننا دوار
يشغشون « مقطرة » كان عمودها

حتى البعد الزمني مثلما قتل عمير بن ضابىء البرجمي بعد خمسين عاما من مقتل عثمان بن عفان وقد اتهم عمير بدوس عثمان بعد أن قتله الثوار وأسباب هذا الدوس أن أباه الشاعر ضابىء البرجمي حاول اغتيال عثمان وعندما فشل قتل تحت السياط والعقاب البدني وحزن في نفس الابن فكان في صف الثوار من قتلة عثمان .

مبتكرات التعذيب

إذا تصفحنا قاموس التعذيب ومبتكرات القمع الأموي نجد في مقدمة الصف الطويل من الضحايا الشاعر يزيد بن المفرغ الحميري . وكان في تصديه لأبناء زياد عنودا لا تغريه الأموال ولا يروضه التقريب . وامتد صراعه مع السلطة من أواخر أيام معاوية إلى خلافة يزيد سنة 60 واستمر في التصعيد والتحدي والسجن إلى سنة 69 هـ حيث توفي بمرض الطاعون (43)

وفي مقدمة المزايدات بيعت جارية الشاعر وعدة حربه في السوق كما أودع السجن بتهمة ملفقة تخص دينا ماليا وعندما لم يذعن اعيد للسجن مرة أخرى وكتب عبيد الله إلى يزيد الخليفة يستأذنه في قتل الشاعر ومما جاء في الرسالة « ان ابن المفرغ هجا زيادا وآل زياد بما هتكه في قبره وفضح بنيه وتعدى ذلك إلى أبي سفيان فقذفه بالزنا - واستمر يتمضغ لحومنا وأنا أبعث إليك بأهاجيه لتنصفنا منه » لكن الخليفة خشي من الصراعات الهامشية فنهاه عن القتل وفوّض له أساليب التنكيل . وبدأت مبتكرات التعذيب « سقي الشاعر نبيذا مخلوطا بالشّبرم فاسهلت بطنه وطوف به في شوارع البصرة مربوطا في هرة وخنزير وكلبة فجعل يسلح والصبيان يتبعونه (44) كما أطعم الجيفة واللحوم المتعفنة - ويتمكن الشاعر من الفرار فيستمر في نقده اللاذع وحين يجبن الرواة في اذاعة هذا الشعر يكتب أهاجيه على الخانات بين البصرة وفارس مسجلا بذلك أول صحف حائطية .. ويقبض عليه مرة أخرى ويرغم على محو ما كتب بالأظافر ويذهب معها اللحم فكان يمحو الأشعار بالعظام ويقابل هذا التفنن في التعذيب بالتحدي مراهنا على خلود الكلمة المقاتلة .

يغسل الماء ما صنعت وقولي
راسخ منك في العظام البوالي
عنق يعرق لحمه الجزار (47)

ويكون قتال الضواري والكواسر نوعا من التعذيب المسلي كما فعل الحجاج بجحدر المحرزي .

ومثل عبيد بن ايوب العنبري أشد لحظات الخوف والتشرد فأكل اللحم المدمى وعاشر الحيوانات البرية وسجل ابرز انفعالات الخائف المطرود

كأن بلاد الله وهي عريضة
على الخائف المطرود كفة حابل
ويؤتى إليه ان كل ثنية
تطلعها ترمي إليه بقاتل (48)

علي دب

التعاليق

1) انساب الأشراف للبلاذري 292/5
2) الطبري 133/6 ـ و 766/2
3) الشعراء الصعاليك في العصر الأموي عطوان /108
4)ضابيء البرجمي :-أول شاعر اتهم امرأة بمواقعة كلب (استلف كل صيد من أحد أغنياء بني جرول وذهب في مهمة صيد طويلة غير أن أهل الكلب اشتدوا في طلبه فرده إليهم ومعه الأبيات :

فيا راكبا أما عرضت فبلغن
امامة مني والأمور كثير
فأمكم لا تتركوها وكلبكم
فان عقوق الوالدات كبير
فانك كلب قد ضربت بما ترى
سميع بما فوق الفراش بصير
إذا عثنت من آخر الليل دخنة
يبيت له فوق الفراش هرير

ورفعوا أمره لعثمان فحبسه وقال : ما أعرف من العرب أفحش ولا الأم منك لأني ما رأيت أحدا رمى امرأة بكلب الا أنت(الخزانة ج 4 ـ 80)
5) الأغاني /158/13/
6) الأغاني
7) تاريخ الطبري 122/6
8) انساب الأشراف 290/5
9) المصدر نفسه
10) ديوان ابن المفرغ تحقيق داود سلوم 12
11) الملل والنحل شهر ستاني 21/1
12) الحركات السرية في الاسلام محمود اسماعيل
13) المصدر نفسه
14) وفيات الأعيان ابن خلكان 255/3
15) الطبري 1389/2
16) ياقوت 657/2
17) النقائض 68/3
18) الطبري 1029/8
19) الجمهرة 317
20) شعراء الصعاليك في العصر الأموي 46
21) الامتاع والمؤانسة 85.1
22) الأغاني 19 ـ 164
23) الكامل 21/5
24) الشعر العربي بخراسان عطوان 311
25) شعراء امويون نوري القيسي ج 1
26) الحيوان 185/5
27) الأغاني 240/21
28) شعراء أمويون 152
29) شعراء الصعاليك عطوان 46
30) ياقوت معجم البلدان 211/2
31) الكامل 295/21
32) تاريخ الطبري 128/6
33) الأغاني 330/22
34) المصدر نفسه
35) المحاسن والأضداد
36) الأغاني 336/22
37) الأغاني 341/22
38) الأغاني 164/19
39) الكامل 446/2
40) المصدر نفسه 21/5
41) العقد 126/2
42) الخزانة 341/3
43) ديوان ابن المفرغ 16
44) الأغاني 119/16
45) الديوان / سلوم
46) شعراء أمويون 167/1
47) المصدر نفسه 173/1
48) المصدر 228/1



زمن ارهفته المساحيق والنزوات القديمة
زمن يفتح النار عند ارتفاع الضجيج على البرتقال
زمن الرعب : يحملني بين حين وحين على الاختبال
زمن القحط : ينساب في العمق ...

والنهر امسى جريمه :

ذات موت ، وجدته في الشارع ـ الأرخبيل
كان يهذي من الصمت ، والوجه كان :
جبلا غامض الحزن ، يشخص قبل الأوان
الى مولد مستحيل ..

قبل لحظـة :
كنت فعلا شامخا لا تخضع البتة للتصريف والموت المفاجىء
كنت جرحا نازفا يمتد رمحا في الخواء
كجناحي نورس فوق الشواطىء
كنت في النخلة نسغا لا يجف
كيف مت يا رفيق الضوء كيف ؟
قبل لحظة :
كنت تنهال على الزيف
ولا تقبل ان تكبر او تشمخ في لحظة زيف
كيف أنت
لم تعد بالضبط أنت ؟
انه الموت المفاجىء
انه الموت المفاجىء

جاء في خبر من عصور الجفاف الرديئه
ان عصر التوهج أت
يتمنطق بالشمس والهمهمات المضيئة

اشمئز من الزمن الوثني ولا استريح
اتعرى على سكة الانتماء الصحيح
اقول : تهشم فيك النهار ،
اقول : توقف فيك القطار ؟

وطن ما ، يحب النهار
هو في القلب لاجىء

ويكون الفقراء الغرباء في المرافىء
في اتم الانتظار
لنهار يرتمي في الوطن ـ المنفى بشكل غير عادي
نحن جئنا نتواصى



باحتراق غير عادي ...

خل موت والعصافير تفر
وعلى الموت الخريفي تصر ..
ليس بالامخان ان نضحك حتى الانهيار
ليس بالامخان ان نصمت حتى الانفجار

وطن الحزن العميـــق
يضحـك الآن من الورد المراهق
انه بالحزن شاهـــق

بمناسبة العشق الآتي
تتشخل في المدن المبثوثة صومعة الحب الناري
فانقش بالوشم الدموي على صدري العاري
سفر النهر الآتـــي
واغني دون عياء
وافجر في فحط الأشياء الماء

ياتي وطن وعلى ختفيه :
فرنفلة وبقية شمس ما اختشفته عين الليل
ياتي وطن خالجلمود الضوئي
يجره نحو القلب السيل ...

الآن يحق لأحببي الاجهز على الوجه المنهار
الآن يحق لمجدافي الابحار

الآن اخرج من مدار الارتباك واشتهي
ان اقتل الموت المشاع وانتهي

امتاز عليك باحزاني
واحيطك علما :
ان دمي المتفجر خلفني ما خلفني
في البدء : تسلفني
و تتساءل فيما بعد : من الجاني ؟

امتاز عليك باحزاني
واحيطك علما
ان غدي يتطير من وجه ثان ...

يوسف رزوقة

الشاعرات التونسيات في عهد الاستقلال

1978/1956

نور الدين صمود

لم تعرف تونس شاعرة قبل عهد الاستقلال إلا ما كان يكتبه بعض الأدباء والشعراء بأسماء مستعارة لأسباب يطول شرحها الآن .

زبيدة بشير

أو إذا استثنينا البواكير الشعرية التي كتبتها الشاعرة زبيدة بشير فقد بدأت هذه الشاعرة كتابة الشعر في السادسة عشرة من عمرها وهي من مواليد سنة 1938 بقرية ساقية سيدي يوسف الواقعة على الحدود التونسية الجزائرية تلك القرية التي قذفها الاستعمار الفرنسي أثناء حربه مع الجزائر في أيام التحرير ، ونجد في ديوان هذه الشاعرة الذي يحمل عنوان (حنين) قصيدتين مؤرختين بسنة 1953 الأولى عنوانها (نهاية قلب) والثانية بعنوان (الأمل الضائع) وفي بداية القصيدة الأولى تقول :

في شبابي — كم تلمّست طريقا لم يكن غير سرابِ
آه ما بي ؟ — إن آمالي وأحلامي مضت خلف السحاب
ما ارتقابي — أو ليس الخير أن أمضي إلى غير إياب ؟
طالما لم ألق في الدنيا سوى مرّ العذاب

وتتكون القصيدة من عشرة مقاطع من هذا النوع مع تنويع في القوافي بشكل يشبه الموشحات

أما القصيدة التالية فهي ذات أربعة مقاطع أولها :

أبتغي السلوان يا قلبي ... ولكن لا كغيري
أنا لا أرجو شروقا ، طالما ودعت فجري
فأماني العمر ضاعت ، وكذا قد ضاع عمري

وواضح أن بداية الشاعرة كانت بداية رومانطيقية تغلب عليها مسحة من التشائم . لكن زبيدة بشير لم تعرف كشاعرة إلا ابتداء من أواسط الخمسينات وخاصة في الستينات حيث أصدرت سنة 1968 (أي منذ عشر سنوات) ديوانها الأول « حنين » وهو يقع في 98 صفحة من الحجم المتوسط يضم 27 قصيدة ، بعضها شعر عمودي ذو قافية موحدة وبعضها منوع القوافي والبعض الآخر شعر حر تلتزم فيه التفعيلة .

وجميع قصائد هذه المجموعة شعر وجداني غزلي ذاتي لا تخرج فيه الشاعرة إلى المواضيع الاجتماعية أو المواضيع القومية وتلتزم بالمواضيع الذاتية .

ونقتطف من شعرها هذا النموذج وهو قصيد بعنوان (حنين) من شعرها الحر :

حبيبي تعال
فبُعدك طال
وصبري آدّعاء
وصمتي افتعال
حبيبي ألفتُكَ والحب ألفه

فأنّى أراك أحسُّ برجفه
كمدٌ من خمرٍ يحن لرشفه
فأسعى إليك بكل حنيني
وأظهر أني لقيتك صدفه
وإذ ألتقي بك أنسى المحال
ويهتز قلبي بألف ابتهال
حبيبي ... تعال ...

وهذا نموذج آخر من قصيد بعنوان (انطلاق) :

أنا في نشوة أحلامي غريقه
فليكنْ حبيَ وهماً أو حقيقه
وليكنْ قلبي قد ضلَّ طريقه
فأنا في نشوة الحب غريقه

وليس معنى هذا أن زبيدة بشير لم تكتبْ إلا الشعر العاطفي فقد كتبت شعرا يتحدث عن قضايا وطنية ولكن بعد صدور ديوانها « حنين » ولعل هذه الأشعار سيضمها ديوان آخر، ولكن يجب أن نشير إلى أن هذه الشاعرة قد كفت منذ سنوات عن نشر شعرها، وإن لم تكف عن كتابته بين الفينة والأخرى ، فقد أطلعتني على أواخر قصائدها في المدة الأخيرة وفي هذه المرحلة تخلت ـ في معظم قصائدها ـ عن الشعر العاطفي واتجهت إلى مواضيع تعالج الواقع وتنقد الأوضاع المتعفنة .

ومن شعرها الذي كتبته في أوائل حياتها الشعرية قصيدة :

عتاب

الأمـر أمـرك إن أردت سعادتي
والأمـر أمـرك إن أردت شقائي
أهـواكَ دومـا في السعـادة والشقا
لكنَّ حبـيَ لن يُذل إبائي
قسما بحبـك ما رضيتُ بذلّةٍ
لي في التكتـم لذة الافشـاء
إنـي صدمـت بأنّ حبـك زائف
لا يستحـق مشاعـرَي ووفائي
فاتـرك هواك لكل بائعـةٍ هوًى
أنـا لا أبيع عواطفـي وحيائي
من كان قزمـا لا يطـاول أرضه
أتُـرَاهُ يُدرك أن يطـول سمائي
يا لائمـي في الصبـر وهـو وسيلتي
كيما أخفف لوعتـي وعنائي
دع عنـك لومـي لو علمـت بمحنتي
وبمـا أكابـد من جوى البرحَاءِ
لأثرتَ لي سبـل الخـلاص من الهوى
فلعلنـي أجـد الخـلاصَ دوائي
إنـي أحـب .. ودون حبـي حافزٌ
أبقيه عمـدا كي أصـونَ إبائي
ما باح بالحـب المقـدس عاشق
في غفْلـةٍ من أعـين الرقباء
إلا ليرجـو ... والرجـاءُ فقدتُه
وفقـدت فيه سعادتـي وهنائي
أنِفـتْ بأرضِـكَ أن تقـر عواطفي
ولـذا وَأدْتُ محبتـي ورجائـي (1)

والقصيدة بتاريخ 1958 أي أنها من محاولاتها الأولى في كتابة الشعر ... وقد أخترناها كنموذج من شعرها العمودي .

ونرجو أن نكون بهذه النماذج قد أعطينا صورة سريعة عن شاعرة رائدة من شاعرات تونس في عهد الاستقلال كتبت الشعر بجميع ضروبه .

فاطمة الدريدي

ومن الشاعرات التونسيات اللأتي بدأن كتابة الشعر في عهد الاستقلال فاطمة الدريدي وقد صدر لها ديوان بعنوان « ضحكات عيون باكية » من الحجم الصغير ويقع في 108 صفحة ويحوي 40 قصيدة متفاوتة الطول بعضها عمودي وبعضها الآخر من الشعر

الحر وهذه الأشعار من بواكير شعرها ، لها إلى جانبها شعر آخر لم يضمه ديوان .

ومن القصيدة التي تحمل نفس عنوان الديوان أقتطف هذا النموذج :

أغنيتي قضيَّةْ
مرسومة في أعين مستهتره
مصلوبة على جدار من حديد
تدعو بصمت وابتهال
تدعو بذل وخضوع
أغنيتي ملحمةْ
حروفها قاتمة
غنيتها لامرأة بائسة
إمرأة تجول في الشوارع
تبحَث عن فُتات خبز يابس
تطعمه لطفلها المشرد
إمرأة متهمةْ
بالعار ... بالدعارة ... الخ

ومن شعرها العمودي الذي تلتزم فيه وحدة البحر والقافية قصيدة بعنوان « خلقت لي وحدي »

خلقتَ لِي وحدي فدتْك أعيني
ما قيمةُ الحياة لو لم تَكُن
وجدت في عينيك أحلام غدي
مرسومة في دفتر ملون
تحمل سرا ألف معنى للهوى
مشحونة بالسحر والحب الهني
كتب عن عينيك أحلى مقطع
رددته في السر بل في العلن
كتب عن عينيك أشهى خبر
هنا له وردي وعطرُ سوسني
في قبضتي الدنيا ... وأنت جانبي

يا وحي إلهامي وصفو الزمن
جَنَّحت في دنياك ثملى لا أعي
من نشوتي إلا الذي أودعتني

أهواك دوما لا تسل عما مضى
حققت لي حلم حياتي المزمن
فضُمني إليك ... بدد حيرتي
ما قيمة الحياة إن لم تَكُن ؟

وإلى جانب الشاعرتين السابقتين نجد بضع شاعرات أخريات ظهر بعضهن في الساحة الأدبية لفترة محدودة ثم انقطعن عن الظهور ولم يُنشر لهنَّ ديوان ، فمنهن الشاعرة (خديجة بن شعبان) التي ظهرت في الخمسينات والستينات في المناسبات القومية لكنها سرعان ما سكتت واختفت من الساحة الأدبية .

ومنهن جميلة الماجري من شاعرات القيروان وهي حاملة للاجازة في الأدب العربي ، نشطت في أوائل السبعينات وقل نشاطها الأدبي في السنوات الأخيرة ونختار من شعرها هذا المقطع من قصيدة : « المقصلة والرجوع »

عندما أُصلب في قاع المدينة
وتؤم الحي آلاف الجموع
وينادون بصلبي
ويخافون الأميره
ويصلون خشوع
بينما موتى تحدُّ
وانتقام للحياه
بينما موتى صمود
في وجوه الصالبين
فأنا ما زلت لوعه
في قلوب الكادحين
وأنا ما زلت شمعه

في ليالي التائهين
وأنا ما زلت أحيا
حرة في الما وراء
خلف أرض الأشقياء
وأنا ما زلت أحيا
بعد شنقي .. بعد صلبي
رغم حكامي القساة الأغبياء
سيدي ...

سيدي السلطان إحقد ما بدا لك !
لن أعود ...
كي أصلي عند أقدام القضاة
انبذوني ...

علقوا إسمي على كل جدار !
علقوا عني تعاليق مثيره :

« خالفت عرف المدينة »
« جاوزت أمر الأميره »
هدني ما شئت ـ مولاتي الأميرة
برئي مني تعاليم المدينه
مزقي كل بطاقاتي لديك
لم يزل بعض الرفاق
يأملون عودتي (2)

لم تزل أهدابهم مشدودة للمقصله
فأنا عائدة
يا رفاقي من جديد
لست أخشى المقصله
كي أقيم الحب سورا من جديد

ومنهن أيضا الشاعرة هدى الصدام قريبة الشاعر الكبير محمد الناصر الصدام التي بدأت تنشر في الستينات ، وفي معظم شعرها شيء من روحه حيث نجدها تحافظ على العمود الشعري في أكثر ما ينشر لها من شعر ، ونختار من قصائدها هذه القصيدة التي جعلتها تحت عنوان (حيرة) :

إنّ دربـي كالأفعـوان أمامي
وأوارُ الهجيـر يذكي أوامي
أسرع السـير في الخطـى شاردات
دون علـم بمقصـدي ومرامي
وكأنـي ـ والشـمس تسفـع جسمي ـ
في خضـم من اللظـى مترامي
وسناهـا أكَلَّ طرفي حتى
لكأنـي من فرطـه في ظلام
حـيرة الأمس تمعـن السـير خلفي
وغـدي حـيرة تسـير أمامي
وابتسـام من الأمانـي ويأسٌ
في فؤادي كلاهما في احتدام

* * *

أين منـي يا درب روض نضير
يعجـب الطـرف نوره في انسجام؟
وعلى الأيك طـيره تتغنى
بأهازيج للأخا والسـلام
عَشيَتْ مقلتـاي واشتـاق قلبي
لضيـاء مبـرقـع بظـلام

* * *

أتراني في المُنحَنى من طريقي
سوف أحظـى بمـا يروّي هُيامي
أتراني هنـاك ألقـى رياضا
بـين أفيائهـا يطيب مقامي
أم تراني للانهـاية أسعى
ومعي ثِقْلُ حيرتي وأوامي ؟ (3)

وليس غريبا أن نرى شاعرة في مقتبل العمر تنصرف عن الشعر الحر إلى الشعر العمودي فهي قريبة شاعر من كبار شعراء تونس

المحافظين وهي ابنة مدينة القيروان التي أنجبت الحصري الضرير صاحب القصيدة المشهورة :

يا ليل الصب متى غده
أقيام الساعة موعده ؟

وصاحب الدواوين الكثيرة ،

وأنجبت مدينة هذه الشاعرة الحصري البصير صاحب (زهر الآداب) كما أنجبت ابن رشيق صاحب كتاب (العمدة) الشهير .

ومن الشاعرات التونسيات أيضا حياة بن الشيخ التي تكتب الشعر منذ بضع سنوات وتغيب عن الساحة الأدبية ، أحيانا ثم تعود إلى الظهور ، وقد تتخلى عن كتابة الشعر إلى كتابة القصة ثم تعود إلى الشعر ، وفي كتاباتها الشعرية ، والنثرية خاصة ، شيء من التحرر والاباحية والثورة على التقاليد لكن ـ إحقاقا للحق ـ أقول إن هذه الشاعرة لم تمتلك ناصية الشعر بالدرجة التي تستطيع بها أن تنال إعجاب قرائها وتتجنب سهام نقادها ، والنموذج الذي أمامي ـ وهو من أواخر ما نشر من شعرها ـ يؤكد ذلك .

فمن قصيدة بعنوان « في خضم الأحرف » نختار هذه البداية :

قلت : « مهلا خففي عني أسايا
أصبري ، فالصبر من أغلى السجايا)
بفتور قلتها ، ثم تواريت
عمدا كخيال في الزوايا

قاتلا بالهجر نفسي تاركا
مهجتي نهب أعاصير المنايا
أسكب العمر دموعا لوعة
في ضلوعي ولهيبا في المنايا
وأنا وحدي بصمتي يغرم اليأس
قلبي يلعق الصبر دمايا
وبصدري نار ذكرى لهوًى
كان من أوله شبه بقايا

« اصبري » تبًا لها من أحرف
سحقتني ، غللت سير خطايا ، إلخ ...

إلى آخر القصيدة التي فيها شيء من الاضطراب في الوزن وهو اضطراب خفيف لكنه لا يغتفر من شاعرة ظهرت أشعارها منذ سنوات .

وأخيرا أذكر شاعرة أخرى أردت أن أفردها عن بقية الشاعرات هي :

فضيلة الشابي التي تكتب الشعر المنثور والذي أطلق عليه في تونس اسم « في غير العمودي والحر » وظلت هذه الشاعرة تنشر شعرها هذا في مجلة (الفكر) خاصة في أواخر الستينات ثم أقامت مدة في بيروت في تلك الفترة ونشر لها هناك ديوان بعنوان « روائح الأرض والتراب » وهو نثر غامض شبيه بالشعر الرمزي الذي يكتبه زملاؤها تحت عنوان « في غير العمودي والحر »

ونختار من شعرها هذا النموذج وهو بتاريخ 13 جوان 1969

عيون محمد رائد الثورة الكبرى
عيون محمد ... عوالم عمق
سافرت في الأشياء
تبحث عن أشلاء
أشلاء الانسان
المعلقة في أنياب الذئاب
في مشانق الزمان

* * *

عيون محمد اخترقت عوالم الغربه
حيث نفي الانسان
حيث لا أنهار
لا أشجار ...

لا أنوار ...
عيون محمد أكلت الأرض

غاصت في أعماق الجراثيم والمرض
اجتازت حدود الليل والنهار ...

* * *

عيون محمد أمطرت العنف
في قمة الحب
أمطرت العنف
وألقت به في رحم العالم
عنفه ظفر بلا أصبع
يمزق خلايا الأشياء
يزعج النوم في أعين الأحياء
يحفر المناجم في السماء
عنفه ... كلمه
لم تدفن في الكتب الصفراء
لم تعرف الاعياء
عُنْفُهُ دنيا
تتفتح ... تتفتح
عُنْفُهُ زهرة تواجه السماء (4)

تلك كانت لمحة سريعة عن الشاعرات التونسيات المعاصرات، وعن بعض آثارهن الشعرية خاصة ! وقد سَكَتُّ هنا عن بقية نشاطهن الأدبي الآخر غير الشعر، فقد كتب البعض منهنّ : القصة والمسرحية والانطباعات والنقد ... ولكن ذلك ليس هنا مجال الحديث عنه. وأعتقد أني لم أنصف الكثير منهن لأن النماذج التي اخترتها لهن ليست من أحسن أشعارهن ولا تعطي صورة كاملة عن تلك الأشعار ... ولعل الحديث عنهن يكون مركزًا أكثر عند نشر جميع دواوينهن وعندما تُعزّز صفوفُهن بشاعرات أخريات مازلن في بداية الطريق.

وفي ختام هذه الكلمة يجب أن نلاحظ أنه إلى جانب هؤلاء الشاعرات اللاتي يكتبن شعرهن باللغة العربية توجد شاعرات أخريات يكتبن شعرهن باللغة الفرنسية وليس هنا مجال الحديث عنهن.

كما أنه يجب أن نلاحظ أننا قصدنا في هذه الكلمة الشاعرات اللائي عُرفن بكتابة الشعر في عهد الاستقلال أي بعد سنة 1956 فقد عَرفت تونس في عهودها الماضية كالعهد الاغلبي ... شاعرات تونسيات لكن لم نشأ التعرض لهن لأنهن لا يندرجن تحت عنوان حديثنا.

وأخيرا نلاحظ أن الشاعرات التونسيات قد كثرن في عهد الاستقلال نتيجة انتشار التعليم في كافة أنحاء الجمهورية إلى جانب منح حقوق المرأة التي أصبحت تشارك الرجل في كل شيء دون مركبات، ودون أن يخشى الآباء على بناتهم عند خروجهن من منازلهن لمواصلة الدراسة وهذا ما لم يكن متوفرا في أيام الاستعمار الفرنسي وتوفَّر في عهد الاستقلال ●

نورالدين صمود

1) ديوان حنين ص 88 ـ 89
2) الفكر ـ السنة 17 العدد 8 ماي 1972
3) الفكر السنة 18 العدد 5 فيفري (شباط) 1973 ص 110
4) الفكر : السنة 14 العدد 10 جويلية (تموز) 1969 ص 26 ـ 27



مع وفد اتحاد الكتّاب السّوفياتيّين

في النصف الثاني من شهر فيفري 1979 ، قام وفد من اتحاد الكتاب السوفيات بزيارة تونس وذلك للاتصال والتعرف الى الادباء التونسيين ، وعقد اتفاقية تعاون بين اتحادي الكتاب التونسيين ، والكتاب السوفياتيين . وبهذه المناسبة قام نور الدين صمود ومحي الدين خريف بتسجيل لقاء طويل مع الوفد الضيف نقدمه لقراء « الحياة الثقافية » فيما يلي :

○○بودنا ان نقدم الصديقين واعمال كل واحد منهما في بداية هذا الحديث.

●●الوفد السوفياتي الادبي يتكون من ثلاثة اشخاص رئيس الوفد تشلي كرجانوف سكرتير اتحاد الكتاب في « تركمانيا » ، وسكرتير ادارة اتحاد الكتاب السوفيات وهو قصاص وشاعر له سبعة كتب منشورة في « تركمانيا » ستة منها قصص وكتابان آخران سوف ينشران في موسكو باللغة الروسية ولد تشلي سنة 1934 تخرج من كلية الحقوق بجامعة « تركمانيا » في عشق أباد ، واشتغل في المجلات والجرائد الادبية وفي اللجنة المركزية لاتحاد الشبيبة الشيوعية في تركمانيا وهو يشغل في هذا الوقت السكرتير الاول للاتحاد.

اما فلادمير سافيلوف فهو شاعر من مدينة موسكو ولد ايضا في سنة 1934 وهو يكتب المقالات ويترجم الشعر ، وله سبعة كتب شعرية وحوالي اربعين كتابا تترجم اشهر أشعار الشعراء السوفياتيين من مختلف انحاء البلاد.

اما المترجم لكم هذا الحديث ايقور يرماكوف فمستشار في الادب العربي لاتحاد الكتاب السوفيات مترجم ادبي قد اصدرت كتابين للشعر العربي الفلسطيني ومؤلفات لزكريا تامر ، والطيب صالح ، وبعض الادباء الآخرين من المشرق عموما وفي هذا الوقت اهتم بترجمة رواية « اللاز » للكاتب الجزائري الطاهر وطار.

الوفد السوفياتي جاء الى تونس من اجل توقيع اتفاقية التعاون بين اتحادي الكتاب التونسي والسوفياتي هذه الاتفاقية وقعناها في 20 من الشهر الجاري (فيفري) وهدفنا من هذه الزيارة هو الالتقاء بالادباء التونسيين من الشعراء والقصاصين المعروفين والشبان في نفس الوقت وقد استطعنا ان نقوم بعدة لقاءات في تونس العاصمة ، والقيروان ، ومدينة سوسة ، وبجماعة من الادباء المعاصرين . كما جئنا ايضا من اجل جمع مادة ادبية للتعريف بالادب التونسي وذلك بترجمته الى الادب السوفياتي . في هذه السنة مثلا ، لدينا في الاتحاد السوفياتي امكانيات لترجمة مؤلفات الادباء العرب والمغاربة بشكل خاص وستنشر في دار نشر « خودولاستقنيا لتيراترا » وهي اقدم دار نشر في الاتحاد السوفياتي ، وقد بدأنا في السنة الماضية في دار التقدم اصدر مختارات من الشعر والنشر الشرقي « افروأسيوي » ، وبمناسبة انعقاد اللجنة التنفيذية الافروأسيوية في طشقند ، في اكتوبر الماضي حيث اشترك من الجانب التونسي محمد العروسي المطوي اصدرنا مجلدين الاول عن القصة القصيرة والرواية في المشرق ، والثاني عن نثر جنوبي افريقيا والمجلد الرابع سيكون مختارات من الرواية والقصة المغربية ولهذا السبب عندما التقينا بالادباء التونسيين طلبنا منهم ان يقدموا لنا انتاجهم وقد جمعنا عددا كبيرا من الكتب مجموعات شعرية وقصصية وروايات ودراسات للاساتذة التونسيين وكذلك استلمنا من نادي القصة المجموعة الكاملة لمجلة « قصص » وفي رأيي ان هذه المواد المتنوعة سوف تمكننا من الاختيار والترجمة للغة الروسية ونشرها بدور النشر التي سميتها.

○○لماذا كان جل اهتمامكم مختصا بالقصة ؟

●●فعلا كنا نهتم وما زلنا نهتم بترجمة القصة والشعر معا وانا لم أقل بعد ان هذه المختارات الكبيرة تكون عشر مجلدات كل مجلد كبير يحتوي من 400 الى 500 صفحة بالحروف الروسية الصغيرة فالمجلدات الثمانية الاولى ستكون للقصة والرواية الافروأسيوية ، اما المجلد التاسع فسيكون لشعر أسيا والمجلد العاشر لشعر افريقيا.

○○هل لكم ان تحدثونا على مدى اطلاع الاخوان السوفيات على الادب التونسي لا سيما ان هناك فروقا تميز بين أدب كل قطر من الاقطار العربية خصوصا وقد اطلعنا على كتاب يتحدث عن الادب العربي ولم نجد فيه عن تونس الا جزءا ضئيلا جدا يتحدث عن الشابي وخزندار ورد ذكرهما مجردا من خلال اطلاع المؤلف على كتاب محمد الفاضل بن عاشور « الحركة الادبية والفكرية في تونس » ؟

● بالفعل نحن في الاتحاد السوفياتي نعرف قبل كل شيء ادباء مشرقيين من مصر وسوريا والعراق ولكن هذا لا يجعل القارىء السوفياتي يجهل كل شيء عن الادب التونسي فشاعركم الكبير أبو القاسم الشاب معروف عندنا وتوجد مجموعة كاملة لشعره اسمها مثل الاسم العربي « أغاني الحياة » ونعرف ايضا بعض الادباء الآخرين مثل خزندار، والعروسي المطوي، ومصطفى الفارسي، وهو عدد قليل بالنسبة للادب التونسي والادباء البارزين في بلادكم لكن هذه الاسباب واقعية اذا عرفنا ان العالم كله بدأ يتعرف على الادب العربي عن طريق المشرق.

ومن اهداف زيارتنا هذه التي هي الزيارة الثانية للوفد السوفياتي الى تونس جمع الكتب والتعرف على الادباء حتى نوزع هذه الكتب على المستشرقين السوفيات الذين هم في حاجة اكيدة للتعرف على الادب التونسي بصفة خاصة والادب العربي بصفة عامة. وقد اتفقنا في سنة 1977 مع مصلحة الآداب في وزارة الثقافة التونسية على ارسال مجموعات أدبية من تونس الى الاتحاد السوفياتي وبالعكس وعلى اشتراك بعض المنظمات التونسية بمجلات سوفياتية تصدر باللغة الفرنسية ونحن نمشي في هذا الطريق وقد استلمنا بعض الكميات من الكتب التونسية وقدمناها الى معهد الاستشراق لاكادمية العلوم السوفياتية ومعهد بلدان أسيا وافريقيا التابع لجامعة موسكو وفي اتحاد الكتاب توجد عندنا مكتبة نجمع بها كتب الكتاب العرب. ونود ان هذه الخطوات التي خطوناها في السنوات الاخيرة تقدم لنا ثمارا ملموسة في المستقبل الاقرب.

ما هو موقفكم من قضية التفرغ بالنسبة للاديب في الوقت الحاضر؟

● نحن الادباء في الاتحاد السوفياتي لا نعتبر انفسنا منفصلين عن الدولة، أو المجتمع عموما. من الممكن ان تكون في ادبنا مواقف نسميها ايجابية مثبتة للحياة والمجتمع، ومن الممكن ايضا ان تكون سلبية فيها نقد للمجتمع ولبعض الظواهر من حياتنا اليومية ولكن الموقفين كليهما موجهان من أجل سعادة الانسان والبحث عن المستقبل الأفضل. وهذه التجربة ليست لسنة او بضع سنوات وإنما هي تجربة عشرات السنين.

ونحن الأدباء السوفيات نستطيع أن نطرق المواضيع التي تهمنا في الحياة وفي الادب بشكل خاص ونوجه انفسنا الى الابداع الفني بشكل كامل. ونعيش على أجورنا ومؤلفاتنا في المجلات والكتب. ومن جهة أخرى فالنقد الأدبي السوفياتي قد حطم منذ كان شعار الفن من أجل الفن. والأديب والفنان السوفياتي بشكل عام يشتغل في نوعه الأدبي والفني من أجل الحياة نفسها، ومن أجل التعبير عن الانسان والمجتمع، أنا شخصيا لا أعرف أديبا واحدا من السوفياتيين قد حبس نفسه بين جدران اربعة وأخذ يهتم بمشاكله الخاصة وعالمه الذاتي ولا يخرج الى عالم الناس حيث الحياة المتجددة كل يوم ليعكسها في مؤلفاته. فنحن نستخدم عددا ضخما من اشكال التعبير الذاتي في ادبنا الروسي وفي الآداب القومية للشعوب والقوميات الأخرى في الأدب السوفياتي. وهذا التنوع في الأشكال الفنية نستخدمه من أجل تثبيت أمثلة مشرقة في حياة الانسان مرة واحدة شاعرنا الكبير « مايكوفسكي » القى شعرا جديدا في الجماهير ليكون اكثر عدد من الشعراء الطيبين والمختلفين في خدمة الانسان بصفة عامة. بكل صعوباته ومع كل اهتماماته.

اريد ان أضيف شيئا، هدف الأدباء السوفيات ليس نقد الدولة أو الحكومة، ولكن مساعدتها أكثر من نقدها لأن دولتنا دولة الشعب كله وليس لدينا نوايا أن نقوم بمناقشات ومعارك مع دولتنا لكن هذا لا يعني أننا لا ننتقد النواحي السلبية ونواقص حياتنا. نحن مثلا في الأدب التركماني ننتقد ما ورثناه من عراقيل إقطاعية وعادات قديمة تعرقلنا في تطورنا كالقوانين التي تمنع المرأة من حقوقها. وبجانب هذا فهناك مئات من الأدباء بالاتحاد السوفياتي يعملون كمندوبين بالمجلس الأعلى أي كأعضاء للبرلمان يشتركون في عمل الدولة

والحكومة نفسها وهم يمثلون اتحاد الكتاب ويقدمون كل رغباتنا للدولة .

○○اين تضعون « بسترناك » ، و « شيلاخوف » و « سيمنوف » ؟ وبماذا تفضلون البعض على الآخر ؟ هل لأنه مجيد فنيا أم لأنه يخدم مبادىء الدولة ؟ أم لأنه استطاع أن ينفذ بأدبه عبر الحدود السوفياتية ؟

●●اذا بدأنا نفرق بين من هو أفضل من هؤلاء المؤلفين فموقفنا كالذي يقول للرجال ذوي القامة الطويلة قفوا في الجانب الأيمن وللرجال ذوي القامة القصيرة والنساء في الناحية الاخرى ، ولا تؤاخذني اذا قلت لك ان هذا السؤال مطروح بشكل طفولي ومن الصعاب بالنسبة لنا ان نجيب عليه فكل واحد من هؤلاء معروف ومشهور في بلادنا وهم ما زالوا يخدمون شعبهم الى الآن ، ولكل من هؤلاء المؤلفين مجاله الخاص به فمثلا موضوع الثورة وبناء الاشتراكية نجده بافضل شكل عند « شيلوخوف » وموضوع الحرب الاخيرة ضد الفاشيست حسن في ابداع « سيمينوف » أما بسترناك فله مواضيع كثيرة عالجها في حياته الطويلة فبدأ من كتابة قصيدته الملحمية 1905 كرسها للثورة الروسية الاولى وعنده شعر غزلي رائع وكتب كثيرا من الكتب الجيدة عن الادب والفن ، وهو ايضا مترجم جيد له كثير من المترجمات الشعرية أما روايته « الدكتور جفاغو » فهي نوع من الرواية وفيها يشير « بوريس بسترناك » الى ان كل أديب هو انسان حي يخدم الحياة في جميع مستوياتها .

○○هل رفض « بسترناك » جائزة نوبل أم أجبر على ان يرفضها ؟

●●لماذا أجبر ؟ لقد رفضها هو نفسه . أنا شخصيا كنت أعرف « بوريس بسترناك » في سنوات حياته عندما كنت طالبا بالمعهد الادبي « كوركي » كنت التقي به شخصيا مرات كانت له حياة طويلة معقدة وجميلة لأديب سوفياتي حتى ايامه وساعاته الأخيرة كان يعيش في بلدة أدبية في ضواحي موسكو اسمها « برديلكنا » ودفن هناك قريبا من هذه البلدة المعروفة .

○○ما هي كميات النسخ التي يطبعها كل كاتب من كتابه ؟

●●كميات النسخ التي تصدر بها كتب ادبائنا كبيرة جدا تصل الى عشرات الالآف ومئات الالآف فالكتاب النثري نطبع منه من 30 الف الى 50 الف أما الشعر فمن 10 آلاف الى 30 الف أما كتب الاطفال ف 100 الف . لكننا نحن في اتحاد الكتاب التركماني نريد ان يشتغل الاديب في اي مؤسسة ليتعامل مع الناس ويهتم بالنشاط الاجتماعي . وهناك من الادباء التركمان من هو متفرغ تماما للابداع الادبي كالشاعر والقصاص « عطاء اطجانا » وهو عضو ادارة ويرأس قسم الشعر في اتحاد كتاب جمهورية تركمانيا ويشتغل مجانا وفي كل سنة يستطيع الأديب عندنا ان يسلم بطاقة يدخل بها الى دار الراحة أو دار الابداع ، لمدة أربعة وعشرين يوما وهناك يعتني به الاطباء . وفي هذه الايام نقوم ببناء منزل جديد لأدبائنا في « عشق اباد » من اثنين وثلاثين شقة ودارا الراحة للادباء في منطقة جبلية فيها مائة سرير ويصل ثمن هذه مليون و500 ألف روبل ونحن اتحاد الكتاب كمنظمة اجتماعية نستطيع ان نتحمل نفقات هذه الدار ولدينا في الاتحاد السوفياتي أكثر من عشرين دار راحة للادباء .

○○نريد ان نسأل الاستاذ تشلي عن دور الشعر في العصر الحاضر وعن مدى التحام الشعر بالقصة خصوصا وقد أصبحت القصة تميل الى التكثيف وتقترب شيئا فشيئا من الشعر ؟

●●تشلي : في رأيي أنه لا يمكن أن يستغني أي نوع من أنواع الادب عن الشعر ، فنثري أنا يسميه الكتاب والنقاد نثرا غزليا ويقولون إنني نجحت في رسم بعض الصور للأسرة بما توفر لي ايضا من عنصر رومنتيكي . والظاهرة الرومانيكية هي شعر ، وأنا دائما أحس أن في نثري رائحة الشعر في كل ما اكتبه . ومن الصعب أن نعبر عن هذه العناصر الشعرية في

سطور والشعر يؤثر على اللغة بمنطقها يدققها في عباراتها ومفاهيمها وهو يساعدنا في الوصف الزائد ويمكن المؤلف من أن يلمس باطنه ويتحسس قلبه .

هل يمكن ان تعطونا فكرة صغيرة عن تنظيم اتحاد الكتاب السوفياتيين وعن أهم المهرجانات التي تقومون بها ؟

اتحاد الكتاب السوفيات يتألف من الناس الذين أصبح عندهم الادب عملا مهنيا وهو يتكون من حوالي ثمانمائة عضو الهيئة العليا لاتحادنا هو المؤتمر ثم ادارة اتحاد الكتاب وهذه الادارة تختار السكريتيرية وعدد السكريتيرين في هذه الادارة حوالي 41 سكرتيرا . واتحاد الكتاب للاتحاد السوفياتي يتكون من اتحادات الكتاب للجمهوريات الاتحادية السوفياتية الخمسة عشر وعندما يحتاج اديب الى مساعدة ما يوجه طلباته الى رئاسة الاتحاد أو في الاتحاد باحدى الجمهوريات . ولدى الاتحاد منظمة مالية قوية جدا ويوجد به معهد الآداب « مكسيم كوركي » التابع لاتحاد الكتاب حيث يدرس التلامذة وتصدر عن اتحاد الكتاب مجلته وجرائد اسبوعية وشهرية ولكل اتحاد جرائده ومجلاته . الى جانب كل هذا نجد المجلات الاجتماعية فيها أقسام أدبية نستطيع ان ننشر فيها إنتاجنا .

هل لكم ان تحدثونا عن أيام « بوشكين » ولو بصورة سريعة ؟

أيام « بوشكين » للشعر نحتفل بها كل سنة في تظاهرة أدبية وثقافية وهي عيد الشعر وعيد التقاء الادباء مع القراء نقيم هذه الاحتفالات « البوشكينية » ليس في قرية « مخايلسترف » حيث كان يعيش بوشكين لمدة طويلة وكتب هناك عددا كبيرا من مؤلفاته ، لكن في مدن ومناطق اخرى من الاتحاد السوفياتي في نفس الوقت في اواخر ماي اوائل جوان توجد لجنة بوشكينية تتالف من الأدباء البارزين الذين يهتمون بتحضير هذا الاحتفال والسلطات المحلية ، البلديات واللجان الحزبية تعتبر اشتراكها في هذه الاحتفالات شرفا كبيرا في مدنها . وهذه الاحتفالات يحضرها عدد كبير من ادبائنا ومن القراء وهواة الادب من الاجانب وتقوم الاذاعات المرئية والسمعية بنقل كل مظاهر هذه الاحتفالات حتى يستطيع كل واحد في الاتحاد السوفياتي ان يشاهد وقائع الجلسات الشعرية والمناقشات التي تقع اثناء ذلك ولا تقرأ في هذا المهرجان قصائد بوشكين فقط وانما تقرأ كل القصائد الجيدة التي فيها روح انسانية ، والتي هي مكتوبة باسلوب « بوشكين » .

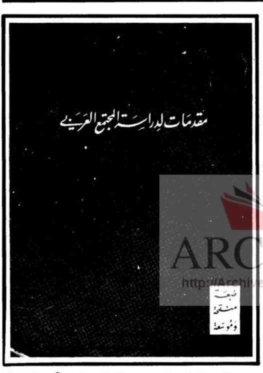
"مقدمات لدراسة المجتمع العربي"

□ تأليف : هشام شرابي
□ نشر : الدار الأهلية للنشر والتوزيع
طبعة جديدة منقحة
بيروت ، 1977 - 153 ص
□ تقديم : هشام الشريف

مؤلف هذا الكتاب مثقف فلسطيني يدرّس بجامعة جورج تاون بواشنطن ، ويحاضر بقسم الدراسات الدولية العليا في جامعة جونز هوبكنز هاجر إلى أمريكا منذ سنة 1947 حسب ما ورد في فقرة من فقرات المقدمة إذ قال : « ... لم أفكر يوما طوال هذه السنوات ، بمسقط رأسي يافا التي رأيتها للمرة الأخيرة من نافذة الطائرة التي أقلتنا ، فائز صائغ وأنا ، بعد إقلاعها من اللد في يوم ماطر من كانون الأول سنة 1947 في طريقها إلى أمريكا . (المقدمة ص 14) . ولعله من المفيد أن نقدم بعض آراء هشام شرابي باعتباره نموذجا للمثقف العربي الفلسطيني المهاجر .

يحتوي هذا الكتاب على مقدمة وستة فصول هي نصوص لمحاضرات كان ألقاها في جامعة جورج تاون في العام الدراسي : 1974/1973

لم يقم الكاتب في المقدمة بتقديم كلاسيكي لكتابه فلم يذكر موضوع الكتاب وعناصره بل عمد إلى رسم هيكل بياني يجسّم



تغير منظوره للعالم إثر هزيمة 1967 . ولقد أكد طوال هذه الصفحات على أن هذه الهزيمة دفعته إلى مراجعة مواقفه وفكره مراجعة جذرية وبيّن فضل الهزيمة إذ قال :

« شدّة الصدمة قوّت الوعي وأخذت تعمّقه يوما بعد يوم . من هنا كانت ثورية انكسار 1967 ... من هنا انبثقت القوة التي دفعت بقطاعات واسعة من البورجوازية المثقفة التي كنت أنتمي إليها نحو الوعي الثوري . (المقدمة ص 15 و 16) .

وهذا المقطع يجعلنا نتساءل عن مظاهر « الوعي الثوري » لدى هذا « البورجوازي المثقف » ؟

كذلك عن عمق « الوعي الثوري » لدى « البورجوازية المثقفة » ؟

في المقدمة نجد جوابا جزئيا عن هذين السؤالين :
ـ فقد خرج هشام شرابي عن المنظور الليبيرالي وتعاطف مع الفكر الماركسي وذكر ذلك صراحة في قوله : « كنت حتّى سنة 1967 أعالج الماركسية من زاوية الفكر الليبيرالي الكلاسيكي فأتناول ماركس من حيث إنه مفكر أوروبي « آخر » ، وأنقد نظريته الجدلية في ضوء الفشل الذي أصاب تنبؤاته حول حتمية انهيار النظام الرأسمالي والشكل الذي اتخذته الماركسية في الاتحاد السوفياتي والبلدان الاشتراكية الأخرى وهكذا بقيت أرفض الماركسية طوال سنوات عديدة بشكل لا يقبل إعادة النظر « (المقدمة ص 16 ») . وفي صيف 1967 أخذت في إعداد محاضراتي لفصل الخريف ولسبب لا أدري مصدره ابتدأت بماركس وما أزال أذكر قراءاتي لماركس ذلك الصيف ! شعرت كأنني أقرأه للمرة الأولى . لم أعرف تجربة هزتني بهذا الشكل ... نفذ ماركس إلى أسس تفكيري » .
ـ ولقد تجاوز هذا الالتزام الفكر إلى الممارسة ومن الطريف أن نذكر أنه عمد إلى تغيير لباسه ولقد قال : « وطوال هذه السنوات لم ألبس سترة أو ربطة عنق إلا فيا ندر وتخليت عن معظم عاداتي « البورجوازية » ، وابتعدت عن أصدقائي البورجوازيين » (المقدمة ص 20) . والتحق بقواعد المقاومة : « وفي صيف 1969 قمت بزيارة قواعد المقاومة في الأردن واجتمعت بالمقاتلين في الأغوار وبقادة المقاومة . » (المقدمة ص 20) . وأخذ على نفسه الكتابة بلسان عربي : « ... كنت لا أكتب إلا بالانكليزية ولا أستطيع التفكير إلا بها ... منذ مدة أخذت على نفسي أن لا أنشر كتابا إلا باللغة العربية وما أزال على هذا العهد لعلني أوفّق ومنذ ذلك الوقت وأنا أطالع الكتب العربية وأدرس اللغة من جديد . » (المقدمة ص 12) .

لكن هذا « الوعي الثوري » لدى هذا البورجوازي المثقف لم يدم طويلا وقد صرّح بذلك وذكر بعض أسباب هذا الفتور إذ قال : « لم تدم نشوة الثورة طويلا ... ووجدتني أحاول الخروج من علاقاتي الماضية ، ومن الحالة التي فرضتها على ثقافتي الاجتماعية ولكن دون جدوى . حينذاك بدأت أفقد الشعور بالنشوة ورويدا أدركت أن الثورة ليست أمرا سهلا وإنها لا تحصل لمجرد إيماننا بضرورة حصولها » (المقدمة ص 21) .

بعد أن فترت « نشوة الثورة » لديه انكب على المجتمع دراسة وتحليلا فكان كتاب « مقدمات لدراسة المجتمع العربي » ثمرة من ثمار تلك الدراسة .

•••

إشكالية الكتاب العامة هي محاولة تفسير « واقعنا الاجتماعي وأسباب فساده » قصد « تغيير وضعنا » ولا يفوتنا أن نلاحظ أن الكلمة الوحيدة التي استعملها هشام شرابي هي كلمة « تغيير » وهي من الدرجة الصفر للدلالة لا تميل لا إلى اليمين ولا إلى اليسار . فهل يترجم هذا الاختيار عن منهج علمي محض ؟

تناول هشام شرابي من خلال الاشكالية السابقة الجوانب التالية :

أ ـ بنية العائلة في المجتمع العربي وأثرها في تكوين شخصية الطفل الاجتماعية .

ب ـ بعض السمات السلبية في المعرفة وضرورة تجاوزها .

ج ـ محاولة لتصنيف المثقفين العرب وتحديد دور كل صنف منهم في ديناميكية التغيير .

إن ترتيب هذه العناصر بهذا الشكل لم يأت عفوا وإنّما يعود إلى أن هشام شرابي يرصد مختلف مراحل تكون « شخصية العربي الاجتماعية » ابتداء من العائلة إلى المدرسة فالمجتمع بمختلف مؤسساته الثقافية .

ولقد اعتمد المنهج الفرويدي الماركسي إذ حاول في تفسيره أن يوفق بين المعطيات النفسية والمعطيات الاجتماعية . وهو يعتبر أنه إذا ما رمنا تغيير تفكير الفرد العربي وسلوكه فعلينا أن نغير بنية العائلة باعتبار أن المجتمع « يشكل » شخصية الفرد فكرا وسلوكا بالاعتماد عليها ولقد أمعن في الالحاح على هذه الفكرة :

والفقرة الموالية تلخص أحسن تلخيص منطلقه الأساسي في الكتاب :

« إن منطلقنا الأساسي في هذا البحث هو أن العائلة كمؤسسة اجتماعية هي الوسيط بين شخصية الفرد والحضارة الاجتماعية التي ينتمي إليها ، وأن شخصية الفرد تتكون ضمن العائلة وأن قيم

المجتمع وأنماط السلوك فيه تنتقل إلى حد كبير من خلال العائلة وتتقوى بواسطته » (ص28) . ولقد حدّد العينة التي اعتمدها في قوله : « إن هذا البحث يتركز على نموذج عائلة عربية تجسد القيم والمواقف السائدة في وسط إسلامي مدني وفي طبقة اجتماعية وسطى أو أقرب إلى الوسطى هذا مع العلم أن بعض التعميمات يمكن أن تنطبق على المجتمع العربي ككل بما فيه البدو والفلاحين » (ص 30) .

ما هي خصائص بنية « العائلة » في المجتمع العربي وما هو أثر هذه البنية في شخصية الطفل ؟

يقول المؤلف في الصفحة 76 من كتابه : « نظام العائلة كنظام المجتمع في كل مؤسساته نظام هرمي يقوم على السلطة والعنف ويحتل الأب فيه المركز الرئيسي والأول ويحتل الطفل المركز الأدنى وتتميز تربية الطفل في العائلة السلطوية بالعنف والقهر المستمرين ولا يقلل من ذلك كون الأب عادلا أو متسامحا نحو زوجته وأولاده فالمؤثر الرئيسي هو العلاقات الموضوعية التي يقوم عليها نظام العائلة والتي تقرر نوعية التفاعل بين الأفراد وتحدد دور كل منهم ، لا طبيعة الأشخاص الذين تقوم بينهم هذه العلاقات » .

ويعدد المؤلف مختلف تأثيرات هذا البناء الهرمي في شخصية الطفل في فقرات متفرقة نذكر منها قوله : « ويكون التصرف نحو الطفل في العائلة التي يلعب ضمنها الأب الدور المسيطر تصرفا في غالبه سلبيا بحيث ينقل إلى الطفل وينمي فيه الشخصية السلطوية التي تتميز بخضوعها للسلطة وفي الوقت نفسه بتعاليها على من هم دونها وبنزعتها المحافظة (ص 76) .

ثم تناول بعض سمات التربية في العائلة العربية وبين أثرها في شخصية الطفل لكنه لم يعتمد منهجا علميا تجريديا بل اعتمد الارتسام والخبرة اليومية وأكد « أن خصائص الاتكالية والعجز والتهرب هي من صميم السلوك البورجوازي الاقطاعي » (ص 48) وللتدليل على هذا أورد بعض المشاهد المقتطعة من حياتنا اليومية مثلا : « ... إذا حاول الطفل تسلق الدرج أو فتح الباب أو زحزحة الكرسي يجد من يقوم بهذا العمل بدلا عنه وكذلك فهو سرعان ما يتعلم العزوف عن النشاط المستقل منتظرا من الآخرين أن يقوموا بالأعمال التي يتوجب عليه القيام بها ومن نتائج ذلك أن الافراط في الاتكال يؤدي عند معظم الأطفال إلى شعور بالعجز (ص 34) وهذا « .. يسبب قبوله بالسيطرة الخارجية عليه لدى دخوله المعترك الاجتماعي » (ص 35) .

وبعد أن أبرز المؤلف الجوانب السلبية في شخصية العربي الاجتماعية وحمل العائلة مسؤولية ذلك ، ربط الصلة بين هذه المؤسسة الصغرى (العائلة) والمؤسسة الكبرى (المجتمع) فكشف النقاب عن خطورة الأولى ولفت النظر إلى قيمتها الكبرى في ديناميكية التغيير وذلك حين قال : « وهكذا فإن التحالف بين المجتمع والعائلة يبدو كوسيلة أساسية تلجأ إليها الثقافة الاجتماعية المسيطرة لضبط التغيير والمحافظة على استقرار النظام الاجتماعي الراهن الذي هو بدوره مبني على النمط السائد في تركيب العائلة وفي توزيع الثروة والسلطة والمكانة الاجتماعية في المجتمع » (ص 47) . ومن هذا التحليل يصل إلى النتيجة التالية : « فالمجتمع لا يمكن تغييره إلا بتغيير العائلة والعائلة لا يمكن تغييرها إلا بتغيير المجتمع والاثنان مترابطان بشكل لا يقبل التفرقة » (ص 66) .

ثم تناول شكل التعليم في الوطن العربي دون محتواه فقال : « إن حياة العربي تبدأ وتنتهي بالتلقين أما العنصر المشترك بين التلقين والعقاب فهو أن كلا منهما يشدد على السلطة ويستبعد الفهم والادراك أي أن كلا منهما يدفع إلى الاستسلام ويمنع حدوث التغيير ، يتعلم الطفل أن يقبل دون اعتراض أو تساؤل سيطرة القوي والمتعلم » (ص 41) .

وهكذا يؤكد هشام شرابي على أن بنية العائلة في الوطن العربي ومنهج التعليم فيه يتظافران على « منع حدوث التغيير » في المجتمع . ولئن كان عنوان الكتاب هو « مقدمات لدراسة المجتمع العربي » فلقد اهتم أساسا بأثر العائلة وأثر التعليم في تكوين شخصية العربي الاجتماعية لأنه يدعو إلى تغيير المجتمع العربي تغييرا جذريا ويعتقد أن ذلك لا يمكن أن يتم إلا في مستوى الطفولة .

وفي نطاق محاولة الكشف عن العناصر المعرقلة للتغيير في المجتمع العربي اهتم بظاهرة التمويه في الفكر العربي الحديث وعرفه بكونه « حجب حقيقة شيء ما أو واقع ما بمختلف الطرق والوسائل »

(ص 69) وذكر أن التمويه في الفكر العربي الحديث هو من الدرجة الثقافية إذ يقع في مستويين داخليا وخارجيا : « التمويه الداخلي أي ذلك الذي ينبع من المجتمع ذاته من قيمه وعلاقاته المسيطرة التي تفرضها القوى الحاكمة فيه » (ص 75) ومصدر التمويه الخارجي هو الغرب إذ « تمت عملية تمويهنا وصرنا نرى الوقائع من خلال الفكر المثالي الغربي الذي كان يناقضه فكر واقعي في الغرب لم نعرفه ولم ينقل إلينا » (ص 67) . وهو يلح على ضرورة القضاء على التمويه بإرساء فكر نقدي : « لا يمكن تغيير الواقع إلا بكشف النقاب عن حقيقته وما عملية الكشف هذه إلا عملية المعرفة النقدية الهادفة إلى تغييره » (ص 68) .

وكما ذكر المؤلف ان بنية العائلة وشكل التعليم يتظافران على عرقلة التغيير ، بين أن لظاهرة التمويه نفس الدور إذ أن : « التمويه هو الذي يصنع الوعي الخاطيء الذي يجعلنا نرى العالم من خلال نظارات تمنعها ثقافتنا الاجتماعية والواقع المسيطر فيها فندعم القوى التي تسيطر علينا وتستغلنا ونرفض بملء إرادتنا سبيل التحرير والانعتاق » (ص 70) .

وهكذا كشف هشام شرابي عن الثالوث (بنية العائلة ، شكل التعليم ، التمويه الثقافي) المعرقل للتغيير في المجتمع العربي .

ثم تناول المثقف فحاول أن يرصد بعض خصائص سلوكه وبين أنه متذبذب فكريا وانتهازيا لأنه « يريد ... أمرين متناقضين : حرية العمل والمستقبل المؤمن فهو يريد أن يعيش مبدأه وفي الوقت ذاته مستقبله ومعظم المثقفين يقضون على هذا التناقض باختيار طريق المستقبل المؤمن ، أما المبدأ فيصبح هدف قوى المثقف التبريرية » (ص : 105)

إن المواضيع التي طرقت في هذا الكتاب سبق أن تناولها عدد كبير من المثقفين العرب والطريف في هذه الدراسة هو منهجها الفرويدي الماركسي ، ولا سيما عندما استغله في دراسة بنية العائلة في الوطن العربي .

ونحن ننوه خاصة بأسلوب المؤلف السهل الذي يساعد على تبليغ آرائه إلى القارىء المتوسط الثقافة ، لكن لنا عليه بعض المآخذ :

ـ نزعته إلى تضخيم دور العائلة في إشكالية التغيير وهذا دفعه في مواطن عديدة إلى استعمال تركيب الحصر مثال ذلك : « فالمجتمع لا يمكن تغييره إلا بتغيير العائلة » (ص : 66) .

وعلى المستوى المنهجي نؤاخذه على :

ـ عدم تعريف مفهوم « الثقافة البورجوازية الاقطاعية » على أنه استعمله بمعدل مرة كل ثلاث صفحات ونحن في أوكد الحاجة إلى تعريف وتحديد المفاهيم التي نستعملها لنبين خصوصية بنى المجتمع العربي .

ـ وعلى نزعته إلى التعميم : تناول المؤلف بنية العائلة في الوطن العربي لكن ضخامة المشروع جعلته يسقط أحيانا في التعميم والانطباعية وكان الأجدر به أن يدرس بنية العائلة في بلد من البلدان دراسة ميدانية فيكون عمله علميا●

مؤلفات هشام شرابي

(مرتبة ترتيبا تاريخيا)

كانت أولى مؤلفاته بالانقليزية قبل أن يلتزم الكتابة بالعربية :

* A Handbook on the contemporary Middle East, Washington, 1957.
* Government and Politiy of the Middle East in the twentieth century-Princeton 1962, 1963, 1968.
* Nationalism and Revolution in the Arab World, Princeton, 1969.
* The Lethal Dielemma : Palestine and Israel New York 1969
* Palestine Guraillas : Their Credibility and Effectiveness, Washington 1970-1971
* Arab Intellectuals and the West, Baltimore, 1970.

* الفدائيون الفلسطينيون : صدقهم وفاعليتهم ، بيروت ، 197 ؟ +
* المقاومة الفلسطينية في وجه إسرائيل وأمريكا ، بيروت ، 1970 .
* المثقفون العرب والغرب ، بيروت ، 1971 .
* مقدمات لدراسة المجتمع العربي ، بيروت ، 1975 .
* الدبلوماسية والاستراتيجية في الصراع العربي الاسرائيلي ، بيروت ، 1975 .



الأطفال : مستقبل العالم

النشاط الثقافي

في تونس

في الأقطار العربية

في العالم

النشاط الثقافي في تونس

اجتماع المجلس التنفيذي للمنظمة العربية للتربية والعلوم (تونس 8 - 15 جانفي 1979)

عقد المجلس التنفيذي دورته الحادية والعشرين بقاعة المغرب بفندق إفريقيا بتونس .

بدأت أعمال المجلس بجلسة افتتاحية بإشراف الأستاذ محمد مزالي وزير التربية القومية ورئيس اللجنة الوطنية التونسية للتربية والعلم والثقافة الذي ألقى كلمة رحب فيها بأعضاء المجلس واستعرض جهود الجمهورية التونسية في مجالات عمل المنظمة وأشرف على الجلسة الختامية الأستاذ محمد اليعلاوي وزير الشؤون الثقافية

وقد عقد المجلس تسع جلسات عمل وجلسة مغلقة .

وقد اشتمل جدول أعمال الدورة على مناقشة عدّة نقاط منها :

- متابعة تنفيذ قرارات المؤتمر العام للمنظمة في دورته غير العادية الأولى
- مشروع النظام الأساسي للصندوق العربي لمحو الأمية وتعليم الكبار
- دراسة حول وضع خطة لترجمة أبرز الكتب الأجنبية في مختلف المعارف والعلوم الحديثة
- دراسة مشروع إنشاء معهد عربي لبحوث تطوير الجامعات والتعليم العالي
- التصور الشامل لنشاط المنظمة على المدى البعيد
- دراسة حول المدن التاريخية العربية الاسلامية
- دراسة حول تبسيط العلوم والتقنية لايصالها إلى المواطن العربي
- مستقبل المركز الدولي للتعليم الوظيفي للكبار في العالم العربي
- ما تم في اجتماع رؤساء الوفود العربية للمؤتمر العام العشرين لليونسكو
- الحملة القومية العربية والاسلامية لصيانة مدينة القيروان

نـــــداء

من الأستاذ الدكتور محيي الدين صابر
المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
لصيانة الآثار العربية والاسلامية لمدينة القيروان

وجه الأستاذ الدكتور محيي الدين صابر المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم هذا النداء بنفسه من جامع عقبة بن نافع في مدينة القيروان يوم 14 صفر 1399 هـ الموافق 13 يناير / كانون الثاني 1979 م امام مهرجان حضره اعضاء المجلس التنفيذي للمنظمة والسيد أحمد مختار أمبو المدير العام لليونسكو والسيد محمد اليعلاوي وزير الشؤون الثقافية في تونس وجمع من الباحثين في الآثار، والمسؤولين بولاية القيروان ، وعدد كبير من سكان المدينة :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

التراث الثقافي والحضاري ، هو مظهر الابداع ، وعنصر الأصالة في كل أمة ، وهو مستودع قيمها ، وقوام شخصيتها ، يبقى إلهام أجيال لأجيال ... فالتراث هو عطاء الموهوبين في الحياة للحياة ، في مسيرتها الانسانية المتجددة ، إضافة فيها ، وإخصابا لها وتجميلا .. على أن الآثار ، بين عناصر التراث ، هي شواهد التاريخ الثوابت ، ووسائل التعبير التشكيلي المتكامل عن ذات الأمة .

إن الوطن العربي ، يمتلك في أقطاره ، منذ أقدم العصور ، أعظم ثروة أثرية في عالمنا ، ترادفت حينا ، وتقارنت حينا آخر ، وظلت بمقوماتها ، وخصائصها الفنية ، على موعد محسوب ، مع الحضارة الاسلامية بأصالتها في مجالات الفن والفكر والابداع ، فكان منها ذلك الفن المتفرد المنتسب إلى هوية حضارية غلابة خلاقة هي الحضارة العربية الاسلامية ... وهكذا تعددت على مدى الوطن العربي والعالم الاسلامي مراكز الاشعاع الحضاري في العالم .... وكانت القيروان ، إحدى تلك المراكز الحضارية القادرة ، وظلت خمسة قرون موصولة ، تواصل رسالتها في عطاء قدره . والقيروان ، وهي عاصمة الاسلام الأولى في المغرب العربي ، ومعبر الحضارة الاسلامية إلى الأندلس وإفريقيا تمثل ثروة فريدة من المعالم الأثرية بما تضم

من أنماط المعمار والزخارف الفنية المعبرة عن أصالة الحضارة العربية الاسلامية ، إلى جانب تلك المجموعة النادرة من التراث الثقافي من ذخيرة المصاحف والمخطوطات .

إن الحكومة التونسية تقوم ، مشكورة ، منذ فجر الاستقلال بجهود ضخمة تثقل مواردها االعامة ، صيانة للمعالم الاسلامية ، الغالية التي تنتشر على أرضها وخاصة مدينة القيروان لمنزلتها الثقافية والتاريخية وهي تواصل هذا الجهد في إصرار ، ولكن الحفاظ على هذا التراث الضخم يفوت قدرة قطر عربي واحد ،

وإن هذا العبء ينبغي أن يكون عبئا قوميا ، وإسلاميا وعالميا ، فإن هذا التراث هو ملك للأمة العربية ، وللأمة الاسلامية ، بل إنه ملك للبشرية المتحضرة كلها ..

ومن هنا ، فإن المؤتمر العام الاستثنائي للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في دورته الأولى غير العادية والذي انعقد في العام الماضي بمدينة الخرطوم دعا المدير العام إلى تبني حملة قومية عربية إسلامية لصيانة مدينة القيروان ، كذلك ، فإن المجلس التنفيذي للمنظمة في دورته الحادية والعشرين والمنعقد في مدينة تونس من 8 ـ 15 يناير 1979 ، اتخذ الاجراءات التنفيذية ، فنيا وإعلاميا ، بما يعين على متابعة السير في حملة صيانة مدينة القيروان .

وإنني ، من مدينة القيروان الشامخة ومن هذا الجامع العتيق أول قبلة قامت في أول قاعدة للاسلام والمسلمين في المغرب العربي والأندلس وأفريقيا مسجد الصحابي القائد الفاتح عقبة بن نافع الذي ركز لواء النصر ، في هذا المحراب ، ثم استقبل القبلة بمن معه من صحابة رسول الله ، عليه أزكى الصلاة والسلام ، ومن المجاهدين في سبيل الله ، هاتفا باسم الله العلي الكبير مفتتحا بذلك ، عهدا من الحضارة ، جديدا ، في هذه الربوع الغالية التي أعز الله بها الاسلام ، من هنا ، وباسم المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التي تمثل ضمير الأمة العربية ، وتراثها العالمي الخالد وفكرها الانساني القادر لأتوجه بنداء لا يخطىء ـ إن شاء الله ـ ضميرا ولا أذنا ، ولا يخطىء ـ بإذن الله ـ لبا ولا قلبا ، إلى كل الأمة العربية والاسلامية التي قضى الله أنها أمة واحدة تيمّم قبلة واحدة إلى رؤسائها ، وإلى حكوماتها ، وإلى شعوبها وقياداتها وهيئاتها المعنية ، وأفرادها من ذوي القدرة والوعي ، وإلى المنظمات والهيئات الدولية ، أن يسهموا ، بكل الأشكال الممكنة ، ماديا وفنيا ومعنويا في انقاذ مدينة القيروان العربية الاسلامية ، فلا ينقص منه شيء أو يبيد ، حفاظا على حقبة تاريخية عظيمة القيمة جليلة القدر ، هي ملك تاريخي وثقافي وروحي مشاع بين كل أفراد الأمة العربية والاسلامية .

وسوف تتخذ الحكومة التونسية بالتعاون مع المنظّمة العربيّة للتربية والثقافة والعلوم ، الأشكال التنظيمية التي يتم من خلالها العون الفني والماديّ الذي يرصد لهذا العمل الجليل .

وإن هذه التجربة التي تقدم عليها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، في صيانة مدينة القيروان ، سوف تكون زادا لها للتحرك نحو واجب الأمة العربية والاسلامية في استنقاذ وصيانة تراثها الخالد ، على امتداد الوطن العربي ، والعالم الاسلامي ، والعالم الخارجي وبخاصة في أوروبا .

وإننا في هذا المجال سوف نفيد من خبرة الهيئات القومية والدولية وعلى رأسها خبرة اليونسكو الواسعة في عملية صيانة الآثار ، وإن في وجود الأخ الصديق السيد أحمد مختار أمبو مدير عام اليونسكو ، معنا اليوم في هذه المناسبة الفريدة ، لدليلا على اهتمامه شخصيا ، واهتمام اليونسكو ، بمثل هذا الجهد ، الذي هو في حقيقته ، عمل من أجل الحضارة العالمية والثقافة الانسانية .

وفي هذا الموقف التّاريخي ، ليس هناك قول أختم به هذا النداء ، أفضل من الدعاء الذي رفعه المجاهد الفاتح عقبة بن نافع رضي الله عنه ، وردده من ورائه خمسة وعشرون من صحابة الرسول ومن قواد جيشه وهم يطوفون بمدينة القيروان :

« اللهم املأها علما وفقها ، وعمرها بالمطيعين لك ، والعابدين ، واجعلها عزّا لدينك وذلاّ لمن كفر بك ، وأعز بها الاسلام ، وأمنها من جبابرة الأرض ، اللهم حببها لسكانها وآتيها رزقها رغدا من كل مكان » .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

نص خطاب السيد محمد اليعلاوي وزير الشؤون الثقافية الذي ألقاه في جامع عقبة بن نافع بالقيروان يوم 79/1/13 بمناسبة النداء العالمي الذي وجهته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم لصيانة معالم القيروان

بسم الله الرحمان الرحيم

ضيوفنا الكرام

أيها المؤمنون

إن الحدث الّذي نجتمع له هذا اليوم ـ وأكرم به من يوم ! ـ على هذه الأرض الطاهرة ، في رحاب أول مسجد أقيم بالمغرب ، جامع عقبة بن نافع سيبقى عالقا بالأذهان لما يحمله من معاني التعاون العربي الناجع ، والتضامن الاسلامي الفعّال ، في سبيل الحفاظ على تراث حضاريّ مجيد ، يشترك فيه كافّة النّاطقين بالضّاد ، والمؤمنين بالرّسالة المحمّدية .

ففي حقل التّعاون بين أقطار العالم العربيّ ، ما إن برزت المنظّمة العربيّة للتّربية والثّقافة والعلوم للوجود حتى أخذت في دعم الحوار المثمر بين البلدان العربية والبلدان الاسلامية ، خدمة للتّراث الزّاخر ـ بين مكتوب ومشيّد ومحفوظ ـ الذي رسمته على أديم أراضينا الحضارة العربيّة الاسلاميّة الخالدة ، فصار جزءا لا يتجزأ من شخصيّتنا وعنصرا لا ينفصم من ذاتيّتنا .

وإنّا ـ معشر العرب ـ لمدينون بهذه الجهود المتواصلة لاحياء اللحمة الثقافية بيننا ، للمجلس التّنفيذي للمنظّمة ، الذي ما فتىء يلتمس الحلول النّاجعة لقضايانا التّربويّة والحضاريّة ، فأبى اليوم إلاّ أن يقطع أشغال دورته الحادية والعشرين المنعقدة بتونس ليحضر معنا بكافة أعضائه فيتوجه إلى العالم العربيّ والاسلاميّ خاصة بنداء علنيّ لانقاذ معالم أول مصر عربي إسلامي أنشىء بأرض المغرب الطيبة ، ألا وهو مدينة القيروان .

وإنّا لمدينون بالخصوص إلى الدكتور محيي الدين صابر المدير العامّ للمنظّمة العربية الّذي كان خطّط مع زميلي الأستاذ الشاذلي القليبي لهذا النّداء ، فتبنّاه مؤتمر المنظّمة بالخرطوم في أغسطس الماضي .

وإنّه لمن حسن الاتفاق وسعد الطالع أن يشهد الأستاذ أحمد المختار أمبو مدير المنظّمة الأممية للتّربية والعلم والثّقافة (اليونسكو) ، هذا الموكب الذي به يفتتح الدكتور محيي الدين صابر حملة المنظّمة العربيّة لصيانة مدينة القيروان . وإنّي أرى في تواجدهما معنا ، في يومنا هذا ، ومكاننا هذا ، ولغرضنا هذا ، مغزيين اثنين :

ـ المغزى الأوّل هو أنّ في حضور الأستاذ أمبو تأكيدا لما أقرّته اليونسكو ـ وبالتّالي الدّول التي تتركّب منها المنظّمة ـ من أنّ الحضارة العربيّة الاسلاميّة حقيقة بالتّقدير والرّعاية والاحياء ، كغيرها من الحضارات البشريّة العالية الخالدة التي ابتكرها فكر الانسان وصنعتها يده .

ـ والمغزى الثّاني هو أنّ وقوف الدكتور صابر والأستاذ أمبو جنبا إلى جنب في هذا المكان الطّاهر المقدّس ، عنوان على تعاون مكثّف متواصل بين المنظّمة العربيّة ومثيلتها الأممية ، وعربون على حوار متعمّق ، أساسه التفهّم والتّعاطف والوئام ، بين حضارتنا وبقية حضارات العالم .

ضيوفنا الكرام ، أيّها السادة ،

ها نحن اولاء نجتمع اليوم من أجل هدف مثاليّ سام ، وهو إنقاذ القيروان .

ـ القيروان التي بها تعتز العروبة والاسلام ، ويحقّ للعالم بأسره أن يفخر بها لأنها إحدى اللّبنات الفاخرة التي تركّبت منها صروح الحضارة الانسانية ، مثل إهرام الجيزة أو معبد البارتينون أو قصر تاج المحال .

ـ القيروان بجامعها هذا العتيق ومقاماتها المنتظمة في عقود التّاريخ ، ومساجدها المبثوثة في كل درب من دروبها ، وأسوارها التي حمتها مرارا من كيد الغزاة الماكرين .

ـ القيروان بأضرحة علمائها ـ قضاة كسحنون وعبّادا كالسّبائي ـ الّذين طبعوها بخاتم الايمان المجاهد والعقيدة العاملة ،

فنشروا بتعليمهم ومصنّفاتهم حضارة الاسلام ولسان العرب في إفريقية كلها، حتى صارت إفريقية تعرف بالقيروان، بل تجاوزوا حدودها إلى ما تحت الصحراء وإلى ما فوق البحر، إلى طمبوكتو وكانو، وإلى صقلية وإسبانيا، فأقاموا المساجد وأسّسوا المدارس، وعلّموا الناس الصناعات والفنون.

ـ القيروان الّتي منها انطلق جوهر نحو وادي النيل فكان الجامع الأزهر منه أوّل هديّة يقدّمها المغرب إلى المشرق.

فالقيروان، أيها السّادة، إحدى القرائد التي يتركب منها ما نصطلح على تسميته بـ« التراث العالمي ». وإنّ هذه العبارة ـ التراث العالميّ ـ تجسّم انتصارا للفكر والحضارة، ففيها دليل على أنّ البشريّة اليوم لم تعد تقصر همّتها على النّظر إلى حاضرها والتّفكير في غدها، بل صارت تلتفت أيضا إلى ماضيها وتفخر بتراثها وترصد نصيانته الأموال الطائلة وتكرّس الجهود المضنية، دون توقّف ـ في الأغلب ـ عند الاقليمية الضّيقة والانتساب الأنانيّ.

فبعنوان « التراث العالميّ » حوّلت معابد « أبو سنبل » فانحسرت عنها المياه، وبعنوان التّراث العالميّ تصان معالم قرطاج، وبعنوان التّراث العالميّ أيضا تنقذ قصور البندقية وكنائسها من أملاح البحر وطحالب القنال.

وإنّ القيروان لبندقية المغرب والمشرق، فنحن لها اليوم هاهنا مجتمعون.

القيروان اليوم تذهب أدراج الرّياح. يتعاقب على معالمها سموم الصّيف وجليد الشّتاء، وأسوارها أوهَنَتْهَا السّنون، وقبابها آذنت بالجثو والانهيار.

ولكنّ القيروان صامدة أمام عوادي الدّهر، تريد أن تحافظ على روحها، وأهل القيروان، المعتزّون بتاريخهم، الفخورون بتراثهم، لم تذهب نفوسهم حسرات، ولم يخلدوا إلى اليأس، بل هم مصمّمون على أن يعيشوا عصرهم الحاضر ويبنوا مستقبلهم الضّاحك، ويأبون أن تموت مدينتهم فتحنّط في أكفان الماضي: لقد بذلوا الجهود و قدّموا التضحيات وآزروا الدّولة في مخططات التّرميم والصّيانة والاحياء: فكان، من ثمرات هذا الجهاد الدائم إنقاذ جامعنا هذا من التّداعي، وإرجاعه إلى بهجته الأولى، وترميم قسم كبير من الأسوار، وصيانة برك الأغالبة، وكان أيضا بدء الكشف عن معالم الفاطميّين بصبرة ـ المنصوريّة، وكان بالخصوص ـ وهذا مثال ناطق من إنعاش الأحياء مع احترام الأموات ـ الشّروع في إقامة السد ـ سدّ بورقيبة ـ الّذي به ستحفظ من السّيول، وتخصب منها السّهول.

ولكنّ هذا المجهود الجبار، وهذه التضحيات الجسيمة لم تكف لجعل القيروان في مأمن من غائلة الزمان، وإرجاعها إلى سالف تألقها، وإنّ العمليّات المنفردة المحدودة الّتي يضطرّنا ضيق اليد إلى الاقتصار عليها، لا تغني فتيلا أمام دبيب الخراب وزحف الوهن.

أيها المؤمنون

إنكم جمع جليل من الأساة، جئتم اليوم لعيادة القيروان، وإنّ حضوركم لحريّ بأن يعيد إليها الأمل فالروح.

فلئن تجسّم التعاون الاقتصاديّ بين العرب بالأمس في تحقيق مشروع سدّ بورقيبة الّذي سينقذها من الأمواه الجارفة، ويحوّل رمالها إلى أجنّة مخضرّة، فإن تعاونهم الثّقافي لقادر أيضا على إنقاذ معالمها اليوم وغدا من براثن الخراب والدّمار.

وما ذاك على العزم العربيّ بعزيز. والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نص الخطاب الذي ألقاه السيد أحمد مختار أمبو المدير العام لمنظمة « الأونسكو » بمناسبة الحملة العالمية لصيانة الآثار العربية والاسلامية لمدينة القيروان يوم 13 جانفي 1979

يا صاحب المعالي،

إنه لمن دواعي الغبطة والفخر، أن أجدني اليوم بالبلاد التونسية: أرض الثقافة وحسن الوفادة حيث ينمو التراث العربي

الاسلامي بامتزاجه وتلاقحه مع الثقافات القديمة والحديثة لافريقيا وأوروبا وآسيا وهي أيضا أرض اللقاءات التي تتشرف اليونسكو بأن تربطها بها علاقات ودية وثيقة .

وإني لمبتهج على الأخص بأن أسهم معكم في الحملة التي تهدف إلى تحقيق صيانة مدينة القيروان المجيدة ، مشركا منظمة اليونسكو في عملي هذا .

لقد برزت القيروان إلى الوجود في العهود الأولى التي ترسخ فيها الاسلام وهي زاخرة بكنوز الفن والآثار المقدسة وما انفكت متشبعة بالتقاليد التي مرت عليها آلاف السنين وإن الحفاظ عليها وإحياءها ليستجيبان على حد السواء ، لداع أدبي يوحي به وازع التدين ولحاجة تقتضيها الأصالة الثقافية .

ذلك أن المعالم التاريخية تبدو وكأنها عناصر أساسية في تكوين ذاتية شعب بأسره وفيما يخص الأمم التي تسعى جاهدة في سبيل السيطرة على نموها فإن ماضيها يخاطب مستقبلها بصريح العبارة فيصبح لحظة حاسمة في الشعور بالذات أما بالنسبة لباقي الانسانية فإن الماضي يندرج كشهادة يعز تعويضها في نطاق الحوار الدائم بين الحضارات .

بيد أن مدينة القيروان تستحق ، لعدة اعتبارات أخرى ، استقطاب الانتباه إليها في الفترة التي أخذ العالم الاسلامي يعد العدة للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر للهجرة .

وعندما كان عقبة بن نافع يرسي أسس تلك المدينة التي يقولون إنها المعقل الأمامي للاسلام في ربوع المغرب ألم يتمن على الله أن تبقى إلى أبد الآبدين في خدمة الاسلام مبتهلا إليه تعالى أن يملأها علما وفقها ؟

ولم تنفك مدينة القيروان طوال عدة قرون مدينة العلماء والفقهاء كما يشهد على ذلك بالأخص ازدهار المذهب المالكي فيها على يد الامام الأعظم سحنون وانتشاره فيما بعد في بقية أنحاء المغرب وإفريقيا .

إن منظمة اليونسكو التي تساهم مساهمة فعالة مع الحكومة التونسية في الاضطلاع بصيانة مدينة قرطاجنة وبترميم مدينة تونس العتيقة وبالحفاظ على موقع سيدي أبي سعيد ، لا يسعها إلا أن تعلن عن ابتهاجها بالعمل الدولي الذي تقوم به تونس تحت إشراف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، بغية صيانة مدينة القيروان وإني أتقدم بالشكر ، صادقا ، إلى المسؤولين عن المنظمة الذين مكنتني مبادرتهم اللطيفة من الحضور بين ظهرانيكم بمناسبة انطلاق هذا المشروع .

وإني انتهز فرصة حضور المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الدكتور محي الدين صابر لأقدم إليه تحياتي الأخوية ، ولأعبر لكم عن مدى اهتمامي بما يشغل بالكم وتضامني معكم فيما تسعون إليه .

وإني أتمنى لكم ـ أصالة عن نفسي ونيابة عن منظمة اليونسكو ـ أكمل توفيق وأتم نجاح *

الندوة الاسلامية الخامسة بالقيروان

افتتحت بالقيروان في يوم 5 فيفري 1979 الندوة الاسلامية الخامسة وقد خصصت ، في هذه السنة للبحث في دور القيروان في انتشار الاسلام وازدهار الحضارة الثقافية العربية الاسلامية .

وقد افتتح السيد محمد اليعلاوي وزير الشؤون الثقافية أشغال هذه الندوة بكلمة تحدث فيها عن دور المثقف الاسلامي في مجتمعه فقال إنه يتمثل في إقامة البرهان للأبحاث والارشاد بأن الدين الاسلامي مساير لكل المجتمعات وصالح لكل زمان ومكان وقادر على مواكبة التطور وقال إنه يجب على المثقف الاسلامي أن يقنع صنف الشباب ممن ينقدون الدين بفعل بعض التيارات الفكرية أن الاسلام دين إيمان وعقيدة من جهة ودين سلوك وعمل من جهة أخرى يضبط علاقات الفرد بوسطه ويعطي جوابا صحيحا لكل مشكلة قد تطرأ في هذا العصر وغيره .

وقد شارك في هذه الندوة الأساتذة :

ـ التهامي نقرة : من تونس
« نبوة محمد ودلالتها من القرآن »

ـ عبد العزيز الدولاتلي من تونس :
« تخطيط المدينة العربية مرآة للمجتمع الاسلامي »

ـ قاسم الخطاط مدير معهد المخطوطات العربية بالقاهرة :

« القيروان في كتب الأقدمين »
ـ عبد المجيد النجار من تونس :
« دور القيروان في تلقي الأشعرية ونشرها »
ـ عبد الهادي التازي من المغرب :
« دور القيروان في ازدهار مدينة فاس »
ـ محمود الباجي من تونس :
« بيت الحكمة بالقيروان : منشؤها ، ومحتواها ، وإشعاعها »
ـ علي الشنوفي من تونس :
« مقام أبي زمعة البلوي ودوره في العهد التركي »
ـ المنجي الكعبي من تونس :
« الامامة والزعامة الدينية »
ـ عبد المولى البغدادي من الجماهيرية الليبية :
« قصيدة مشرقية في أمير أغلبي »
ـ محمد بو الأجفان من تونس :
« الخصائص النبوية »
ـ محسن العابد من تونس :
« يحي بن سلام رائد التفسير القرآني بالقيروان »
ـ سليمان عيسى من العراق :
« أصناف الخط العربي وتاريخه »
ـ علي شنيتر من الجزائر :
« من وحي القيروان »
ـ محمد الطالبي من تونس :
« الأمة الاسلامية بلا حدود » ✱

السيد محمد اليعلاوي وزير الشؤون الثقافية في طوكيو

قام الأستاذ محمد اليعلاوي وزير الشؤون الثقافية في أواخر شهر جانفي الماضي بزيارة إلى اليابان استغرقت عدة أيام ألقى خلالها محاضرة بنادي الصحافة القومية بطوكيو بحضور عدة صحافيين ، وسفراء لبلدان صديقة .

وأبرز الوزير في هذه المحاضرة ثراء التراث الثقافي القومي والحضارات المتعددة التي تعاقبت في تاريخ تونس منذ عصر الممالك البربرية إلى العهد العربي الاسلامي ✱

زيارة الدكتور حسين أمين الأمين العام لاتحاد المؤرخين العرب (5 - 9 فيفري 1979)

أدى الدكتور حسين أمين الأمين العام لاتحاد المؤرخين العرب زيارة إلى تونس كان أثناءها ضيفا على وزارة الشؤون الثقافية وتندرج زيارته في نطاق الاعداد لمهرجان « الحضارة العربية بالأندلس » الذي ينظم بمدريد ، والمدن الأندلسية : غرناطة ، قرطبة ، طليطلة ، وإشبيلية في صيف 1980 ، وإعداد اجتماع المكتب الدائم لاتحاد المؤرخين العرب وقد أجرى د . حسين أمين محادثات مع السادة محمد اليعلاوي وزير الشؤون الثقافية ومحمد مزالي وزير التربية القومية في نطاق مهمته ، وقد كانت له أيضا جلسات عمل مع السيد الحبيب الجنحاني مدير إدارة الآداب ، وعضو المكتب الدائم للاتحاد لضبط آفاق مساهمة تونس في مهرجان الحضارة العربية بالأندلس ، وتراتيب اجتماع المكتب الدائم بتونس في شهر أفريل القادم ، وكان له لقاء بكلية الآداب مع أعضاء الجمعية التونسية للتاريخ والآثار وجمعية المؤرخين الجامعيين ✱

من أجل تنمية الكتاب العربي

يعد معرض القاهرة الدولي للكتاب مناسبة هامة للتعريف بالكتاب العربي وسوقا سنوية لترويجه على نطاق واسع قل ان يتحقق بالاعتماد على الاساليب التقليدية العادية لتوزيع المطبوعات العربية .

وقد أقام المعرض في المدة الاخيرة دورته الحادية عشر من 25 جانفي الى 4 فيفري الماضي وان لم تساهم في هذه الدورة أكثر من سبعة من مجموع الدول العربية هي تونس ومصر والسودان ولبنان والسعودية والمغرب والكويت .

ونظم مركز تنمية الكتاب العربي ، على هامش المعرض ، حلقة دراسية حول مشكلات إنتاج وتوزيع الكتاب العربي ركزت على مشكلات كتاب الطفل بالبلاد العربية فأصدرت بشأنها جملة من التوصيات منها احداث جائزة لأحسن كتاب عربي للأطفال يصدر خلال سنة 1979 ، ومنها تنظيم مسابقات أخرى في إنتاج كتب الأطفال على المستوى الوطني والعربي .

كما تناولت الحلقة بالاضافة إلى هذه المسألة الأساسية ، قضايا أخرى تتصل بترويج الكتاب العربي وحقوق التأليف والابداع القانوني ... وأصدرت بشأن هذه القضايا وغيرها جملة من التوصيات الهامة لعل في تنفيذها ما يساهم فعلا في تنمية الكتاب العربي وتطويره ...

غير أن أسئلة هامة تظل مطروحة بهذا الخصوص ، وربما كان من العسير حقا أن يحقق المركز أهدافه أو تجد توصيات حلقاته سبيلها إلى الانجاز والتنفيذ ما لم تقع الاجابة على هذه الأسئلة بوضوح تام على المستويين القانوني والتنفيذي الفعلي .

فهل أن مركز تنمية الكتاب العربي هو مركز إقليمي عربي من قبيل المراكز الاقليمية المشابهة التي انشئت بالتعاون مع منظمة اليونسكو أم هو مركز وطني مصري يمارس نشاطاته باعتباره قسما تابعا لمؤسسة مصرية هامة هي الهيئة المصرية العامة للكتاب ويمكن ان يقدم بعض الخدمات ، متى امكن ، إلى الجهات العربية التي تعبر عن حاجتها إليها ؟

واذا كان المركز اقليميا عربيا فما هي برامج عمله ؟ وهل ساهمت كافة الدول العربية في وضعها وضبط الأولويات فيها ؟ ثم ما هي إمكانيات المركز ووسائل عمله المالية والفنية ؟ وما أسلوبه المعتمد في تمثيل الجهات العربية المعنية وإسهامها في نشاطاته ؟ وهل قدم ، حتى الآن ، تقارير عن منجزاته وما وجده من صعوبات في تحقيق مشاريعه ؟ وما أسلوبه في متابعة التوصيات التي تصدر عن حلقاته السنوية ...؟

إن الاجابة على هذه الأسئلة وغيرها ، مهما كانت الأجوبة ، من شأنها أن تساهم في خدمة الكتاب العربي. *

عبد العزيز العاشوري

معرض رضا الزيلي شاعر الصورة

حقا إن الحياة ، أقل واقعية من الفن ...

بيرندلو

كتبت هذه الكلمة بمناسبة المعرض الذي أقامه رضا الزيلي في نهاية فيفري الماضي بقاعة الأخبار :

نعيش اليوم عهد آلات التصوير العصرية الدقيقة ، عهد الكامرا المتجسسة ، عهد الكامرا التي تواكب الشذوذ . وكل منا يستطيع التقاط أجمل الصور ، بدون شعور بالحرمان . وهكذا تنزل الصورة إلى الشارع ... فتتعدد المعارض . ونشعر بأن هذا الفن صعب المراس ، نشعر أن هناك أنواعا شتى من المصورين . نشعر وأن الحاذقين لفن الصورة قلة : أولائك الذين يجعلون من آلات تعكس صور اشخاص واشياء ، أداة للتعبير معقدة . أولائك الذين يحولون الآلية إلى فن

أجل فهناك صورة وهناك كذلك مصورون ، هناك من الاشخاص من يخضعون إلى الصورة كوسيلة لتخليد حدث عائلي أو ما شابهه . وهناك من الأشخاص من يبحثون عن الصورة النادرة ، وهناك كذلك مصور أيام



الآحاد وهناك من اهتم بالبحث التقني فقط ، وهناك الصحفي وهناك الفنان الذي يدخل عالم الصورة كمن يعتنق دينا . ذلك الذي يستعمل هذه الوسيلة ليخلق العالم مرة أخرى ، ليخلق ، عالما له .

ورضا الزيلي ينتمي إلى هذا الصنف النادر إنه مصور في الشعر ومصور الشعر شاعر في الصورة أرى أن هذه المقدمة ضرورية ولو أنها طويلة شيئا ما : فهي تضعه في مكانه . ضرورية قراءة ديوانه « إفريقيا . يا خاطري » (1) ضرورية كالتعامل مع أعماله الفوتوغرافية التي تضمنها معرضه الذي أقيم بتونس في شهر فيفري المنصرم ، والذي أبرز ثراء هذه الأعمال .

إذا أردنا التعرف على أعمال رضا الزيلي وإذا أردت تقييمها فلنعرف أن ميزتها هي أن الشعر والصورة شيء واحد بالنسبة إليه . إنها فنان متوازيان ، يتكاملان ويجد فيها هو تكامله . فان اعتقد الفن الاول التجأ إلى الفن الآخر ، التجأ إلى الشعر عندما حالت الظروف بينه وبين خلق الصورة وهكذا .

ولد ديوان « إفريقيا . يا خاطري » ، وإن شعره ككل الأشعار ، ولكنه يرتكز على الاستعارة التي هي صورة في نفس الوقت مدققة ، شعرية كذلك . ولا يعثر على هذه الصور الرائعة التي يتضمنها ديوانه (الاستعارة) إلا

من تعمق في دراسته . ديوان الألوان والخطوط . ديوان الايقاعات والحركات . إنما رضا الزيلي غير مرتاح لعودته إلى التصوير الفوتغرافي بعد محاولته الشعرية الناجحة . وذلك إنه يشعر بالحرمان من شيء ما . ألا وهو الكتابة .

إنه لم يعد يكتب ولكن ذلك لا يدل على عدوله فهو يأمل بأن يتفرغ في يوم من الايام ليحقق هذا الابداع الموازي لابداعه الآخر . هذا الابداع الذي يعبر عن رضا الزيلي . لانه إبداع ناتج عن الشعور المجنح . وعن افتتانه بالكلمة .

وفي تواضع يصرح رضا الزيلي إنه يجد سهولة أكثر في إستعمال الصورة الفوتغرافية للتعبير عما يشاهده وللتعبير عن نفسه وعن شعوره ذلك ان الطبيعة غنية جدا وموحية . ولكن رضا الزيلي ينسى أن يضيف (من التواضع) أن الطبيعة غنية بالنسبة لمن يحسن النظر إليها . ذلك الذي يغوص على كنهها فتشاركه . وتبوح له بأسرارها . فتمنحه حروفها الهيروغليفية ... فيفك رموزها وينقلها لمن يعرف « القراءة » .

يعود رضا الزيلي إلى الكلمة بصفة لاشعورية ربما لشعوره بالحرمان من الكتابة . فعندما يلتجىء إلى الصورة التجريدية يظهر وكأنه يكتب وهذه الصورة التجريدية أخذت مكانة في معرضه المنصرم .

يرضي رضا الزيلي حبه للبحث فيتحكم في الصورة التي يلتقطها كما يتحكم في الكلمة عندما ينظم الشعر . فيبرز هذا الشيء المضمر والذي يترصده دائما . ان الكلمة تتناقض ظاهريا مع الصورة . لانها لا تعكس بوفاء كل ما تعبر عنه كالطبيعة . والأشخاص والأشياء ... وهذه الكلمة التي يستعملها الانسان للتعبير والتبليغ والاثارة . لذلك فان رضا الزيلي يعبر بوسيلة واحدة (الصورة) عن الميزتين اللتين يختص بهما . ميزتان معبرتان دائما . لا تخضعان إلى التكرار أبدا .

ان رضا الزيلي لا يلتجىء إلى الصور التجريدية انطلاقا من أجزاء صور فقدت واقعيتها . ولكنه ينطلق من واقع متفجر متغير . متنكر . بل مرفوض .

ان فن رضا الزيلي يضايق (وقليلا ما يحدث هذا لكل أثر أصيل) فنتساءل نحن : أهذا أثر فني ؟ هل هو نفس المصور ؟ أجل : إنه نفس المصور . ولكنه يتعدد كما تتعدد جوانب صورته . ذلك لانه لا يتوقف عند التصاقه بالواقع (القناع . واحة . زهور) . وإنما ينتقيه يعطيه شكلا فيتحصل على تراكيب عميقة التجرد . فنجد أحيانا . صورة شخص . أو شيء . أو مشهد . (ظلال ليلية . صورة شخص . الغسيل . رقصة المناديل . أشباح بحرية) وأحيانا أخرى يذوب الواقع . ويتدحر (تخيلات . حلقات . أخيلة ...)

ان تطلعات رضا الزيلي إلى عالم غير مادي تنبع دائما من الواقع هذا الواقع المضمر بالنسبة للكثيرين . يغري نظرته المترصدة . فتحدث المفاجأة وتحدث الصدمة . ونرى جمال الشذوذ في كل ما هو واقعي (الدرج) جمال أصيل . بسيط وغير مقلد . ولكنه يؤول دائما إلى التغيير والتطور . فيصل الى رؤى تعتمد الخيال والالوان (حتى اللون الاسود واللون الابيض) المتناسقة . وتبرز تونس هنا أمام الشاعر المصور . كما يشاهدها كل الناس بدون ان يروها . كما يظهرها رضا الزيلي .

وهكذا يتفجر الأثر الفني من تلاقح الواقع والخيال . هذا الأثر له خصب اللاواقعية وخصب الحلم والابداع التشكيلي . ويعتمد فن رضا الزيلي على كثرة الالوان والخطوط الجميلة .

ويتجلى إبداع رضا الزيلي في انطلاقه من الواقع . حتى تراكيبه التجريدية تنطلق من الواقع . هذا الواقع الذي يعيشه كل الناس دون ان يروا فيه كتابا مفتوحا مليئا بالاسرار والحكايات . هذا الواقع الذي لا ينفذ إليه سوى المبدعين والحقيقيين منهم فقط .

هؤلاء المبدعون الذين توصلوا اليه ونفذوا اليه بفضل العمل المتواصل وهو عمل يقتحمه غير المختصين أحيانا . والمختصون لا يستطيعون غير التقييم لكل مبدع مفاتيح وهي لا تتشابه ابدا .

شعر منغرس في افريقيا . صورة منغرسة في تونس . هذا الاسم الذي يتفاعل مع النوعين من الفن . وتغني الاشكال والجمال معا بكثير من الدقة . ويربطها إلى بعضها بعض خيط مستتر .

أجل ان قلب رضا الزيلي ينبض بحب تونس . انه شاعر الصورة مصور الشعر ✱

نص : صوفية القلي.تعريب : نافلة ذهب



المؤتمر الثاني للوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافية في البلاد العربية (طرابلس 10-13 فيفري 1979)

انعقد المؤتمر الثاني للوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافية بمدينة طرابلس من 10 إلى 13 فيفري الماضي بدعوة من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم مع الملاحظة أن المؤتمر الأول انعقد بمدينة عمان في ديسمبر 1976 ، وأوصى أن ينعقد مؤتمر وزراء الثقافة العرب كل سنتين لبحث قضايا معينة ضمن برنامج عمل تقترحه اللجنة الدائمة للثقافة العربية .

ومن أبرز النقاط التي تضمنها جدول أعمال المؤتمر مناقشة تقرير المدير العام للمنظمة عن نشاط المنظمة في خططها القصيرة والمتوسطة المدى ، ومشروع اتفاقية بين الدول العربية لحماية حقوق المؤلف ، والآثار العربية التي تسربت إلى خارج الوطن العربي ، ومشروع اصدار موسوعة عربية ، وبرنامج المنظمة للاحتفال بمرور 14 قرنا على الهجرة النبوية الشريفة .

أما الموضوع الرئيسي الذي بحثه المؤتمر فهو « نحو استراتيجية للثقافة العربية » ، وقد أصدر المؤتمر توصيات ذات شأن ستعمل المنظمة على تنفيذها خلال مراحل زمنية محددة



● المؤتمر الثاني للوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافية في البلاد العربية في احدى جلساته العامة

خطاب السيد وزير الشؤون الثقافية في المؤتمر الثاني للوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافية في البلاد الغربية

بسم الله الرحمان الرحيم

سيدي الرئيس

سيداتي ، سادتي

انه لما يسعدني أيما اسعاد أن أعبر ، باديء ذي بدء ، عن المشاعر والعواطف التي يحملها الوفد التونسي لدى حضوره للمشاركة في مؤتمركم الكريم وانها أولا مشاعر الأخوة الصادقة وعواطف الشكر والامتنان للحكومة الليبية والشعب الليبي الشقيق .

ثم يتلوهذا شكرنا إلى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم على ما أتاحت لنا من فرصة اللقاء على هذه الأرض الطيبة من الوطن العربي للتشاور وتبادل الرأي حول قضايا على غاية من الأهمية فيستفيد كل منا من تجارب الآخر ويلم كل قطر عربي بالمجهودات التي تبذل في الأقطار الشقيقة الأخرى للنهوض بالانسان العربي والرفع من مستواه . واننا لنرجو من الله تعالى أن تجني الأمة العربية شاملة من مؤتمرنا هذا ثمراتٍ طيبةً تتقدم بها خطواتٍ في سبيل المصير الأفضل الذي نصبو إليه جميعا .

سيداتي ، سادتي

ان عقد هذا المؤتمر الذي جاء مواليا لمؤتمر عمان في سنة 1976 لدليل على أن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تولي

اهتماما متزايدا إلى قضية التنمية الثقافية بالبلاد العربية باعتبارها أداة يتوقف عليها إلى حد بعيد نجاح مخططات التنمية الاقتصادية والاجتماعية وبلوغ ما ترمي إليه برامج التنمية الشاملة من رقي عمراني وتقدم حضاري .

وفي الحق أنه لا غرابة أن تهتم منظمتنا بمشاكل التنمية الثقافية بقدر اهتمامها بتقدم التربية والتعليم . فقد أصبح اليوم من الحقائق البديهية أن الثقافة لها صبغة حيوية ودور عظيم في تزكية الملكات الانسانية وصقل الامكانات البشرية وذلك باكساب الفرد ـ علاوة على كفاءته المهنية والفنية ـ القدرة الذهنية والشعورية والاخلاقية التي تجعل منه انسانا كامل البشرية ، خالص الجوهر قادرا على الارتقاء دوما في ميدان أختصاصه وفي قيمته الذاتيّة على حد السواء .

ولبلوغ هذه الغاية أصبح من الواجب أن تتضافر جهود المسؤولين على الشؤون الثقافية في كامل البلاد العربية لاستنباط الطرق العمليّة والأساسيّة الفنية الكفيلة بنشر الثقافة على أوسع نطاق والاقتراب أكثر فأكثر من المواطنين في مختلف الأوساط من الاتصال بهم للتعرف على ميولهم واكتشاف مواهبهم والعمل على تهذيبها حتى تكتسب القدرة على البروز والمساهمة في اثراء الانتاج الفكري والفني .

لذا يبدو ان من أهم ما سيعنى هذا المؤتمر بدرسه جملة من المسائل الناجمة عن ضرورة رسم ملامح الخطة الثقافية خلال الأعوام الخمسة القادمة وضبط مقترحات ايجابية تخص سياسة التنمية الثقافية في الوطن العربي . ذلك أن الثقافة بمفهومها الجديد تعتبر اليوم عاملا أساسيا من عوامل النهضة الاقتصادية والاجتماعية وهي المحرك الأساسي لبقية قطاعات التنمية كالاقتصاد والتربية والاجتماع .

وعلى أنه ليس غرضي من هذه الكلمة أن أدخل في صميم المواضيع التي سيتناولها المؤتمر بالدرس بل أود أن أشير في هذا الصدد إلى بعض المسائل التي لا مناص من الوقوف عندها وتحليلها والتي سوف تلقى ولا شك ما تستحقه من التحليل المدقق والمعالجة الشافية .

من ذلك مثلا أنه يتعين علينا أن نولي عناية خاصة لقضية توزيع الكتاب العربي بكافة الأقطار العربية وان نسعى إلى استنباط الطرق الكفيلة بتيسير ترويج الكتاب العربي ورفع الحواجز التي تحول دون تحقيق هذه الغاية على الوجه المرضي .

كما يجدر بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم أن تساعد على تذليل الصعوبات التي تعترض سبيل الباحثين العرب الراغبين في تحقيق المخطوطات العربية وأن تعمل على التنسيق بين الجهود المبذولة لاحياء تراثنا العربي المشترك الذي ساهم أسلافنا في إثرائه وتعزيزه .

أما بخصوص قضية « حقوق المؤلف » فان الوفد التونسي يرحب بفكرة إبرام اتفاقية بين الدول العربية لحماية الملكية الأدبية والفنية .

ولقد كان من سداد الرأي أن عقدت المنظمة لهذا الغرض اجتماعا للخبراء الحكوميين بالجزائر أفضى إلى ضبط مشروع اتفاقية عربية لحماية حقوق المؤلف .

ولتوفير أسباب النجاعة لهذا المشروع يبدو لي من المفيد أن تدعو المنظمة ، الدول العربية التي ليست لها إلى حد الآن قوانين من هذا القبيل ، إلى وضع تشريع يضمن حماية الملكية الأدبية والفنية ببلادها .

وهناك فكرة ثالثة أعرضها على المنظمة : وهي أن تعمل على فتح مراكز للثقافة العربية ومعارض دائمة للحضارة الاسلاميّة بكبريات مُدن العالم الغربيّ ، فنجعل بذلك ثقافتنا وحضارتنا حاضرتَيْنْ باديتَيْنْ للعيانِ الغربي ، واقفتَيْنْ ظاهرتين أمام الحضارة الغربيّة التي لا تزال طاغية على بعض أذهاننا وفي طرق معيشتنا . وتكون هذه المراكز على غرار معرض الفن الاسلاميّ الذي أقيم بلندن سنة 1976 ، وعلى غرار ما يَعتزم اتحاد المؤرخين العرب تنظيمه بالأندلس في العام القادم ـ برهانًا على أن الثقافة العربية ثقافة حيّة دائماً فتيّة دائما ، لا ثقافة متقادمة محنّطة .

ويطيب لي في خاتمة هذه الكلمة أن أشيد بروح الأخوة الصادقة التي ينبغي أن تسود جو المناقشات بين جميع المشتركين في هذا المؤتمر .

ولا غرو فجميعهم تجمعهم وحدة الغاية والهدف ، وما غايتنا الا أن نلتمس كل السبل التي تؤدي إلى تحقيق ما تصبو إليه الأمة العربية من رخاء مادي وسمو روحي ، ولعل العمل على النهوض بالثقافة خير هاد إلى هذه الغاية .

والسلام عليكم ورحمة الله

توصيات المؤتمر الثاني للوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافية بالبلاد العربية

إن المؤتمر الثاني للوزراء العرب المسؤولين عن الشؤون الثقافية في البلاد العربية المنعقد بدعوة من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في طرابلس عاصمة الجماهيرية العربية الليبيّة الشعبية الاشتراكية في الفترة من 13 ـ 16 ربيع الأول سنة 1399 هـ الموافق 10 ـ 13 فبراير / شباط 1979 م .

ـ إيمانا منه ، بأن الثقافة أكثر النشاطات اتصالا بكرامة الانسان ، فبها تتأكد للفرد ذاته وتتقرر شخصيته ، وبها يمارس حريته ، وبها يتحرر المجتمع وتثبت هويته .

ـ وادراكا منه ، بالدور الأساسي الذي تقوم به الثقافة في عملية التنمية الشاملة .

ـ واقتناعا منه بأن التنمية الثقافية العربية ينبغي أن تعالج على المستويات الوطنية والقومية والعالمية ، وأن تكفل لها الحماية اللازمة .

وإيمانا بأن بناء الانسان العربي ، ينبغي أن يحاط بضمانات الأمن الثقافي التي تكفل استمرار نمو هذا البناء عضويا ووظيفيا ، وذلك بالتحكم القومي في البنى الأساسية لانتاج أدوات الثقافة واتاحتها بالوفرة العادلة .

وإدراكا منه للدور المهمّ للحضارة العربية الاسلامية وأثرها الفعال على الانسانية ، مما يلقي مسؤولية قومية وواجبا مقدّسا على أمتنا ، في تنمية الثقافة العربية ونشر لغتها في الخارج ، وخاصة في إفريقيا وآسيا .

واقتناعا بضرورة إبراز القيم الأصيلة في التراث العربي الاسلامي للحفاظ على الهوية الثقافية وتأكيدها في مواجهة مختلف التيارات ، والتصدي بجميع الوسائل للاستلاب الثقافي .

ـ وبعد استبانة الجهود التي تبذلُها الدول العربية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في سبيل بناء الشخصية الثقافية العربية .

ـ واستجابة لتوصية المؤتمر العام في دورته غير العادية الأولى بالخرطوم بدعوة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم لوضع استراتيجية لتنمية الثقافة العربية .

ـ وإذ يسجل تقديره للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم فيما تنهض به من برامج ومشروعات ثقافية ، يوصي المؤتمر بما يأتي :

1) الخطة الشاملة لتنمية الثقافة العربية :

يدعو المؤتمر المنظمة إلى اتخاذ الاجراءات التنفيذية لوضع خطة شاملة (استراتيجية) لتنمية العربية ، ولتحقيق هذه الغاية يقوم المدير العام للمنظمة بتأليف لجنة ـ بالتشاور مع المجلس التنفيذي ـ لعرض تقريرها بهذا الشأن على المؤتمر الثالث للوزراء المسئولين عن الشؤون الثقافية في البلاد العربية .

وتيسيرا لمهمة الادارة العامة للمنظمة في تأليف اللجنة المشار إليها ،

يوصي المؤتمر الدول الأعضاء بالمبادرة إلى تزويد المنظمة بقوائم للمفكرين والعلماء الذين يمكن الاستعانة بهم في أعمال هذه اللجنة .

أن تسترشد اللجنة بالقرارات والتوصيات الصادرة عن المؤتمر الأول والثاني للوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافية في البلاد العربية ، وخاصة فيما يتعلق بالسياسة الثقافية والتعاون الثقافي بين البلاد العربية وإعداد الكفايات الثقافية في ميادين التكوين والانتاج والصناعة والتبليغ ، وذلك في نطاق المحاور الأساسية التالية : أسس الخطة وركائزها وميادينها ووسائل تنفيذها .

أن تفيد اللجنة من وثائق المنظمة ، وخطط الدول العربية للتنمية الثقافية ، وتوصيات وقرارات مؤتمرات اليونسكو الخاصة بالسياسات الثقافية وخبرات الدول النامية والمتقدمة .

2 ـ تقرير المدير العام عما تم تنفيذه من توصيات المؤتمر الأول واللجنة الدائمة للثقافة العربية :

أحاط المؤتمر علما بما تضمنه تقرير المدير العام عما تم تنفيذه من توصيات المؤتمر الأول واللجنة الدائمة للثقافة العربية ، ويعرب عن تقديره للجهود التي بذلتها المنظمة في تنفيذ هذه التوصيات .

ويوصي المنظمة بالسير قدما لاستكمال تنفيذ هذه التوصيات ، وتقديم تقرير عما قد يواجهها من صعوبات في التنفيذ إلى اللجنة الدائمة للثقافة العربية في دورتها القادمة .

كما يوصي الدول العربية ـ التي لم توافِ المنظمة بعد بتقاريرها بشأن تنفيذ توصيات المؤتمر الأول ـ بالمبادرة إلى تزويد المنظمة بهذه التقارير . وهو فضلا عن ذلك يوصي بما يلي في المجالات الثقافية المختلفة التي تضمنها التقرير :

● التعريب ونشر الثقافة العربية :

ـ يوصي المؤتمر بدعم جهود الدول العربية ذات الوضع الثقافي الخاص بمشروعات التعريب والتنمية الثقافية التي تقوم بها ، وخاصة في جيبوتي والصومال

وموريتانيا وبعض مناطق السودان .

- يوصي المؤتمر المدير العام باعطاء الأولوية لهذه الدول في تنفيذ مشروعات المنظمة الخاصة بالتكوين وتمويل الخطط الثقافية .

- يؤكد المؤتمر أهمية تقديم العون للجاليات العربية في الخارج بما يساعد على استمرار الصلة بين ناشئتها ولغتها وثقافتها . ويوصي المنظمة بمواصلة جهودها في هذا السبيل .

- يوصي بدعم اتجاه المنظمة في نشر اللغة العربية والثقافة العربية الاسلامية في الدول غير العربية وخاصة في الدول الافريقية والآسيوية ويتقدم بالشكر للدول التي ترعى هذه المبادرة وتسهم في تمويلها .

● العلاقات الثقافية الثنائية :

تحقيقا للتنسيق في مجال التعاون بين الدول الأعضاء وبينها وبين الدول الأجنبية يوصي المؤتمر :

أولا : ان توافي الدول الأعضاء المتعاقدة المنظمة بنسخة من الاتفاقيات الثنائية الثقافية التي تبرمها فيما بينها ، أو بينها وبين الدول الأجنبية .

ثانيا : أن تدعو المنظمة إلى عقد ندوة عربية يبحث فيها خطط التعاون الثقافي مع البلاد الأجنبية ، ومعالم سياسة العلاقات الثقافية العربية مع الخارج والخطط الخاصة بتنفيذها ، مع الأخذ في الاعتبار العمل على مواجهة الغزو الفكري ، وتأكيد أصالة الثقافة العربية .

ثالثا : المراكز الثقافية العربية في الخارج :

يوصي المؤتمر بأن تقوم المنظمة بالتنسيق بين المراكز الثقافية للدول العربية في الخارج بغية توحيد جهودها . وان تعينها في الحصول على البرامج والمواد الثقافية ذات الطابع القومي .

رابعا : الكتاب العربي :

تأكيدا لما أوصى به المؤتمر في دورته الأولى من دعوة الدول العربية إلى اتخاذ الاجراءات الخاصة بتيسير تداول الكتاب العربي وإزالة القيود والضرائب المفروضة عليه وتخفيض أجور نقل المطبوعات بين الدول العربية إلى أدنى حد ممكن .

يوصي المؤتمر الدول العربية بأن تهيىء الوسائل التي تكفل تخفيض سعر الكتاب العربي إلى الحد الذي يمكّن من سرعة انتشاره ويساعد على اقتنائه على أوسع مدى .

خامسا : السنة الدولية للطفل :

بمناسبة السنة الدولية للطفل يوصي المؤتمر الدول العربية بموافاة المنظمة ببرامجها الخاصة بهذه المناسبة ، لكي تتولى المنظمة من جانبها تعميمها على الدول العربية بغية التنسيق والتكامل وتبادل الخبرات .

ويوصي المنظمة بأن تتضمن برامجها المقبلة مشروعات تتعلق بثقافة الطفل العربي .

● مشروع اتفاقية بين الدول العربية لحماية حقوق المؤلف :

استجابة لما أوصى به المؤتمر الأول من دعوة المنظمة إلى مواصلة جهودها في مجالات التقريب بين التشريعات الثقافية العربية ، وفي تأكيد التعاون بين الدول العربية في مجال التأليف والنشر عن طريق اتفاقية عربية لحماية حق المؤلف .

وبعد الاطلاع على مشروع « اتفاقية بين الدول العربية لحماية حقوق المؤلف » الذي أقره اجتماع الخبراء الحكوميين لحماية حقوق المؤلف الذي عقد في الجزائر في الفترة ما بين 28 أكتوبر و 2 نوفمبر 1978 . والذي أعادت النظر فيه لجنة فنية منبثقة عن المؤتمر (راجع النص المرفق) يقر من حيث المبدأ وجوب عقد اتفاقية عربية لحماية حقوق المؤلف ويوصي الدول الأعضاء بموافاة الادارة العامة للمنظمة بما يجتمع لديها من ملاحظات حول مواد المشروع في مدة لا تتجاوز ستة أشهر حتى تتمكن الادارة العامة للمنظمة من إعداد المشروع النهائي للاتفاقية في ضوء هذه الملاحظات لعرضه على المؤتمر العام للمنظمة في دورته المقبلة .

● الآثار العربية التي تسرّبت إلى خارج الوطن العربي :

أولا : تنفيذا لما أوصى به المؤتمر في دورته الأولى من إعداد دراسة ووضع خطة عملية لوسائل استعادة الآثار العربية التي تسربت إلى الخارج .

وبعد أن اطّلع المؤتمر على الدراسة المطلوبة ، وعلى تقرير اللجنة المختصة التي انبثقت عن المؤتمر .

يوصي المنظمة بالعمل على تنفيذ توصية اللجنة الدائمة للآثار والمتاحف بدراسة وحصر الآثار والممتلكات الثقافية للوطن العربي وإصدارها في سجل مصور وفقا لتسلسلها التأريخي وذلك ضمن المشروعات المقبلة لادارة الثقافة .

كما يوصي المؤتمر الدول الأعضاء بالعمل على المشاركة الدائمة والفعالة في اللجنة الدولية الحكومية التي أنشئت بموجب القرار الذي اتخذه المؤتمر العام العشرون لليونسكو وأن تبذل كل دولة عربية أثناء مدة عضويتها في هذه اللجنة كل وسيلة ممكنة لاستعادة الممتلكات الثقافية التي سلبت أو نهبت ، إلى موطنها الأصلي .

ثانيا : استنادا إلى ما قرره المؤتمر في دورته الأولى من دعوة الحكومات العربية إلى اتخاذ المشروعات الموحّدة التي وضعتها اللجان العربية الفنية في نطاق المنظمة أساسا للتشريعات الثقافية فيها .

يوصي المؤتمر المنظمة بعرض قانون الآثار على المؤتمر التاسع للآثار تمهيدا لاقراره ، وعرضه على المؤتمر العام في دورته القادمة .

ثالثا : يوصي المؤتمر الدول العربية أن تتضمن الاتفاقيات الثقافية المعقودة بين احداها وبين أية دولة غير عربية تحوز آثارا وممتلكات ثقافية تخص هذه الدولة العربية ، نصوصا تتعلق بالتدابير العملية لاسترجاع هذه الآثار والممتلكات مهما تكن طريقة تسربها .

وبهذه المناسبة يرحب المؤتمر بما أبداه وفد الجمهورية العراقية من استعداد بلاده لانشاء المركز العربي لحصر وتنسيق الآثار العربية .

رابعا : يوصي المؤتمر بالتأكيد على التوصيات السابقة والخاصة بالمحافظة على المدن التاريخية العربية والاسلامية ودعوة الدول العربية إلى تطوير هذا الطراز المعماري والابداعي بما يضمن الحفاظ على شخصيته العربية الاسلامية جماليا وفنيّا ، وتطويعه للمتطلبات الوظيفية للحياة الحديثة .

كما يوصي بتاكيد نداء المدير العام للأمة العربية والاسلامية ودول العالم الذي وجهه في افتتاح الحملة القومية لصيانة مدينة القيروان ودعوة الدول العربية إلى

دعم هذه الحملة القومية والاسهام الفعال في انجاحها .

ـ التـراث الثقـافي العربـي في الأراضي المحتلة :

إن المؤتمر الثاني للوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافية في البلاد العربية .

إذ يدين بشدة استمرار انتهاك الكيان الصهيوني للمقدسات الدينية والتراث الثقافي العربي في فلسطين والأراضي المحتلة وتدميره وتشويهه . وإذ يذكر بالقرارات العديدة الصادرة عن المنظمات الاقليمية والدولية التي أدانت تلك الممارسات غير المشروعة وطالبت سلطات الاحتلال الصهيوني بالامتناع عن احداث أي تغيير في معالم الأرض العربية والتراث العربي .

يوصي الدول العربية بمتابعة الاتصال بمنظمة اليونسكو والهيئات والمراكز الثقافية الدولية الأخرى ، بهدف حمل سلطات الاحتلال الصهيوني على التوقف عن تشويه وطمس التراث الثقافي العربي في فلسطين والأراضي العربية المحتلة .

وان تبذل كلّ دولة عربية الجهد اللازم مع الدول الصديقة لمساندة الموقف العربي المشروع في الحفاظ على تراثنا الثقافي في جميع الأراضي العربية المحتلّة .

ويوصي المدير العام للمنظمة بمواصلة التعاون مع منظمة اليونسكو في هذا الموضوع وتقديم تقرير إلى الدول العربية بما جد في شأنه لاثارته أثناء انعقاد المؤتمر الحكومي للسياسات الثقافية الخاص بالوطن العربي .

ويوصي المنظمة بإصدار النشرات والوثائق باللغات المختلفة التي تفضح ما تقوم به سلطات الاحتلال الاسرائيلية في هذا المجال .

● مشروع اصدار موسوعة عربية :

استكمالا للجهود التي بذلتها الادارة العامة للمنظمة في إعداد البحوث والدراسات حول مشروع إصدار موسوعة عربية .

يوصي المؤتمر المنظمة بالعمل على إثراء الدراسات المتوافرة لديها وإعداد تقرير مفصل شامل بخصوصها مع بيان للتصور الفكري للمشروع والخطوات اللازمة للتنفيذ والتكلفة المالية المترتبة على ذلك ، تمهيدا لعرض الموضوع على المجلس التنفيذي والمؤتمر العام للمنظمة في دورتها المقبلة ، على أن يؤخذ في الاعتبار الجوانب الأساسية التي تناولها المؤتمر بالبحث والمناقشة .

كما يوصي الدول العربية بأن تزود المنظمة بصفة عاجلة بقوائم تشتمل على الخبراء الذين يمكن الاستعانة بهم في تحقيق مهمة اللجنة الفنية المشار إليها آنفا .

● الخطة الثقافية متوسطة المدى :

إن المؤتمر وقد اطلع على الوثيقة التي أعدتها الادارة العامة للمنظمة بشأن خطتها الثقافية متوسطة المدى ، ينوه بالجهد المبذول في إعدادها وبما تضمنته من مشروعات . ويوصي المنظمة بأن تراعي ـ عند إعداد المشروعات مستقبلا ـ التوازن بين قطاعات الثقافة المختلفة .

● الاحتفال بمرور أربعة عشر قرنا على الهجرة النبوية الشريفة :

إن المؤتمر وقد اطلع على ما أعدته المنظمة من مشروعات حالية ومستقبلة في ذكرى مرور أربعة عشر قرنا على الهجرة النبوية الشريفة .

وإذ يشيد بالجهود التي بذلتها الادارة العامة للمنظمة للاحتفال بهذه المناسبة الدينية الجليلة .

يوصي الدول الأعضاء بموافاة المنظمة ببيان كامل عن البرامج التي أعدتها لهذا الاحتفال ، على أن يتم ذلك في أقرب وقت ممكن حتى يتسنى للمنظمة تعميمه والتعريف به أولا بأول على الدول الأعضاء تحقيقا للتنسيق والتكامل وتجنبا للتكرار والازدواجية ، ولتقديم المشورة والخبرة حيث يتيسر ذلك .

توصيـات أخرى

● المكتبة المركزية :

يوصي المؤتمر بتأييد اتجاه المنظمة إلى إقامة المركز العربي للضبط الببليوغرافي باعتباره خطوة نحو إنشاء المكتبة المركزية .

● إنشاء وزارات مستقلة للثقافة :

تأكيدا لدور الثقافة في خطة التكامل الشاملة في أقطار الوطن العربي وتحقيقا لضمان أكبر قدر من فعالية التخطيط والتنفيذ للمشروعات الثقافية .

يوصي المؤتمر الدول العربية بتجميع القطاعات والخدمات الثقافية في جهاز تنفيذ موحد .

كما يؤكد على البند الأول من التوصية الثالثة للمؤتمر الأول والداعية إلى تعميم تجربة إنشاء وزارات مستقلة للثقافة إذا سمحت بذلك الظروف .

● اللجنة الدائمة للثقافة العربية :

يوصي المؤتمر الدول العربية بأن تعمل على الاستجابة إلى ما نصت عليه المادة الثانية من النظام الداخلي للجنة الدائمة للثقافة العربية من أنها تتألف من وكلاء الوزارات المسؤولة عن الشؤون الثقافية في الدول العربية ، أو من في مستواهم ، أو المديرين العامين لهذه الوزارات وذلك لتتمكن اللجنة من انجاز المهام المنوطة بها ، ومن أبرزها الاعداد لمؤتمرات الوزراء واقتراح جدول أعمالها ومتابعة التوصيات الصادرة عن هذه المؤتمرات .

قـرار شكـر

يعرب المؤتمر الثاني للوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافية في البلاد العربية عن عميق التقدير والشكر للجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية قائدا وشعبا وإلى أمانة الاعلام والثقافة والعاملين منها خاصة لكل ما أحيط به هذا المؤتمر من رعاية وتكريم ولما هيىء له من أسباب النجاح ❋

ملتقى الضبط الببليوغرافي في الأقطار العربية

(تونس 21 - 26 فيفري 1979)

نظمت دار الكتب الوطنية التونسية بمساعدة اليونسكو هذا الملتقى بمتحف الفنون الحية بالبلفيدير وهو يعتبر مواصلة للجهود التي يبذلها المكتبيون في كافة أنحاء

العالم قصد تبادل الخبرات بخصوص البرامج والنظم البيبليوغرافية والسعي من أجل توحيد طرق الضبط البيبليوغرافي . فقد نظمت اليونسكو بباريس (من 12 إلى 15 سبتمبر 1977) المؤتمر العالمي للبيبليوغرافيات الوطنية للتباحث في « البيبليوغرافيا الوطنية دورها الحالي وتطوراتها المنتظرة » هذا على الصعيد الدولي أما على الصعيد العربي فيأتي هذا الملتقى تطبيقا للتوصية 25 من توصيات المؤتمر الثاني للاعداد البيبليوغرافي للكتاب العربي ببغداد (من 3 إلى 12 ديسمبر 1977) الذي نظمته إدارة التوثيق والمعلومات التابعة للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . وقد حضره 25 مسؤولا عن المكتبات الوطنية العربية أو ما يحل محلها في كافة الأقطار العربية .

أشرف على جلسة الافتتاح السيد محمد اليعلاوي وزير الشؤون الثقافية ، فألقى كلمة رحب فيها بالضيوف وعبر عن أمله في أن يتمخض لقاء الأشقاء عن مقررات بناءة وبعد أن أشار الوزير إلى واقع توزيع المعلومات وتبعيته للأوضاع السياسية والاقتصادية في العالم قال : ... أنتم مجتمعون هنا لتتبصروا بطرق السيطرة على هذا السيل الغزير الدافق من أنفس « سائل » وأعظمه وهو المعرفة والعلم وتسخيره لصالح المتلهفين عليه من أبناء بلدانكم ولتتدارسوا إمكانية إقرار نظام بيبليوغرافي وطني عربي مكمل لنظام الحصر البيبليوغرافي العالمي ، وإن وسيلتكم إلى هذا الغرض النبيل هو تلك المعرفة المقننة لكل ما تجود به الأقلام والأدمغة في بلدانكم . **ولكل ما يطبع وينشر مما يتيسر تقييمه وضبطه وإخضاعه لاختياراتنا الثقافية الثلاثة : إرساء إصالتنا وتوسيع تفتحنا وإثبات معاصرتنا** ، ذلك ما تسمونه ، أنتم أهل الذكر « بالبيبليوغرافيا الوطنية »

المسائل المتدارسة في الملتقى :

- كيفية إعداد البيبليوغرافيا الوطنية
- تكوين وكالات البيبليوغرافيا الوطنية
- تطبيق الوصف البيبليوغرافي والترقيم العالمي المقننين للكتب
- تطبيق الوصف البيبليوغرافي والترقيم العالمي المقننين للدوريات
- توحيد طرق فهرسة المخطوطات بالعالم العربي
- بعث اتحاد المكتبيين العرب

ومن أهم التوصيات الصادرة عن الملتقى :

- ضرورة إصدار قوانين الايداع في الأقطار التي ليست لديها تلك القوانين
- التزام المشاركين في الملتقى بضرورة إصدار البيبليوغرافيات الوطنية حسب المواصفات المتفق عليها دوليًا من حيث المظهر والمحتوى ودورية الصدور
- تبني التقنينات الدولية للوصف البيبليوغرافي في فهرسة رصيد المكتبات وتصنيفها ✱

عبد الوهاب الدخلي

البشير الرحال في ذمة الله

كان المطر يتساقط رويدا رويدا والسماء متجهمة وعابسة والحاضرون تبدو على وجوههم علامات الالم والحسرة والأسى وهم يستمعون بانتباه الى كلمة التأبين التي ألقاها السيد وزير الشؤون الثقافية وتحدث فيها عن مناقب وخصال الفقيد البشير الرحال الذي عمر خمسا وسبعين عاما قضى ما يزيد عن نصف قرن في خدمة المسرح العربي .

فالبشير الرحال احد النجوم الذين أضاءوا سماء مسرحنا فقد انضم إلى جمعية الآداب العربية للتمثيل في فاتح العشرينات ، وهو لم يتجاوز بعد العقد الثاني من العمر حيث دخل معترك الحياة الاجتماعية بعد ما انقطع عن المدرسة العرفانية لاسباب عائلية .

وبانضمامه لجمعية الآداب العربية للتمثيل خط البشير الرحال مستقبله المسرحي وفتح لنفسه نوافذ المعرفة والثقافة وتعرف على الساحة الثقافية ورجال المسرح المثقفين أمثال محمد الحبيب الذي كان يصدر مجلة « البدر » والشاعر والاديب عبد الرزاق كرباكة والاديب الفنان جمال الدين بوسنينة . وغيرهم من النخبة المثقفة في تلك الفترة والتي تعمل في المؤسسات الثقافية .

وكان أول دور مسرحي اضطلع به الرحال في حياته دور خادم روميو في مسرحية (شهداء الغرام) أو « روميو وجوليات » لشكسبير .



● البشير الرحال في عهد الشباب

وعندما تأسست جمعية التمثيل العربي سنة 1922 وأسندت الادارة الفنية لعميد المسرح العربي الأستاذ جورج أبيض كان البشير الرحال في طليعة الممثلين الذين سارعوا للانضمام لجمعية التمثيل العربي للاستفادة من الخبرة الفنية التي عرف بها جورج ابيض ، أما بقية الممثلين الذين انضموا لجمعية التمثيل العربي فهم الشيخ ابراهيم الأكودي ، أحمد بوليلي ، علالة الصفايحي ، علي النجار ، سليمان الصحراوي ، الطاهر بلحاج الصادق ونيس ، صالح الزواوي ، حمودة معالي ، وغيرهم من الممثلين والممثلات .

أما البشير المتهني وعبد الرزاق كرباكة ومحمد الحبيب فقد عملوا مساعدين للمدير الفني الأستاذ جورج أبيض .

أما المسرحيات التي قدمتها جمعية التمثيل العربي وشارك فيها البشير الرحال فهي جل المسرحيات التي جلبها جورج أبيض من مصر وقدمها مع فرقته بتونس نذكر منها مسرحية البرج الهائل ، عطيل ، أوديب الملك ، الشرف الياباني ، لويس الحادي عشر ، المثل كين ، صلاح الدين الايوبي ، مضحك الملك ، فتح بيت المقدس ، مكبث ، شهداء الغرام ، غانية الاندلس ، الساحرة ، وعائدة .

● في دور الحاج كلوف

فبحكم عمل البشير الرحال في هذه المسرحيات وغيرها مع عميد المسرح العربي تفتحت موهبته كممثل كما تعرف على أسس وقواعد المدرسة الواقعية في الاخراج التي عرف بها جورج أبيض .

وأصبح البشير الرحال من الممثلين الذين لهم وزنهم في المسرح ومرغوب فيهم من طرف الجمعيات التمثيلية فعندما أسس علي بن كامله مسرحه سنة 1924 كان البشير الرحال من الذين انتخبهم للعمل في الجوق التمثيلي .

ثم عمل في فرقة السعادة التي كان يديرها الاستاذ أحمد توفيق المدني ثم خلفه الأستاذ محمد الحبيب في فاتح الثلاثينيات وعندما حلت فرقة فاطمة رشدي في 13 أفريل 1932 لتقدم بعض مسرحياتها للجمهور التونسي لفت نظرها ازدهار الحركة المسرحية في تونس آنذاك وبراعة الممثلين التونسيين فاقترحت على فقيدنا أن ينضم إلى فرقتها التي تتكون من أبرز الممثلين المصريين وهم عباس فارس ، فتوح نشاطي ، علي هلالي ، حسين رياض ، علي رشيدي ، زينب صدقي ، والمدير الفني عزيز عيد .

وبعدما قدمت فاطمة رشيدي برنامجها المسرحي المتكون من المسرحيات الاتية : غادة الكاميليا ، مصرع كليوباترة ، العباسة أخت الرشيد ، النسر الصغير ، السلطان عبد الحميد ، خلي بالك من أملي ، ليلة من ألف وليلة ، علي بك الكبير ، صلامبو . ارتحلت الى المغرب الاقصى وكان ضمن فرقتها الممثل البشير الرحال الذي لمست فيه الممثل الموهوب والمقتدر ، واقترحت عليه أن يعمل مع عناصر فرقتها في القاهرة . ولكن رفض البشير هذا الطلب وعاد الى تونس ليعمل مع اخوانه في فرقة المستقبل التمثيلي ، التي كان يديرها مؤسسها البشير المتهني .

وفي سنة 1936 تأسست جمعية الاتحاد المسرحي فانضوت تحتها الجمعيات والفرق المسرحية الموجودة . وقد تغير الاتجاه الفني لحياة البشير الرحال في هذه الجمعية فبعد أن عرف الجمهور ممثلنا بالممثل الدرامي الذي اضطلع بالادوار الكبرى في مسرحية احدب الكنيسة (القس) والكردينال في (كرسي الاعتراف) ، وجعفر (في العباسة أخت الرشيد) وغير



ذلك من الادوار الدرامية العنيفة فقد أسند إليه السيد صالح رضا الاحمر المدير الفني دور الفكاهي في مسرحية (عم عثمان التياس) باللهجة العامية التونسية مقتبسة عن مسرحية حارس المزرعة .



● في دور خادم
(مسرحية شهداء الغرام)

وكان هذا الدور اسند من قبل للممثل الفكاهي نورالدين بن رشيد الذي تخلى عن الدور لخلاف بينه وبين المدير الفني العام للفرقة .

فاضطلع البشير الرحال بالدور عن مضض ولم يكن يعلم بان هذا الدور سيغير مجرى حياته الفنية ويصبح الممثل الفكاهي الكبير الذي أضحك الجماهير طيلة ثلاثين سنة .

وفي سنة 1943 عهدت له هيئة جمعية الاتحاد المسرحي بالاشراف الفني لهذه المؤسسة فكان تحول فني ثان للبشير الرحال الذي بدأ يشق طريقه كمؤلف مسرحي فكتب مسرحية ضحكة والف دمعة . وانا أنت وأنت أنا ، وكيد النساء سطاش ، يا مايما تحت الخامو ، والد الحنانة في دار الكوميسار . فكان لهذه المسرحيات نجاح جماهيري كبير .

فعطاء البشير الرحال كان للمسرح عطاء فنيا كاملا ومشرفا سواء في إدارته الفنية لجمعية الاتحاد المسرحي من سنة 1943 الى اندلاع الثورة التونسية سنة 1952 أو في التأليف المسرحي والتمثيل الهزلي والجدي معا .

أما آخر مرحلة في حياته المسرحية فقد قضاها في جمعية المسرح الشعبي التي ساهم في تأسيسها صحبة السيد عبد المجيد بوديدح ومصطفى بوشوشة وعبد العزيز العروي وذلك في فجر الاستقلال .

وقد اشتهر في هذه المرحلة بدور « الحاج كلوف » في مسرحية الحاج كلوف في الحمام تأليف أحمد خيرالدين .

هذه بعض البصمات الفنية التي تركها البشير الرحال في مسيرة مسرحنا التونسي .

رحم الله البشير الرحال رحمة واسعة وأثابه عن أعماله الجليلة التي قدمها للمسرح التونسي ✱

محمد السقانجي

النشاط الثقافي في الأقطار العربية

ندوة ابن خلدون

نظمت كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط من 14 إلى 17 فيفري الماضي أياما جامعية خاصة بابن خلدون قدم فيها جماعة من الأساتذة أبحاثا ودراسات تهتم بجوانب من شخصية ابن خلدون وهي :

ـ « نحن وابن خلدون » للأستاذ محمد أركون من جامعة باريس

ـ « ابن خلدون والتحليلات المعاصرة للتاريخ الاجتماعي للبلاد العربية »

الأستاذ دومنيك شوفاليي ـ جامعة باريس 4

ـ « فلسفة اللغة لابن خلدون » الأستاذ جمال الدين ابن الشيخ ـ جامعة باريس 8

ـ « عن الاستدلال في النص الخلدوني »

الأستاذ طه عبد الرحمن كلية الآداب بالرباط

ـ « ابستيمولوجيا المعقول واللامعقول في مقدمة ابن خلدون »

الأستاذ محمد عابد الجابري كلية الآداب الرباط .

ـ « تكوين ابن خلدون الفلسفي وحدود وضعيته التاريخية »

الأستاذ ميكل كروز هيرنانديز ـ جامعة مدريد ـ

ـ « ابن خلدون ومصادره اللاتينية »

الدكتور عبد الرحمن بدوي ، جامعة الكويت

ـ « مخطوط جديد من النسخة التونسية للمقدمة »

الأستاذ مبارك رجالة ـ المركز الوطني للبحث العلمي ، باريس

ـ « المرحوم ابن تاويت الطنجي محققا لأعمال ابن خلدون »

الأستاذ محمد بن شريفة ـ كلية الآداب بوجدة

ـ « المورفولوجيا الاجتماعية وأسسها المنهجية عند ابن خلدون »

الأستاذ محمد بدوي ، كلية الآداب بفاس

ـ « اتجاه أروبا الغربية نحو المغرب في عهد ابن خلدون »

الأستاذ شارل إيمانويل دوفورك ، جامعة باريس .

ـ « ابن خلدون ومكيافلي » الأستاذ عبد الله العروي ،

كلية الآداب بالرباط

ـ نظرية النشوء والارتقاء جذورها في التفكير الاسلامي وأثرها في مقدمة ابن خلدون » . الأستاذ محمد الطالبي كلية الآداب بالجامعة التونسية

ـ « تاريخ المعارف والصنائع في المقدمة »

الأستاذ نبيل الشهابي ، كلية الآداب بالرباط

ـ « ابن خلدون المؤرخ والعلوم الدينية » الأستاذ عبد المجيد التركي جامعة باريس 4

ـ « الصناعة في المجتمع الاسلامي كما يراها ابن خلدون »

الأستاذ محمد زنبير ـ كلية الآداب بالرباط

ـ « الفكر السياسي عند ابن خلدون »

الأستاذ هنري لاوست ـ كوليج دفرانس ، باريس

ـ « فكر ابن خلدون والتجاوز الممكن »

الأستاذ علي أومليل ـ كلية الآداب بالرباط

ـ « ما لم يرد في كتابات ابن خلدون »

الأستاذ محمد القبلي ، كلية الآداب بالرباط .

ـ « المقدمة دليلا للمؤرخ »

الأستاذ أحمد التوفيق ، كلية الآداب الرباط

ـ « ابن خلدون سفيرا »

الأستاذ عبد الهادي التازي ، المعهد الجامعي للبحث العلمي بالرباط

ـ « ابن خلدون وتجربة التاريخ المسدود » .

الأستاذ بنسالم حميش ـ كلية الآداب الرباط

ـ تأثير المقدمة الخلدونية في بعض المؤلفين العرب »

الأستاذ محمد المنوني

الخزانة الملكية ، الرباط ❋

انعقاد مؤتمر اتحاد الكتاب العرب بدمشق

انعقد أخيرا مؤتمر اتحاد الكتاب العرب بدمشق بإدارة رئيسه الاستاذ علي عقله عرسان . واستعرض رئيس الاتحاد في بيان المكتب التنفيذي لاتحاد الكتاب العرب الاعمال التي انجزت خلال سنة 1978 ومنها النشاط الثقافي في مجال النشر والتوزيع فقد تمّ نشر 52 كتابا موزّعة على الاجناس الادبية التالية (14) دراسة و (15) مجموعة شعرية و (9) مجموعات قصصيّة و (4) مجموعات قصصيّة للاطفال و (7) روايات و (3) مسرحيات

وقدّم الاتحاد خلال عام 78 مكافآت تشجيعية لواحد وثلاثين كتابا طبع منها (12 ، قدّم بها مؤلفوها ودفعت لهم مكافآتهم كما تمّ تقديم (12) محاضرة و (41) أمسية أدبية (قصصية ـ وشعرية) في محافظات القطر . وأشرف الاتحاد على برنامجه الاذاعي (آفاق) وعلى عدد من الندوات التلفزيونية وتابع اصدار مجلتيه (الموقف الادبي والاداب الاجنبية) وقت خطوات ايجابية في مجال اصدار مجلة « التراث »

أما الخدمات الاخرى فقد استمر الاتحاد في تقديم الدعم للجمعية التعاونية السكانية لاعضاء اتحاد الكتاب والعاملين فيه وتمّ تسديد مبلغ « مائة ألف ليرة سورية » للجمعية خلال عام 78 وبذلك بلغ مجموع ما قدّمه الاتحاد للجمعية منذ تأسيسها عام 78 مبلغ (589259,65) ليرة سورية لتسديد الفوائد المترتبة على قروض الاعضاء للمصرف العقاري .

ومن منجزات الاتحاد الجديدة اصدار نظام التفرغ ويسعى الاتحاد للحصول على مكاسب أخرى للأعضاء وفي مقدمتها تحقيق تخفيض آخر غير الذي يمنح الآن ـ للعضو وأفراد أسرته في شركة الطيران العربية السورية . هذا وقد صدر مرسوم للاديب والصحفي المستأجر بيتا ضدّ المالك الذي يرغب في تخليه الملك مهما كان السبب ❋

مخطط صهيوني لتهويد الثقافة والتعليم في المناطق العربية المحتلة

يعتبر تهويد الثقافة والتعليم في المناطق العربية المحتلة من الأمور التي أولاها الكيان الصهيوني أهميّة استثنائية لاسباب عديدة لعلّ في مقدمتها أن عملية التهويد هذه وفي المدى البعيد يمكن أن تؤدي الى قطع الجذور التاريخية والثقافية لعرب المناطق المحتلة .

وركّز المخطط الصهيوني بالدرجة الاولى على الجيل الناشيء وبخاصة الطلبة لما لهذا القطاع من قدرة سريعة على الاستيعاب والتكيّف مع المتغيرات الجديدة . واعتمد المخطط الصهيوني لهذا الهدف المراحل التالية :

1) محاولة ابقاء عرب الاراضي المحتلة في وضع متخلّف علميا وثقافيا عن طريق فرض ضريبة ماليّة كبيرة على التعليم

2) غرس الافكار الصهيونية وترويجها بين الشبيبة العربية ويتمّ ذلك عن طريق برامج الاذاعة والتلفزيون وفي الصحف او بوأسطة تهويد البرامج التي تدرّس في المدارس العربية

3) فرض تدريس اللغة العبرية في المدارس العربية

4) محاولة نسخ التاريخ والتراث العربي من أذهان الطلبة بما يؤدي الى فكّ ارتباطهم بتاريخ وتراث وثقافة وطنهم وأمتهم العربية

وفي حديث أدلى به (ايغال ألون) عندما كان وزيرا للثقافة والتعليم الصهيوني : أكد أن تهويد التعليم في المناطق العربية المحتلة يهدف الى :

ارساء الاسس التربوية على قيم الثقافة اليهودية وابراز منجزات العلم ومحبة الوطن والوصول بالمواطن العربي الى مرحلة « الولاء » المطلق للدولة والشعب اليهودي »

أما (شموئيل سلمون) فقد أكد :

انّ أهمّ غاية للتعليم في المناطق العربية المحتلة هي الوصول الى استنتاجات مفيدة لسلوك الطلبة العرب في مجتمعهم الجديد ، المجتمع الصهيوني .

لقد اتّبع العدوّ الصهيوني العنصري لتحقيق أهدافه السياسية والتربوية في مجال التعليم ومن خلال عمليّة التهويد سبلا متعددة أهمها

1) العمل على اقناع الطلبة العرب بالاشتراك في تكوين ما يسمّى بالحياة « الاسرائيلية العربية » في محاولة لفصلهم عن مجتمعهم العربي

2) تلقين الطلبة معلومات عن تاريخ أمتهم من وجهة نظر صهيونية

3) حقن الطلبة العرب بشكل مستمر بمعلومات عن تاريخ اسرائيل

4) اكساب الطلبة العرب المزيد من المعلومات عن تاريخ دولة اسرائيل الحديثة وتطوّرها والمثل العليا التي قامت عليها

5) غرس روح التقدير للطلبة العرب للتعاون بين القوى الاجتماعية والتركيز بالدرجة الاولى على الدور الطليعي الذي لعبه اليهود في هذا المجال

6) اتخاذ كثير من الاجراءات للقضاء على المعالم التاريخية والحضارية للشعب العربي الفلسطيني خصوصا في منطقتي القدس والخليل

7) واهتمت سلطات الاحتلال أثناء تدريس الطلبة العرب بسرد الحوادث والشخصيات التاريخية اليهودية التي عملت على توثيق العلائق بين الشعوب والأمم

8) الاهتمام بصورة خاصة بما ساهمت به الحضارة اليهودية في صنع الحضارة الانسانية

9) اتخاذ الوسائل التي تساعد الطلبة على الاستيعاب والاستعانة بالصور والخرائط ووسائل الايضاح البصرية والصوتية وتشجيع زيارة المتاحف الاثارية والتاريخية الصهيونية

10) ترجمة الكتب العبرية الى العربية وفرض تعليم اللغة العبرية على الطلبة العرب وتقليص الكتب العربية في المكتبات والاسواق مما يسهل في النهاية تنفيذ المخططات الصهيونية التربوية والثقافية ❋

جائزة الملك فيصل العالمية

أحدثت هذه اللجنة مؤسسة خيرية للملك فيصل هدفها إحياء روح البحث العلمي في البلاد الإسلامية وتشجيع الانتاج المبدع الأصيل والعمل لخدمة الدعوة الاسلامية وتنشيط البحث والدراسات الأدبية العربية .

وقد رصدت لذلك جوائز هامة كلفت بها لجان ثلاث :

1 ـ جائزة عالمية لخدمة الاسلام

2 ـ جائزة « للدراسات الاسلامية »

3 ـ جائزة للأدب العربي

وشارك من تونس في هذه اللجان الأستاذان محمد الحبيب بلخوجة مفتي الجمهورية التونسية ومحمد الحبيب الهيلة الاستاذ بكلية الشريعة وأصول الدين .

وقد قررت لجنة خدمة الاسلام إسناد جائزتها للعلامة السيد أبو الأعلى المودودي رئيس الجماعة الاسلامية في الباكستان . أمّا لجنة الدراسات الاسلامية فقد أسندت جائزتها للدكتور فؤاد سزكين ـ من تركيا ـ تقديرا لجهوده في كتابه الموسوعي :

« تاريخ التراث العربي » بالألمانية .

أما لجنة الأدب العربي فقد حجبت جائزتها هذه السنة ❋

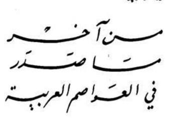
جائزة المغرب لسنة 1978

تحصل الباحث المغربي الحسن بن حليمة على جائزة المغرب في العلوم الانسانية والاجتماعية عن كتابه :

« صفرو من تقاليد الدير إلى الادماج الاقتصادي الحديث » في الجغرافيا الحضرية .

كما منح عبد المجيد بن جلون نفس الجائزة في الفنون والآداب عن كتابه « معركة الوادي »

وقد وقع الاحتفاظ بجائزة المغرب لهذه السنة في العلوم الرياضية ❋



« قبور في الماء » : صدرت للكاتب المغربي محمد زفزاف روايته الثالثة عن الدار العربية للكتاب ، ليبيا ـ تونس الرواية الأولى لمحمد زفزاف « المرأة والوردة » وقد صدرت في بيروت والثانية « أرصفة وجدران » صدرت ببغداد .

الزمان في شعر نازك الملائكة

يقوم الدكتور إحسان عباس الناقد الفلسطيني المعروف بتأليف كتاب عن الشاعرة العراقية نازك الملائكة بعنوان « الزمن في شعر نازك الملائكة » والجدير بالذكر أنه صدرت للشاعرة نازك مؤخرا مجموعتان شعريتان هما « يغير ألوانه البحر » و « الصلاة والثورة » .

موسوعة التشريعات العربية

صدر مؤخرا ما يكون أضخم عمل موسوعي عربي ، وهو موسوعة التشريعات العربية ، التي استغرق إعدادها أكثر من خمسة عشر عاما . وشارك في إعدادها عشرات من كتاب القانون العرب وتقع الموسوعة في 130 مجلدا وتحتوي أكثر من ستين ألف صفحة .

« حال الدنيا » الشاعر الفلسطيني توفيق زياد صدرت له مجموعة قصصية بعنوان « حال الدنيا » عن دار القدس ببيروت .

المجموعة تضم ثلاث عشرة قصة تستند جميعها في الأساس على أساطير وحكايات شعبية تتناقل شفهيا كجزء من التراث الشعبي الفلسطيني .

الخوارج في عصر بني أمية

عنوان كتاب صدر للدكتور محمود نايف معروف وقد قسم المؤلف كتابه إلى قسمين تناول القسم الأول أخبار الخوارج وتاريخهم . وجمع في القسم الثاني ديوان الخوارج وما تركوه من أشعار .

مجلة « مواقف »

بعد عدة أشهر من صدور العدد الأول من مجلة « مواقف » صدر عددها الثاني وهو خاص بالشعر نقرأ فيه لسعدي يوسف قصيدا بعنوان « أعشاب » منه : يقطع أعشاب حديقته (يوما في الشهر) ينتظر العشب يتابع دورته يكبر أم يزهر أم يقطعه حين تكون الأعاق مواتية .

في ربوع الأندلس :

للدكتور عيسى الناعوري ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ـ تونس :

يتضمن ذكريات عاشها المؤلف في الأندلس وما عاد به من انطباعات عن اسبانيا الاسلامية التي ما زالت ذكراها حية نابضة بسبب صيانة الشعب الاسباني للتراث العربي والاسلامي على أرضه

ديوان بدوي الجبل

صدر في بيروت في الشهر الماضي ديوان بدوي الجبل في 550 صفحة من القطع الكبير عن دار العودة وقدم للديوان الأستاذ أكرم زعيتر الذي عاصر الشاعر شخصية وشعرا

المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية

صدر هذا المعجم وقد اشترك في اصداره مجموعة من العلماء والباحثين . وكان المغفور له الملك فيصل قد أوصى بإنجازه .

وفاة فيليب حتّي

العلامة العربي الدكتور فيليب حتّي الذي توفي في شهر ديسمبر الماضي عن (92) عاما والذي كان له فضل الريادة في بحوث التاريخ العربي والحضارة العربية أقيم له احتفال تذكاري بولاية نيوجرسي الأميركية والدكتور فيليب حتّي من مواليد لبنان وله عدد ضخم من المؤلفات التي ساهم من خلالها في إلقاء الضوء على ثقافة العرب بالنسبة لأروبا .

جمالية هيقل بالعربية

موسوعة علم الجمال للفيلسوف الألماني هيقل يعكف جورج طرابيشي على ترجمتها من الفرنسية إلى العربية . وقد صدر منها حتى الآن جزآن من أصل اثنى عشر عن دار الطليعة في بيروت .

قراء العربية سيتعرفون إلى مفهوم هيقل لعلم الجمال واستبيانا لبعض الفنون ومنها الموسيقى والشعر والرسم والعمارة .

عبد الله الجراري والتراث :

صدرت للكاتب المغربي عبد الله الجراري ثلاثة كتب جديدة تهتم كلها بالتراث الفكري والثقافي للمغرب وهذه الكتب هي :

1) « ورقات في أولياء الرباط ومساجده وزواياه » وهو كما يقول المؤلف تعريف بعلماء الرباط وصلحائها ومساجدها .

2) « الحافظ الواعية محمد المدني بن الحسني » وهو من علماء الرباط

3) الجزء الثالث من سلسلة شخصيات مغربية تناول فيه « حياة شيخ الجماعة العلامة محمد المكي البطاوى الرباطي . »

أطروحة عن الصورة الشعرية عند الشابي :

نوقشت في أوائل شهر فيفري الماضي بجامعة القاهرة (قسم اللغة العربية) رسالة للماجستير قدمها مدحت سعد محمد عبد الجبار عن الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي ، وهذه أول رسالة في هذا الموضوع لأن كل الدراسات السابقة تناولت الشابي شخصيا من حيث جهاده وكفاحه الوطني . ثم كشاعر رومنسي وقد أدلى صاحب الرسالة الذي تحصل على الماجستير بتقدير امتياز عن سرّ اختياره لهذا الموضوع بان الدافع الحقيقي وراء اختياره لهذا الشاعر بالذات أنه ظل مهملا من حيث قيمته الفنية ❋

جوائز تعلن عنها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

المسابقة الخامسة

حول اللغة العربية وآدابها

تحقيقا لرغبة العديد من الباحثين والمتخصصين في مجال اللغة العربية وآدابها فان مكتب تنسيق التعريب قد قرر تمديد أجل تقبل المساهمات والترشيحات المتعلقة بالمسابقة الخامسة التي سبق أن أعلن عن تنظيمها في موضوعين هامين هما :

1 ـ تقديم مخطوط في اللغة العربية (لم يسبق نشره) له قيمة علمية في دفع حركة التطور اللغوي المعاصرة (تحقيق ودراسة) .

2 ـ دراسة بيانية (لم يسبق نشرها) عن أسلوب الاستدارة في الكتابة الأدبية (تنظير وتطبيق)

وستتألف لجنة التحكيم في هذه المسابقة من أعضاء تختارهم اللجنة الوطنية للتربية والعلوم والثقافة في الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية ، التي تفضلت مشكورة بتمويلها بمبلغ (4000 دولار أمريكي) ، أي ما يعادل تقريبا (18000 درهم مغربي) ، وذلك لتغطية الجوائز الأربعة التي ستمنح للفائزين .

ويشترط في التقدم لهذه المسابقة مراعاة ما يلي :

أ ـ أن لا تقل الدراسة عن مائة وخمسين صحيفة من الحجم المتوسط

ب ـ يجوز اشتراك أكثر من شخص في البحث الواحد ، وفي هذه الحالة تقسم الجائزة بالتساوي بين المشتركين .

ج ـ تقبل الوثائق والبحوث ابتداء من الآن لغاية أول نوفمبر .

د ـ يرسل البحث (في نسختين) إلى مقر مكتب تنسيق التعريب ـ 10 زنقة أنكولا ـ ص . ب 290 ـ الرباط ـ المملكة المغربية .

مكتب تنسيق التعريب
في الوطن العربي بالرباط

جائزة الثقافة العربية

تعلن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ جامعة الدول العربية ـ عن منح جائزة الثقافة العربية لعامي 1978 ـ 1979 وقدرها خمسة آلاف دولار أمريكي أو ما يعادلها لأحسن كتاب يتناول أثر الحضارة الاسلامية في الحضارة الانسانية ويبرز قيمها وأصالتها في أي ميدان من الميادين ، على أن تتوفر فيه الشروط التالية :

1 ـ أن يكون الكتاب المرشح من الكتب المنشورة لأول مرة منذ بداية عام 1976

2 ـ ألا يكون الكتاب حائزا لجائزة سابقة ولا مقدما لجائزة أخرى

3 ـ الا يكون مترجما عن لغة أخرى .

4 ـ آخر موعد لتقديم الكتاب نهاية شهر أكتوبر / تشرين الأول 1979

5 ـ ترسل خمس نسخ من الكتاب إلى مقر المنظمة (109 شارع التحرير ـ ميدان الدقي ـ القاهرة)

وتدعو المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الهيئات والمراكز العلمية ودور النشر والمؤلفين في الوطن العربي إلى ترشيح ما يرونه مناسبا من الكتب العربية .

جائزة المسرح العربي

تعلن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ جامعة الدول العربية ـ عن تخصيص جائزة للمسرح العربي قدرها 2000 دولار أمريكي أو ما يعادلها تقدم لأحسن مسرحية عربية تتوفر فيها الشروط التالية :

ـ أن تكون باللغة العربية الفصحى

ـ أن تؤدى على المسرح فيا لا يقل عن 90 دقيقة

ـ ألا يكون قد سبق عرضها أو إذاعتها أو نشرها بأي وسيلة من وسائل الإذاعة أو النشر .

ـ أن ترتبط المسرحية بقضايا الانسان العربي المعاصر

ـ أن تكون المسرحية اجتماعية أو قومية ذات دلالة إنسانية من خلال موضوع معاصر أو مستقى من التراث

ـ يرسل من المسرحية خمس نسخ مرقونة على الآلة الكاتبة إلى مقر المنظمة (109 شارع التحرير ـ ميدان الدقي ـ القاهرة) في موعد غايته آخر أغسطس / آب 1979 .

علما بان الفوز بالجائزة لا يخل بحق صاحب المسرحية في ملكيتها والتصرف فيها إلى أية جهة يختارها ، كما ستقوم المنظمة من جانبها بترشيح المسرحية للعرض على المسرح في مختلف الأقطار العربية. ❋

النشاط الثقافي في العالم

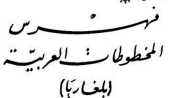
أوراق

مجلة عربية جديدة إسبانية ، تصدر باللغتين العربية والاسبانية عن المعهد الاسباني العربي بمدريد . المشاركون في العدد الأول هم إسبان وعرب . النصف العربي يحتوي على المواضيع الآتية :

الحب في الشعر العربي لشكري فيصل ـ غرناطة عاصمة بني مرين لاسماعيل العربي ـ المعركة الفينيقية الثانية ، لمحمد عبد الحميد عيسى ـ الموسيقى العربية وأثرها في البحر الأبيض المتوسط لصالح المهدي . وحول الأدب العربي المعاصر نقد لديوان عبد الوهاب البياتي . . قصائد حب على بوابات العالم السبع كتبه فيديركوا أريوس ❋

موسوعة عربية مصورة تعد في جنيف

بعد اكتمال المجلدات الخمس من المجموعة الأولى للموسوعة العربية المصورة التي تصدر في جنيف تحت عنوان « بهجة المعرفة » يصدر أخيرا المجلد الأول من المجموعة الثانية والأخيرة لهذه الموسوعة .. التي تتضمن عشرة مجلدات في أربعة آلاف صفحة وأكثر من عشرة آلاف صورة ، وجهد أربع سنوات لخمسمائة محرر ورسام وهي تصدر برئاسة الصادق النيهوم ورئاسة تحرير الدكتور كريم عزقول . يحمل هذا المجلد عنوان « هذا الانسان » ❋



فهرس المخطوطات العربية (بلغاريا)

أصدرت المكتبة الوطنية البلغارية « كيريل وميتودي » في مدينة صوفيا الجزء الأول من سلسلة كتب من سبعة أجزاء، تحت عنوان فهرس المخطوطات العربية وعنوان الجزء الأول هو « القرآن » أما الأجزاء السبعة التي ستصدر تباعا فهي : « القرآن » ، « التفسير » ، « الحديث » ، « الفلسفة » ، « العقائد و الكلام » ، « الفقه الاسلامي » ، « اللغة » ، « التاريخ والجغرافيا » ، « والآداب والعلوم » ❋

بابلو نيرودا

صدر في مدريد المجلد الثالث من ديوان الشاعر الشيلي بابلونيرودا ، يضم المجلد معظم القصائد الشعرية التي ألفها وخاصة تلك التي كتبها سنة 1945 كما يحتوي بعض القصائد الأخرى التي تدور في مناخ ذاتي ❋



أصدرت دار « لنديا » للنشر بيوغسلافيا ديوانا شاملا لواحد وسبعين شاعرا من آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية من بينهم أحد عشر شاعرا من العالم العربي ❋

انطباعات عن تونس

مجموعة من القصائد صدرت بالنمسا للشاعر النمسوي هوجوشنوفسكي صور فيها الحياة اليومية التي عاشها في تونس ❋

فرنسا تحتفل بذكرى بلزاك

مر على وفاة الكاتب الفرنسي بلزاك ما يقرب من القرن والنصف وبهذه المناسبة صدر في فرنسا مجلد ضخم بعنوان « بلزاك . حياته وأعماله » يضم معظم مؤلفاته ويروي الكثير عن حياته وسلوكه وفلسفته .

❋جان رينوار اثناء إخراجه لشريط « ايلينا والرجال » مع الممثلة إنغريد برقمان

جان رينوار
الخجول ذو القلب الكبير

كنت في « مارلي - لي - روا » في الستينات حيث قمت بتربص خاص بمنشطي نوادي السينما فتعرفت على من وصل آن ذاك قمة المجد . أحد أساتذة الفن السابع وكان قد دعي لرئاسة هذا التربص ولاء له ...

كنت قد شاهدت ككل هاوي للسينما ، وأعدت مشاهدة « قاعدة اللعب » « الخدعة الكبرى » « العربة الذهبية » « المرسياز » « النهر » ، وكل أشرطته الناجحة كل ما أود قوله هو أنني تعرفت على رجل السينما كباقي المتربصين . لقد تعرفت عليه من خلال أفلامه . وكنت أعرف قصة حياته عن ظهر قلب . فهو ابن ذلك الرسام المشهور اوقست رينوار . كنت اعرف محاولاته الابداعية العديدة التي قام بها قبل اختياره الأخير المتمثل في لغته السينائية كنت أعرف كل ما نستطيع قراءته عبر المجلات والكتب المختصة .

كنت أعرف أنه رجل انساني وأنه يلتجىء إلى السخرية ليخفي حساسيته المرهفة . كنت أعرف كذلك أنه « يرسم » الشعبي لأنه يهتم باهتمامات الشعب . كنت أعرف كذلك أن دقة الملاحظة الموضوعية التي يمتاز بها قد عدلتها موهبة شاعر الواقع الكبيرة . لذلك لم تفاجئني كلماته لأنني كنت أترقب منه ذلك . ولكني كنت أعجب به كانسان قبل اعجابي به كرجل سينما لحرارة فكاهته . ولبساطته ولتواضعه .

كان ذلك الرجل الذي يتفاعل مع فنه : « متعدد » و « واحد » في نفس الوقت . لقد تقمص دور الدب في شريطه « قاعدة اللعب » ما أروع ذلك الادراك ! إذ لا يوجد أروع من هذا القناع للتعبير عن مظهره وعن رعونته الناتجة عن رغبته في اخفاء حساسية مرهفة ❋

نص : صفية القلي   تعريب : نافلة ذهب



جان رينوار في سطور
(1894 - 1979)

ولد جان رينوار سنة 1894 بباريس

1916- 18 : الشغف بالسينما من خلال أفلام « شارلو » القصيرة خاصة .

1924 : بداية الانتاج السينمائي

من أفلامه :

« نانا » (1926) عن رواية اميل زولا

- « مدام بوفاري » (1934) عن رواية فلوبير

- « الوهم الكبير » La grande illusion (1937)

- « الدابة الانسانية » La bête humaine (1938) عن رواية زولا

- « قانون اللعبة » La règle du jeu (1939) ....

من كتاباته : Les cahiers du capitaine Georges

« رواية نشرتها « قاليار » سنة 1966

- Ma vie et mes films

سيرة ذاتية . نشر « فلاماريون » 1974